انوار التنزيل واسرار التاويل

البيضاوي

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف

البيضاوي، عبد الله بن عمر - ٦٨٥ هـ

كتب في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا

٤٦٤ ق ٢٩ س ٢٣×١٦,٥ سم

نسخة حسنة، خطها نسخ، ناقصة الآخر، طبع

 الأعلام ٤: ٢٤٨ معجم المطبوعات ١: ٦١٧

١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه
أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ

تفسير القرآن للقاضي البيضاوي

أنوار التنزيل وأسرار التأويل
للبيضاوي

٢١

ابتدا قراتنا هذا التفسير على يد شيخنا
السيد احمد زيني دحلان يوم الاربعا
في شهر ثلاثة في شهر جماد الاول
سنة الف ومائتين وثلاثة
وسبعين من الهجره
اه كاتبه احمد [illegible]
عفي الله عنه

عاملنا الله به على خادم
العلم الراجي [illegible] ابو سعيد
العطار
عفا الله عنه
١٢٢٩
في جماد
١٢

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اعانة وتوفيقا لما ترضاه

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره
مصاقع الخطباء من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من
مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق
عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز
غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس
الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص
الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما و
يصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي
غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك
بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا **اما بعد** فان اعظم العلوم
مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها
ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من
برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون
الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي
على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن
قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات
المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء
المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته
والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل

[هامش: الانتصاب]

سؤل

سؤل **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبدؤه
فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من
الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة
معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية
والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها
عليها والصلاة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله
عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات
بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس
وتثنى في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة
وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني وهو مكي بالنص **بسم الله الرحمن الرحيم** من الفاتحة ومن كل
سورة والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك
والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده
وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها
ما روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات
اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها اختلف
في انها اية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم يكتب امين والباء
متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر
كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه
ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما
في قوله بسم الله مجراها ومرساها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على
الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على
القراءة كيف وقد جعل الة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا
ما لم يصدر باسمه لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لا يبدا
فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا
وهذا وما بعده الى اخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف

[هامش: وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك صح]

[هامش: فاق]

[هامش: بقدم]

بتركه باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام
الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتدا والاسم عند
اصحابنا البصريين من الاسما التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت
اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم
ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسما واسامي
وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سما مباركا ۰ اثرك الله به ايثاركا ۰

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار
له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوض عنها
همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه
والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات متقطعة
غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمى لكنه لم
يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك المراد به اللفظ
لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ
الموضوعة لها عن الرفث وسو الادب او الاسم فيه مقحم كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ
ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى
والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل
بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن
ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت البا
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام
ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بحق والاله في الاصل
يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة
والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله ياله
الهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير
لان العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان

القلوب

القلوب تطمين بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر
نزل عليه واله غيره اي اجاره اذ العايذ يفزع اليه او يجيره حقيقة او بزعمه
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدايد
او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال
الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه وقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع
على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب
وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شي وعما
لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

كحلفة من ابي رباح ۰ يسمعها لاهه الكبار ۰

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له
من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان
وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع
الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار
كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجرا الاوصاف عليه وامتناع
الوصفية به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو
بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه
بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله وهو الله
في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا
للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل
اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه
وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الالف
لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

الا لا بارك الله في سهيل ۰ اذا ما الله بارك في الرجال ۰

الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كغضبان من غضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسما الله تعالى انما توخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم
لان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك
انما يوخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل

يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى
الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها
جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد
به جزيل ثواب او مزيد ثنا او مزاح الرقة الجنسية او حب المال عن القلب
ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على
ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي
يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره اولان
الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة والرديف له او للمطابقة والمحافظة على رؤس الاي والا
ظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى
او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسما ليعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي
الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره
الى الجناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد
به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثنا على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثنا على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه
ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا وعملا واعتقادا قال [illegible]

افادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا *

فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر كان
اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من
الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام
الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والحمد نقيض الشكر ورفعه بالابتدا
وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل
على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه

الاشارة

جزيل

مصروف

التسمية هو

الذم نقيض

والكفران

الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بواسطة او بغير واسطة كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا
من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما
من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في
الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا ثم وصف به للمبالغة
كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم
فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء
والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به ههنا الناس فان كل واحد
منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض التي يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك
سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب
العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد لله
وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي
مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله يوم
لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو
المختار لانه قراة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو
المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف
وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم
الدين يوم الجزا ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا واضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول

لغة

اى صار علما بالغلبة

من التغليب وهو اعطاء احد المتصاحبين او المتشاكلين حكم الاخر

الناس

به على الاتساع كقولهم • يا سارق الليلة اهل الدار • ومعناه ملك الامور
يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه
الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزا الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجرا هذه
الاوصاف على الله من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم
كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار
من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو
الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه
متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه تعالى لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الا
ختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد
للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب
بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على
الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بني اول الكلام
على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمايه والنظر
في الايه والاستدلال بصنايعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفي بما
هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى اسلوب اخر تطرية وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ
القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد •

وبات

• وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العاير الارمد •
• وذلك من نبا جاءني • وخبرته عن ابي الاسود •
وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من اليا والكاف والها حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا
بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي
الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم
اليها ايا ليستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها ها والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق
معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة اما ضرورية او غير ضرورية
والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة
ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة
في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم
لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في
ادا العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة
وحاضري صلاة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن
عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من
حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه عن حبيبه حين
قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه هو المستعان به لا غير وقدمت
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الاي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة

على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة وانوله لما نسب العبادة المتكلم الى نفسه اوهم
ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل
الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي
لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم ما
بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال
كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية
دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل
منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في
قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها
عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتدا الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثاني نصب الدلايل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال
الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم
السراير ويريهم الاشيا كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الانبيا والاوليا واياه عنى بقوله اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوا به من الهدى والثبات عليه
او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى
به ارشدنا طريق السير فيك لتمحوا عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي
ابداننا لنستضي بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعا يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلا والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من
سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه
يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطا في الاطباق وقد
يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن كثير برواية

قنبل

قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد
وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق
في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل
ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل
من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايد
التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالا
ستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه
من البين الذي لا خفا فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين وقيل
الذين انعمت عليهم الانبيا وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى
كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي
واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ
الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر
والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العار
له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها
بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة
والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه
ويرضى عنه ويبوئه في اعلا عليين مع الملايكة المقربين ابد الابدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا
ذلك يشترك فيه المومن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل
من الذين او صفة مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من
الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجرا الموصول مجرى
النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله
ولقد امر على اللييم يسبني ۝ وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني ۝ او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد
واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير
نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالا

ستثنا

نه

ضة

اذ فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام فاذا
اسند الى الله اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل رفع لانه
نايب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى
النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا
غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
وقرى وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطا
وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب
عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله
تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال
المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من
وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل
احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه ولعنه والمخل بالعلم جاهل
ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين
بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو
استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال
افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال
ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا • وليس
من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة بها لقوله عليه الصلاة والسلام
علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي
معناه قول علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه الصلاة
والسلام كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن ابي
حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله
ابن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله عليه الصلاة والسلام
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين
فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا
اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول

الله

الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن
ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه ملك قال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا
صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم
العذاب بذلك اربعين سنة

سورة البقرة مدنية

وايها مايتان
وسبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي يتهجى
بها اسماء مسمياتها الحروف التي تركب منها الكلام لدخولها في حد الاسم
واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك
عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روي عن ابن مسعود انه عليه الصلاة
والسلام قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الالف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه النحاة فانه تخصيصه به عرف
مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا
وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع
واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها
العوامل موقوفة خالية من الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها
قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا
فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهولا ثم ان مسمياتها لما كانت
عنصر الكلام وبسايطه التي تركب منها افتتحت السورة بطايفة منها
ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما
ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظا هرهم
وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف يختص بمن خط ودرس
فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب
الفايق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف
اسامي حروف المعجم اذ لم تعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين

مشتملة

سورة بعد دها اذ الاحد فيها الا الف معتمدة على انصاف انواعها فذكر
من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه
نصفها الحا والها والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها
يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجد تطبقك
اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها خمس على نصره
ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطا والظا نصفها ومن البواقي
المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها
ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين اليا لانها اقل
ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى
وهي سبعة القاف والصاد والطا والخا والغين والضاد والظا
نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احدى
عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة
الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى
وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفا في اجداف
والعين في اعن والثا في ثروغ الدلو والبا في باسمك حتى صارت ثمانية عشر
وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والعين والصاد ومما
يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والها والعين
والصاد والطا والميم والخا والبا والغين والضاد والفا والظا والشين
والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية
نصفها الاكثر الحا والقاف والكاف والرا والسين واللام والنون لما
في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم
فيها مقاربها وهي الميم والشين والزاي والفا نصفها ولما كانت الحروف
الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة ويجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحا والخا والعين والغين والها والهمزة كثيرة الوقوع
في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية
ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف من
كل جنس مذكورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية وايذانا بان المتحدي به مركب من كلماتهم

التي

التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
منها ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم
والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل
وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم وفي تسع سور
لوقوعه في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسما من
واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ
على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاثة عشر
سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسما
وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر
وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها
في اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه
والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدي به مولف من جنس هذه الحروف
او المولف منها كذا وقيل هذه اسما السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها
اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله لم يتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب
بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا
وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي
هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لان القران نزل
على لغتهم لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه
ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان
عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة
للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة
الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله
• قلت لها قفي فقالت قاف • كما روي عن ابن عباس انه قال الالف
آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه • وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن
وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك من سائر الفواتح وعنه ان الالف
من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان
جبريل على محمد عليهما السلام او الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قال
ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود

وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره
فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان
تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل
على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين
الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس
او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط
اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها
الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره
عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل
من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم
تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف
يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون
لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما
الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل
حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون
غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات
والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما
بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية
بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك
واما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين
التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم
والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم
من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول
اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا

رضي

رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما
وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
وهو وسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر
استأثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من
الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان
جعلتها اسماء الله او القران او السورة كان لها حظ من الاعراب اما الرفع
على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لا
فعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى
الاعراب لفظا والحكاية فيما اذا كانت مفردة او موازنة لمفرد
كحم فانه موازن لهابيل والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر
وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين
في الله لافعلن فتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض
كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب
كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت
بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين
واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم
ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف
لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف
من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل
من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا او تذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون
صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول
للمبالغة وقيل فعال بني على المفعول كاللباس ثم عبر عن المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة

لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا
لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان
يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى انهم
اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه هدى للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر
رابني الشيء اذا حصل فيه الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة
الى البغية لانه جعل مقابلا للضلالة قال الله تعالى لعلى هدى او في ضلال
مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين
لانهم هم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة
لكل ناظر من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع
بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلايل والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن
الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القران ما هو شفا
ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه
في كونه هدى لما لم ينفك عن تعيين بيان المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم
وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما
يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري
عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يوثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى
في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى
الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون
هاهنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الاية يحتمل اوجها من الاعراب

ان

وقيل الدلالة

الآيات

ان يكون الم مبتدا على انه اسم للقران او السورة او مقدر بالمولف منها وذلك
خبره وان كان اخص من المولف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم
لان المراد بالمولف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب
البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدا محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى
من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها
نقيضها ولازمة للاسما لزومها وفي قراءة ابي الشعثا مرفوع بلا التي بمعنى
ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله لا فيها غول لانه لم يقصد
تخصيص نفي الريب فيه من بين ساير الكتب المتقدمة كما قصد به ثمة
او صفة وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا
ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
اي لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك مبتدا او الكتاب خبره
على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما
بعده خبره والجملة خبر الم او تكون الم خبر مبتدا محذوف والاولى ان
يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المولف
من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة
التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب
عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم الشك
حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الد
للمدلول وبيانه انه نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم الكتاب انه لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه
الشك والشبه وما كان كذلك لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها
مع التعليل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود
وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام
الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده
منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يومنون بالغيب اما موصولة

ضير

وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته

ليل

على التفضيل صح

بالمتقين على انه صفة مجرورة ومقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التفصيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسبوقة للمدح بما تضمنته وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتدا وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما وعلى التقدير الاول وهو اذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام والايمان في اللغة عبارة التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالبا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يومنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمين بالايمان ولم تومن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه الاصل وهو متعين للارادة في الاية اذ المتعدي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف بانه المقصود

اولا

١٠

اولا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر المطمين وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المنخفض من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يومنون غايبين عنكم كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المومن به لما روي ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يومنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالبا على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلاة** يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال

اقامت غزالة سوق الضراب ❊ لاهل العراقين حولا قميطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادايها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا اجد فيه وتجلد وضده تقعد عن الامر وتقاعد او يودونها عبر عن ادايها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمي الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي

الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعا وقيل اصل صلى حرك الصلا لان
المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني
مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق
في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشي بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة
لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر
بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند
الرزق الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق
الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله
تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا لام
واصحابنا جعلوا الاسناد للتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما
لم يحرم وتخصيص ما رزقهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشي
وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كلما فاؤه نون وعينه
فاء والا ما يوافقه في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج
والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او
نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقدم المفعول للاهتمام به والمحافظة
على رؤوس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم
به من انواع المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك** هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
معطوف على الذين يؤمنون بالغيب داخلين معهم في جملة المتقين

دخول

النسبة وتنبيه اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه
الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلج
يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس
الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تامل كيف نبه سبحانه وتعالى
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بنا الكلام على
اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل
لاظهار قدرهم والترغيب لاقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في
خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح
لهم راسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم
التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا
ينفعهم الهدى ولا تغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة
المؤمنين كما عطف في قوله سبحانه وتعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والا
حري
سوقه لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت
الفعل في عدد الحروف والبنا على الفتح ولزوم الاسما واعطا معانيه
والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو
نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال
الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية
للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضا الخبرية
للرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين
اعمال الحرف وفايدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم
ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسالونك عن ذي
القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن
قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه وان عبد الله لقايم
جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد بهم ناس باعيانهم

كابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او المنهمكين ولا
من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين مما اسند اليه والكفر
لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع
والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة
مجي الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفر لانها
تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لا
يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في نفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في
القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب
بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبران وسوا بمعنى الاستوا نعت
به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا مستو انذارك وعدمه لهم او لانه خبر لما بعده بمعنى
انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به
تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدوث المدلول
عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله
تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله

تسمع بالمعيدي خير من ان تراه

وانما عدل هنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن
دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستوا وتاكيده فانهما جردتا
عن معنى الاستفهام لمجرد الاستوى كما جردت حروف النداء عن الطلب
لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف
من عذاب الله تعالى وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا
في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ اانذرتهم بتخفيف الهمزتين
وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه
يودي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الالف بينهما محققتين
وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقا حركتها
على الساكن قبلها لا يومنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستوا

فلا

تعليها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما
هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يومنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره
كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يومنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي
غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقرا والاخبار بوقوع الشي
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره سبحانه وتعالى عما يفعل هو
او العبد باختياره وفايدة الانذار بعد العلم انه لا ينجع الزام
الحجة على ان الرسول فعل الابلاغ ولذلك قال سوا عليهم ولم يقل سوا
عليك كما قال لعبدة الاصنام سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الاية الاخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم
فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشي بضرب الخاتم عليه لانه كتم والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل
يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وبنيت لما يشتمل
على الشي كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد
بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعة بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه
فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة
لهم في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين كانها غطي عليها وحيل بينها
وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المالوفة بها باشياء ضرب الحجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه وبالاقسا في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي
من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله سبحانه وتعالى واقعة بقدرته
اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل
طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على

قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الأول أن القوم
لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه
بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم
التي خلقها الله خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره
سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته الثالث
أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره
سبحانه وتعالى إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب الرابع أن أعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء
والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فإنه سد لإيمانهم
وفيه إشعار على تمادي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي
الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب السادس أن ذلك في
الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج
كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله سبحانه وتعالى وختم على سمعه
وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولأنهما اشتركا في الإدراك
في جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع
من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل
المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للأمن عن اللبس واعتبار الأصل فإنه مصدر في أصله
والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والأ
بصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو
لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد
يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى إن في ذلك لذكرى

لمن

تمادي

من طبع وإضلال ونحوهما
وعلى سمعهم معطوف على
قلوبهم كقوله خو

لام

لمن كان له قلب وإنما جاز إمالة أبصارهم الصاد لأن الراء المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالظرف والجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ
بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار
وإيصال الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم
والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وعشوة بالكسر مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين غير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه
والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول أعذب عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك
ومنه الماء العذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا
ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالا أي عقابا يراد به ردع
الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو
إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير وكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف
به أنه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه
ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه
الناس وهو غشاء التعامي عن آيات الله تعالى ولهم من الآلام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله سبحانه وتعالى **ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر** لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وتعالى وواطأت
فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث
الكفرة وأبغضهم إلى الله سبحانه وتعالى لأنهم موهوا الكفر وخلطوا به
خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم
بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن
المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقصتهم إلى آخرها معطوفة على
قصة المصرين والناس أصله أناس كقولهم إنسان وإنسي وأناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ٭ إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا ٭ شاذ وهو اسم جمع
كرجال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من الإنس لأنهم يستأنسون

حال

عن ع

باسمائهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة فيه اريد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية الكريمة تفسيرا للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود والاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يومنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المومنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة **وما هم بمومنين** انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المومنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مومنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مومنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة

عليهم

عليهم **يخادعون الله والذين امنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارس اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق فالمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما صورة صنعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين امر الله تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مغالبة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرا يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يتطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمومنين من الاكرام والا[عطاء] وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخادعون الا انفسهم** قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو والمعنى ان دايرة الخداع دايرة عليهم وضررها يحيق بهم وانهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يتخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح

جا

عطا

ويخدعون

او متعلقة والدم لان قوامها به ولما اشتد احتياجها اليه وللراي
في قولهم فلان يوامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره
وتشير عليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم ويحتمل حملها هنا على ارواحهم
وارائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق
وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى
الا على موف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه
واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها
مانعة عن نيل الفضائل المؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية
والاية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات منهم
من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات شان الرسول صلى الله عليه
وسلم واستعلاء شانه يوما فيوما وزادهم الله سبحانه وتعالى غمهم
بما زاد في اعلاء امره واشاعة ذكره ونفوسهم كانت موفة بالكفر
وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله
سبحانه وتعالى في ذلك بالطبع او بازدياد التكليف وتكرير الوحي
وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله سبحانه وتعالى من حيث
انه مسبب من فعله سبحانه وتعالى واسنادها الى السورة في قوله
تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض
ما بداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين و
وامداد الله لهم عز وجل بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادة
تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا
في البلاد ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو
وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قرا عاصم وحمزة و
والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم وهو قولهم امنا
وقرا الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول
صلى الله عليه وسلم في قلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من

كذبه

كذبه الذي للمبالغة او التكثير مثل بين الشي وموتت البهائم او من
كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق
متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشي بخلاف ما هو به وهو حرام
كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض ولكن
لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في
الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل
هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا
فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشي عن الاعتدال والصلاح
ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض
هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الا
سرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب
والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع
والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقايل
هو الله سبحانه وتعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم او بعض المومنين
قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان
حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخله على ما
بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال
سبحانه وتعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون رد لما ادعوا ابلغ رد للاستيناف به وتصديره
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به
القسم واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض
للمومنين والاستدراك بلكن لا يشعرون واذا قيل لهم امنوا كما

تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو
المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله
امنوا **كما امن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة
مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد الكاملون به في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل
لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن
غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم وعمي
وقد جمعهما الشاعر بقوله ۰ اذ الناس ناس والزمان زمان ۰
او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل بلدهم كابن سلام
واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب النفاق
مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان
ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا انؤمن كما امن السفها** الهمزة فيه
للانكار واللام مشار بها الى الناس والجنس باسره وهم مندرجون فيه
على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر
المؤمنين كانوا فقرا ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة
وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **الا انهم هم
السفها ولكن لا يعلمون** رد ومبالغة لتجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت
الاية بلا يعلمون والتي تقدمت بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر
السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما
يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانه
يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا
لقوا الذين امنوا قالوا امنا** بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدرت به القصة فسافة لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس
بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة رضي
الله عنهم فقال لقومه انظروا كيف ارد هولاء السفها عنكم فاخذ
بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام

وثاني

وثاني الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني
عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى
الله عليه وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه
نزلت واللقا المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته
ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى **واذا خلوا
الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا
سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانتها والمراد بشياطينهم الذين
ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقايلون صغارهم وجعل
سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن
الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من شاط اذا
بطل ومن اسمايه الباطل **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد
خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق
ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة
فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعا الكمال في الايمان على المؤ
منين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزؤن**
تاكيد لما قبله لان المستهزي بالشي المستخف به مصر على خلافه او
بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان
الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون
المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزا السخرية والاستخفاف
يقال هزات واستهزات بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهز
وهو القتل السريع يقال هزا فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزو
به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزايهم سمي جزا
الاستهزا باسمه كما سمي جزا السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظ باللفظ
او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزا عليهم فيكون كالمستهزي

بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزا او الغرض منه او
يعاملهم معاملة المستهزي فاما في الدنيا فباجرا احكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان
واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونفت ولم تعطف ليدل
على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان
استهزاهم لا يوبه به في مقابلة ما يفعله الله بهم ولعله لم يقل الله
مستهزي بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزا يحدث حالا فحالا
ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم
يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت
السراج والارض اذا اصلحتها بالزيت والسماد لا من المد في العمر
فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراة ابن كثير ويمدهم
والمعتزلة لما تعذر عليهم اجرا الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم
الله تعالى الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم
واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم
رينا وظلمة وتزايدت قلوب المومنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوايهم فزادهم طغيانا فاسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل
الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل
اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين
اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد لهم بمعنى
يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها
فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه
او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر
واصله تجاوز الشي عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الما حملناكم والعمه
في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمها لا امارة بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين**

اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله
بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا
تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشترا والا فاي
العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع ولذلك
عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سوا كان من المعاني او من الاعيان ومنه

اخذت بالجمة راسا ازعرا ۞ وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا ۞ كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشي طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا
بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة
التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى **فما ربحت
تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشترا في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارهم ونحوه

ولما رايت النسر عز ابن داية ۞ وعشش في وكريه جاش له صدري

والتجارة طلب الربح بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال ولذلك
سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب للربح والخسران **وما كانوا مهتدين**
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهولا قد
اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف
فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا
خاسرين ايسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا** لما جا بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح
والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت
في كلام الانبيا والحكما والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده ولا يضرب الا لما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله

عن الشي
لة

مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم الى الذي وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها و لانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه بل ذو زيادة لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذفت ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهيبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشيا واماكن او الى ضمير النار وما موصولة من معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا فانما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استينافا اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم لاحتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك

والكم

والكم بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقول الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه • يقضمن حسن بنانه والمعصم •

والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة الضلالة وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه الله ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هولاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام او مثل بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله سبحانه وتعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

• صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا •
• واصم عن الشي الذي لا اريده • واسمع خلق الله حين اريده •

واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

• لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم •

الطائي

ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ... بان له حاجة في السما

وها هنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

اسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخا تنفر من صفير الصافر

هذا ان جعل الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انه لما اوقد واطفأ اذهب الله نورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صما وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هوا يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما شانه ان يبصر وقد يقال لعدمه عما

فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفا للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السما عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سوا في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التشبيه بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ ... واسحم دان صادق الوعد صيب

وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السما للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السما كلها فان كل افق منها يسمى سما كما ان كل طبقة منها سما قال ... ومن بعد ارض بيننا وسما اريد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبنا والتنكير وقيل المراد بالسما السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق

انه

19

في سببها بما مشروط بمشيئته سبحانه وتعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شي قدير كالتصريح به والتقرير له والشي يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شا اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري سبحانه وتعالى كما قال قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشي اخرى اي مشي وجوده وما شا الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله سبحانه وتعالى ان الله على كل شي قدير الله خالق كل شي فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشي ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن وما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله سبحانه وتعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شا فعل وان شا لم يفعل والقدير الفعال لما يشا على ما يشا ولذلك قلما يوصف به غير الباري سبحانه وتعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدور وان مقدور العبد مقدور الله سبحانه وتعالى لانه شي وكل شي مقدور الله والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السما في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشيا فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدما وسلامة الاموال والاولاد

وغيره لذلك باضاة النار وما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقايهم في الخسار الدايم والعذاب الشديد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسايرما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيهما من الوعد والوعيد بالرعد وما فيهما من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حتى تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله سبحانه وتعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والبصر ليتوسلوا بهما الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي

يا رب

يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه تاكيدا او تعويضا عما يستحقه اي من المضاف وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى له الله سبحانه وتعالى عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله سبحانه وتعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام علما ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للمكلفين ثابت الى يوم القيامة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المومنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس **والذين من قبلكم**

اليصم

فلون

اعم من ح

متناول لما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف
على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم
اما لاعترافهم به كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم
جرير في قوله • يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيما الثاني بين الاول وما
اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا
ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستو
جبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبري من كل شئ سبحانه وتعالى وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال سبحانه وتعالى يدعون ربهم خوفا
وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف
عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى
لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على
الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي
خلقكم لكي تتقوا كما قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل
على ان الطريق الى معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه
للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق
بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليهم شكرا لما عدده عليهم من
النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل **الذي جعل لكم الارض
فراشا** صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا
تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار
وطفق ولا يتعدى كقوله

• فقد جعلت قلوص بني سهيل • من الاكوار مرتعها قريب •

وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات
والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض
فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والفعل اخرى ومعنى
جعلها فراشا انه جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من

الاحاطة

سوى الله

الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة
لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش
عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد
والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به
المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم** عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته سبحانه
وتعالى ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها
كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على
المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة
يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو سبحانه وتعالى قادر على ان يوجد
الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد
ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها
دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء
او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دل
عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله سبحانه وتعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين
له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق كقوله • انفقت من الدراهم الفا •
وانما ساغ من الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله
ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم
صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر كانه

ثمارا

كان رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي
معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان وجواب له او بلعل على ان
نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله سبحانه وتعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشيا الستة لاشتراكها
في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله ندا او بالذي
جعل ان استانفت به على انه نفي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا
تجعلوا والفا للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط
والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي
ان لا تشركوا به والند المثل المناوي قال جرير ۞ اتيما تجعلون
الي ندا ۞ وما تيم لذي حسب نديد ۞ من ند ندودا اذا نفر
وناددت الرجل اذا خالفته خص بالمخالف في المماثل في الذات
كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من
دون الله اندادا كما خص المساوي للمماثل في القدر وما زعموا انها
تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا
عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد
انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم
ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا
لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

۞ اربا واحدا ام الف رب ۞ ادين اذا تقسمت الامور ۞
۞ تركت اللات والعزى جميعا ۞ كذلك يفعل الرجل البصير ۞

وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح
اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى
اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات
متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا
تقدر على مثل ما يفعله كقوله سبحانه وتعالى هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب
لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم
سوا في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله
سبحانه وتعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة

المقتضي

نهي

والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا
بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه سبحانه وتعالى خالقهم
وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة
والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من
الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة
على وحدانيته سبحانه وتعالى رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله
سبحانه وتعالى اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق
فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من
الفضائل العلمية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس
وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج
القوى السماوية الفاعلية والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار
فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة لما قرر وحدانيته سبحانه وتعالى وبين
الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة
كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطبا من العرب
العربا مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة
والمعاداة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله سبحانه
وتعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب
الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله
عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد
الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ
عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة
من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية
منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القران مفرزة
محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ۞ ولرهط حراب وقد
سورة ۞ في المجد ليس غرابها بمطار ۞ لان السور كالمنازل والمراتب

ما سند المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسما والعقل بالماء وما افاض عليه

يترقى فيها القاري او لما مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف
وثواب القراءة وان جعلت سيد له مع الامرة لمن السورة التي هي البغية
او القطعة من الشي والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ
والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم
انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ
من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم
ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد **من مثله** صفة سورة
اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او زايدة
عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم
او للعبد ومن للابتداء اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه
بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير
للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله
ولساير ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه
ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان
ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال
لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا
بالنسبة اليه لقوله سبحانه وتعالى قل لين اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا
يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من
ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم
بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي
وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات ومنه قيل
للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة
حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه تدوين الكتب لانه
ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان
منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه
الشي الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى

او التبيين

او بالتصور

حد

٢٣

حد وتخطي امر الى اخر قال الله سبحانه وتعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا
من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين
وقال امية • يا نفس مالك دون الله من واق • اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة
من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا
يقدر ان ياتي بمثله الا الله سبحانه وتعالى او ادعوا من دون الله
شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا
بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دون الله اوليا او الهة وزعمتم انها تشهد
لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم
من قول الاعشى • تريك القذى من دونها وهي دونه •
ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران
غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليايه
يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله
فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح له فساده وبان
اختلاله **ان كنتم صادقين** انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر
انه كذلك عن دلالة او امارة لانه سبحانه وتعالى كذب المنافقين
في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم
ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار**
التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر
الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل
رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انه اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق
به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن
الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل
لازم الجزاء اي وضع فاتقوا النار موضع اتركوا الفساد تهويلا
للعناد واثباتا للكناية وهي من شعب البلاغة منزلته على سبيل

تمامه
ولا للسبع بنات الدهر من واق

تمامه
اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

يق

الكناية تقرير المكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد
مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي
للوجوب فان القايل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزا تهكما بهم او خطابا معهم
على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن متحققا عندهم وتفعلوا
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل
على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله
لا ان وعند الفرا لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح قال
سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم
بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده
وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى
حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كالجمالة
وهي جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها
وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها
واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم
كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة
في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون
بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة
الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله سبحانه وتعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس
والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها

والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وبالفتح قد جاء المصدر صح

تجب

تجب ان يكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والمعنى استئناف او
حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته صلة
للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض
اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصا
حة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء الوطن
وبذل المهج والثاني تضمنهما الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم
لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه الصلاة و
السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الان **وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات** عطف على الجملة السابقة والمقصود
عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به
وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا على
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب
له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا
لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك
فمن كفر به استوجب العقاب ومن امن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه
يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي
الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا
واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على

بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البنا للمفعول صح

طريقة قوله • تحته بلبهم ضرب وجبع • والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسما كالحسنة قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي
من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبنا عليه ولا غنا باس لا بنا عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشي لا يعطف على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوال الاثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنات وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من انواع النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان ما ذكره ابن عباس سبع • جنة الفردوس • وجنة عدن • وجنة النعيم • ودار الخلد • وجنة المأوى • ودار السلام • وعليون • وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مومن لقوله سبحانه وتعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغنا بها

تجري

تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الما الجاري او للعهد والمعهود هو الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماوها على الاضمار او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله سبحانه وتعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع ان ثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتدا واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات وابتداوه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره مستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الما لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه

يدل المحكي بعدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم على ذلك فرط
استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير
على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا
الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنس الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل
التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسما
قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون
المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا
اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من
المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان
يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرة
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال

۞ واذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدور فملت ۞

فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة
للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل
فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد
وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات
والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا
تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين
فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد في الاصل الثبات المديد

بتشديد الطاء وكسرها يعني متطهرة ومطهرة

الخلود

دام

دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان
على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد
في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف
مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل نفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم
منه واستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند
الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة
من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه
سبحانه وتعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل
اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيف متساوية في القوة لا يقوى شيء
منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض
كما يشهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على
ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما
كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح
على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان
كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى
ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل
على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك
ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق
الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل
له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد
فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه
العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في
عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم

بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة
والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في
كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب
الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله سبحانه وتعالى
اعلا واجل من ان يضرب الامثال او يذكر الذباب والعنكبوت وايضا
لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد
من كفر به ووعد من امن به بعد ظهوره وعده شرع في جواب ما طعنوا به
فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة
الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم
المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها
فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه
واذا وصف به الباري سبحانه وتعالى حيي كريم يستحيي اذا رفع
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به
الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف
ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
فانما عبر به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية
خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماده من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان
بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء
الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد
النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني
كتابا ما اي اي كتاب كان ومزيدة للتاكيد كالتي في قوله سبحانه
وتعالى فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران
كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت

كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله

لان

لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير
قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا
حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل
وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر
ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما
على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية
على الوجهين واستفهامية هي المبتدا كانه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا
يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان
لا يبالي بما يهب ما دينارا وما ديناران والبعوض فعول من البعض
وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش
فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد
عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما
استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما
هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة
كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم
كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة
والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل
يفصل ما اجمل ويؤكد ما صدر به ويتضمن معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من
شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان
الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير
الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين

على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ
انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة
من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين
كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق
قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على
كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبر ما وان يكون ما مع
ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب على المفعولية مثل ما اراد الله
والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق
الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث
يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل
والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري سبحانه
وتعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته سبحانه وتعالى فقيل
ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها
فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على
النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله
والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون
وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهو اعم من الاختيار فانه ميل
مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع
المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين
باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا وهدى وبيان وان الجهل بوجه
ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من
القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون
بالاضافة الى اهل الضلال كما قال سبحانه وتعالى وقليل من عبادي
الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
من حيث باعتبار الفضل والشرف كما قال

استخفاف

قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا ... وقال
ان الكرام قليل في البلاد وان ... قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا
وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله سبحانه وتعالى
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها
احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها
فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه
ولابس الكفر وما دام هو في رتبة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم
المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن
مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك
لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه
انكارهم عن حكمة المثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
واستهزءوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع
الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق
والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان
ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته
بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه ان
يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى

المثل الى حقارة

بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعليه اول قوله
تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلاثة
عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه
على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلما
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق
اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به
عباده من الايات والكتب او ما وثقوا به من الالتزام والقبول
ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتدا فان ابتدا النقض بعد
الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة
لا يرضاها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام والكتب
في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض
خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلا وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور
تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو
الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان
يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني
احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع من الايمان والا
ستهزا بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك
هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتباس
ما يفيدهم الحياة الابدية والاستبدال الانكار والطعن في
الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها
واشتروا النقض بالوفا والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب

كيف

كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار
الحال التي تقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك
عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون
واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات
ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى
اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة
لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير
مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفا
لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم
يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور
او السوال في القبور ثم اليه ترجعون يوم الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحيا
ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة
علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على
صحتهما وهو انه سبحانه وتعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر
ان يحييهم ثانيا فان بدا الخلق ليس باهون عليه من اعادته
او مع فانه سبحانه وتعالى لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعد
على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم
العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم
مع تلك النعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة
الحقيقية كما قال سبحانه وتعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
كانت من النعم العظيمة مع ان المعدد عليهم نعمة هو المعنى
المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل
واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما

الجليلة فان عظم النعم الجليلة يوجب عظم معصية المنعم صح

لا يصح ان يقع حالا او مع المومنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا
فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف
ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة
الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة
النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من
الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها
والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله سبحانه وتعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على
الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه
خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط
او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما
يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل
لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل
ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص
بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل
لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض
الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا
حال عن الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته
من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من
غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله

عليه

عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استولى وملك قال
قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق *
والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة
عليها بالفاء والمراد بالسماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين
امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستانف بدحاها مقدرا
لنصب الارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض
وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن**
عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان
فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما
بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او تفسير فان قيل اليس اصحاب
الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في
الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف
وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء
كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع والاستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان
اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور
الا من حكيم عليم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان
بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع
اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن
معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله سبحانه وتعالى وهو بكل خلق
عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن
عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع
والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها
يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير
واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها
واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه سبحانه وتعالى قادر على

هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء

جمعها واحياها واعادها الي وجه اثباتهما بانه سبحانه وتعالى قادر
علي ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على
اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير
تفاوت واختلال مراعي فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل
على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن
نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو لتشبيهها له بعضد **واذ
قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فان خلق ادم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان
امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع
فيه ولذا يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله واذكر اخا
عاد ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم
الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور
لانه جاء معمولا صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية
المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال ودل على هذا فالجملة معطوفة
على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك
على الاصل كالشمائل في جمع شمال والتا لتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين
الناس فهم رسل الله سبحانه وتعالى او كالرسل اليهم اختلف العقلا
في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر
المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة
مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكما انها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين
قسم شانه الاستغراق في معرفة الحق سبحانه وتعالى يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبرون الامر
من السماء الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به القلم الالهي لا يعصون

الله

الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية
ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة
كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه سبحانه وتعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث
اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزاير والجبال
وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه
بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق
والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به
ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في
عمارة الارض وسياسة الناس به وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة
به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي
امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال سبحانه وتعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلا رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم
موسى في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك
في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما من التباعد
جعل الباري تعالى بحكمته الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي
ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم
او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغنا بذكره عن ذكر بنيه
كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفه او
خلقا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه
واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان
الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر
القليل شر كثير الى غير ذلك **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما** تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من
يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف
عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما

يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس
باعتراض على الله سبحانه وتعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم
اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله سبحانه وتعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله سبحانه وتعالى
او تلقي من اللوح او استنباط عما ركز في قلوبهم عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك في الجواهر
المذابة والسفح في الصب من اعلا والشن في الصب عن فم القربة
ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البنا للمفعول فيكون
الراجع الى من سوا جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدما فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** حال مقررة لجهة الا
شكال كقولك احسن الى اعدايك وانا الصديق والمعنى استخلف
عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والمقصود منه الاستفسار
عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملايكة المعصومين في الاستخلا
لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى
عليها مدارا امره شهوية وغضبية تودیان به الى الفساد وسفك
الدما وعقلية تودیه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة
وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي
الحكمة ايجاده فضلا واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة
من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد
ما تقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود
من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما
لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله سبحانه وتعالى عن السوء
وكذلك التقديس من سبح في الارض والما وقدس في الارض اذا ذهب
فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشي مبعده عن الاقذار وبحمدك
في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس

لك

والسفح والشن انواع من الصب والسفك يقال في الدم والدمع والسبك

عن استخلافه

٣٧

لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك
عند قوم بالتسبيح وسفك الدما الذي هو اعظم الافعال الذميمة
بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم ادم الا
سما كلها** اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى
سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا
ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كازر وشالخ واشتقاقه
من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه
عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها
وحزنها فخلق منها ادم فلذلك ياتي بنوه اخيافا او من الادم او
الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب
من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة
للشي ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعما
له عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سوا كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او
خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية اما الاول او
الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
متوقفة على العلم بالمعاني والمعنى انه سبحانه وتعالى خلقه من
اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشيا وخواصها واسمايها واصول العلم وقوانين الصناعات
وكيفية الاتها **ثم عرضهم على الملايكة** الضمير فيه للمسميات المدلول
عليها ضمنا اذ التقدير اسما المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة
المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان العرض
السوال عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسما سيما اذا
اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشيا او مدلولات الالفاظ
وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلا وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني باسما هولاء**
تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدا

دات

وقدر المخلوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانبا
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منها **ان كنتم صادقين** في زعمكم
انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا
يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق
كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم
مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات **قالوا سبحانك**
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم
ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم اليه سبحانه وتعالى كله
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار
فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في
قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه
الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام
سبحانك اني كنت من الظالمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية
الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل
وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت
اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل
ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا ادم**
انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما
فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما خفي عليهم من
امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم
ما لا يعلمون وفيه تعريض لمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا
مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه سبحانه وتعالى لا يخلق
خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من
المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات

لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط يكون كالحجة عليه فانه لما علم ما صح

والتقدير

والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان
اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم فيكون من الله سبحانه
وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت
العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة العليا منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا**
للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود
له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به
قبل ان يسوي خلقه لقوله سبحانه وتعالى فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف
الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا
فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي
نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر
• ترى الاكم فيها سجدا للحوافر • وقال • وقلن له اسجد لليلى فاسجدا •
يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة
والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله سبحانه وتعالى
وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه سبحانه
وتعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها كانما للعالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب
والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته
وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في
قول حسان • اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس بالقران والسنن •
او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو
التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل لهم

وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم صح

والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام
في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا
الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة
في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره
وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من
غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم
الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا
بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل
به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية
تدل على ان ادم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا
يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال
انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما روى
ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن
من الملائكة انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم
فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر
الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون به والضمير في
فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا
ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا
من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض
والصفات كالبررة والفسقة من الجن والانس يشملهما وكان ابليس
من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير
عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله تعالى الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من
نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام
قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل
لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها

مكدر

(هامش: إذ يقول)

(هامش: بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون)

مكدر مشوب بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا كانت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة
الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف
وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله سبحانه
وتعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى
الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب
وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى
شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد
اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود
بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا
معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض
فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل
الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله سبحانه وتعالى
اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة
والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين مبالغة تعليق النهي بالقرب
الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء
يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه
وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء
تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة
هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى
ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود
عليه وروي بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان

عنها أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره في قوله
سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما
ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي
عثرة مع الزوال وإزلاله قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا
يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين ومقاسمته إياهما بقوله إني لكما لمن الناصحين واختلف
في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك أو ألقاه إليهما على طريق الوسوسة
وأنه كيف توصل إلى إزلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم
فقيل إنه منع الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة
ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند
الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما
والعلم عند الله سبحانه وتعالى فأخرجهما مما كانا فيه أي من الكرامة
والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله سبحانه وتعالى
فأخرجهما قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصلا
الجنس فكأنهما الجنس كلهم أو هما وإبليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان
يدخلها للوسوسة أو دخلها مسارقة أو من السماء بعضكم لبعض عدو
حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى يبغي بعضكم على بعض بتضليله
ولكم في الأرض مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع تمتع إلى
حين يريد به وقت الموت أو القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات
استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب
آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا
أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال
بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال ألم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال
نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع
والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول

الجنس

الكلم

التوبة وإنما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه واكتفى بذكر آدم لأن حواء
كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن
إنه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم
على التوبة وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف بها العبد كان رجوعا
عن المعصية وإذا وصف بها الباري أريد بها الرجوع عن العقوبة
إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالإحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد
أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية
يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف
فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضل هلك والتنبيه على أن مخافة الإهباط
المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن يعوقه عن
مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي
ولم نجد له عزما وأن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر
وقيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وهو
كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم
أجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم في الهبوط في زمان فإما يأتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط
الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول وما مزيدة أكدت به إن
ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى
إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما
جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لأنه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول
وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل أي فمن تبع ما أتاه مراعيا
فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا أن يحل بهم مكروه ولا هم
يفوت عنهم محبوب فيحزنوا فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع
نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ
هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع

واحد كقولك جاؤوا جميعا

الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث
انها تدل على وجود الصانع وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران
المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او
من اوى اليه واصلها اية او اوية كثمرة فابدلت عينها على غير قياس
او اوية او ايية كرمكة فاعلت او ايية كقائلة فحذفت الهمزة
تخفيفا والمراد باياتنا المنزلة او ما يعمها والمعقول تنبيه
وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من وجوه الاول ان ادم عليه الصلاة والسلام
كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
الثالث انه اسند تعالى اليه العصيان والغي وقال
وعصى ادم ربه فغوى الرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع
عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة
الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه
ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لعله لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما
وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما
اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه
ان شا الله تعالى واما امره بالتوبة فتلافيا لما فات عنه وجرى
عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملايكة
قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى فنسي
ولم نجد له عزما ولكنه عوقب بترك التحفظ عن اسباب النسيان
ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اشد بلاء الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل او ادى فعله
الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة لتناوله
السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل بقوله تعالى ما نهاكما

لعظم قدرهم كما قال عم الانبياء

ربكما

ربكما وقاسمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس
فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم
الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه
الصلاة والسلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي
للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان
المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا
او ذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه
ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة
مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون
العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وغيره لا يخلد فيه
بمفهوم قوله هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلايل
التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها
وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق
والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب
معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله
وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على
الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله
عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من
امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي
اولاد يعقوب والابن من البنا لانه مبنى ابيه وكذلك البنت بحسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب
عليه الصلاة والسلام ومعناه بالعربية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ اسرايل بحذف اليا واسرال بحذفهما واسرايل بقلب اليا
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد
النعمة بهم لان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
سبحانه وتعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط
وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل
اراد بها ما انعم به على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ

زمن

العجل وعليهم من ادرك محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقرئ اذكروا
والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان اليا واسقاطها درجا وهو مذهب من
لا يحرك اليا المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد
اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم
بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا
منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله سبحانه وتعالى حقن الدم
والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه
فضلا عن غيره ومن الله سبحانه وتعالى الفوز باللقا الدايم وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم اوف بعهدكم في رفع الاصر والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم وفيا النظر الى الوسايط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان
والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الى قوله ولادخلنكم
جنات تجري وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون**
فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفا
الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين
شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المومن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله سبحانه وتعالى **وآمنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة
للوفا بالعهود وتقييد المنزل بانه المصدق لما معهم من الكتب
الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في
القصص والمواعيد والدعا الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات

الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق
بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان
موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان
به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به** بان الواجب
ان يكونوا اول من امن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه
والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع
بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم
مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من
كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوال من وال فقلبت
همزته **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** لا تستبدلوا بالايمان بها والا
تباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما
يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم
ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشا فيحرفون الكلام ويكتمونه
واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي مبدا السلوك والثانية لما خص اهل العلم امرهم
بالتقوى الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف ما قبله واللبس
الخلط وقد يلزمه جعل الشي مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق
المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لا يميز بينهما ولا تجعلوا الحق
ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في
تاويله **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفا
على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين

واوا تخفيفا غير قياسي او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت

مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي

اي وانتم تعلمون بعدي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه
من كتمان الحق **وانتم تعلمون واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** يعني صلاة
المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام
بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها
والزكاة من زكا الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر
للنفس فضيلة الكرم او من الزكاة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال
من الخبث والنفس من البخل **واركعوا مع الراكعين** اي في جماعتهم فان
صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر
النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي

لا تذل الضعيف علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه *

اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير
من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة
بر في عبادة الله تعالى سبحانه وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة
الاجانب **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون
سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل
كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وانتم تتلون الكتاب**
تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد
وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** قبح صنيعكم فيصدكم
عنه او فلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل
في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح
ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها تدرك هذا الادراك والاية
ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع
بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ
فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر
واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما يشق

عليهم

عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر

تفضل

عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا
بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله
سبحانه وتعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر
الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار
الخشوع بالجوارح واخلاص النية ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا
الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه الصلاة والسلام اذا
حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة
بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها
ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة
شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين**
اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاء الله سبحانه وتعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون
الى الله سبحانه وتعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين
معنى التوقع قال اوس بن حجر

فارسلته مستيقن الظن انه * مخالط ما بين الشراسيف جائف *

وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها
متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه
متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة **يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرره للتأكيد وتذكير
التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطف على نعمتي
على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في
عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان و

والعلا الصالح وجعلهم انبيا وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيا** لا تقضي عنها شيا من الحقوق او شيا من الجزا فيكون نصبه على المصدر وقري لا تجزي من اجزا عنه اذا اغنى وعلى هذا انه يتعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعايد فيه محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العايد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف من قوله او ما اصابوا **ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فاما انه ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدي **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دل عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات ويويده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من ال فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطفه على نعمتي عطف جبريل وميكايل على الملايكة وقري انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبيا عليهم الصلاة والسلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب

في

في طلب الشي **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة الى ... مصدر ساء يسو ونصبه على المفعول ليسومونكم و... في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيه ... **يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم** بيان ليسومونكم ... وقري يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان ... او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكك فلم يرد ... قدر الله شيا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير به الى صنيعهم ... ان اشير به الى الانجا واصله الى الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه الصلاة والسلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله سبحانه وتعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجايكم او متلبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقري فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم واغرقنا ال فرعون** اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه **وانتم تنظرون** ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه الصلاة والسلام ان يسري ببني اسرايل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطي البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله سبحانه وتعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الوقعة من اعظم ما انعم الله سبحانه وتعالى على بني اسرايل

لو...

اوله قالوا ربي ... شيا ...

فاوحي الله اليه ان اضرب بعصاك البحر

...علم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى
...ثم انهم لما اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك
...ونحو ذلك فهم بمعزل عن الفطنة والذكاء وسلامة
...عن امة محمد عليه الصلاة والسلام مع انهم ما نالوا
...مطوية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة
...دة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الا
...خباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة على ما لم تقرر ميزه
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن
كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه
سبحانه وتعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور
ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى اي
مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم
والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ
لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين
الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي
تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من
التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل
التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ
المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله
آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع
او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم

يقتلها

يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
... العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه
فلم يقدر على المضي لامر الله سبحانه وتعالى فيه فارسل ضبابة وسحا...
سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا
موسى وهارون فكشف الله السحابة ونزلت التوبة فكان القتلى
سبعين الفا والفا الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير
لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة
الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان
جعلته من كلام موسى عليه الصلاة والسلام تقديره ان فعلتم
ما امرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كانه قال فعلتم ما امرتم
به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعارا بانهم
بلغوا غاية الجهالة والغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان
يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم
الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام
عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك
حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية
او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر
كالغلبة او جمع كالكتبة فتكون حالا والقائلون هم السبعون الذين
اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به
ان الله الذي اعطاك التوراة وكلمك وانك نبي فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى
يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز
المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية
وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في
الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا
بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة

(هامش: حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة)

تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم من باس الله تعالى بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله سبحانه وتعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا بهذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله سبحانه وتعالى شكرا على اخراجكم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرا نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره

مبالغة

مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم [illegible] المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه الصلاة والسلام فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا اذا افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله سبحانه وتعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزا

لهذا يقضي بجهله بالله سبحانه وتعالى وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه
لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الما من تحت الارض او لجذب
الهوا من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى**
لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل لقولهم طعام مائدة الامير
واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سله لنا بدعايك اياه **يخرج لنا**
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة
مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل
ومن للتبعيض **من بقلها وقثايها وفومها وعدسها وبصلها**
تفسير وبيان وقع موقع الحال والبقل ما انبتته الارض من الخضر
والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه
فوموا لنا وقيل الثوم وقرى قثايها بالضم وهو لغة فيه **قال**
اي الله او موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقرئ ادنا من
الدناءة **بالذي هو خير** يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة
والنفع وعدم الحاجة الى السعي **اهبطوا مصرا** انحدروا اليه من
التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وقرئ
بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد
به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه
غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب **فان لكم**
ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة
بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلا مساكين اما على
الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم **وباءوا بغضب**
من الله رجعوا به او صاروا احقا بغضبه من باء فلان بفلان

وقيل بدل باعادة الجار

اذا

اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما
سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون**
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم
والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير
الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم
على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله **ذلك بما عصوا**
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى
الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي
الى ارتكاب كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما
هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله سبحانه وتعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء
بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل
ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة
فيها خطوط من سواد وبلق ❊ كانه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها
ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع **ان الذين امنوا** بالسنتهم
يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنا
وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة **والذين هادوا** تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا
تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهودا وكانهم
سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام **والنصارى**
جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم
نصروا المسيح صلى الله عليه وسلم او لانهم كانوا معه في قرية يقال
لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها **والصابئين** قوم بين
النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه افضل الصلاة
والسلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان

كما ان صغار الطاعات اسباب مودية الى تحريها

فقين

كان عربيا ثم صبا اذا خرج وقرا نافع وحده باليا اما لانه خفف الهمزة
او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من
الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم
في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه وبالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه وقيل من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام
دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعدهم على ايمانهم
وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من
العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن
مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها
فلهم اجرهم والفا لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه
دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى
تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه الصلاة والسلام
ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه
الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله
فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا
المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان
يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد اخذه فلولا
فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله
عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من
الرسل ولو في الاصل لامتناع الشي لامتناع غيره فاذا دخل
على لا افادت اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والاسم
الواقع بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة
الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل

فعل

فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام
موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه
ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم
كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت
لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم
السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
جامعين بين صورة القردة والخسو وهو الصغار والطرد وقال
مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار
في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا
قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الرا وخاسين بغير
همز فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي
تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما
بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصتهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او
لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله سبحانه وتعالى واذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله
بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزا بالامر والاستقصا في السوال
وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر
فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في تركته وطرحوه على باب المدينة
ثم جاوا يطالبون بدمه فامرهم الله سبحانه وتعالى ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا
مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزا
استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرا حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان

اكون من الجاهلين لان الهزو في مثل ذلك جهل وسفه نفي
عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي
لانه يسئل بما عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال
لم يوجد بها شي من جنسه اجروه مجري ما لم يعرفوا حقيقته قال
انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت سنها ولا تركيب البكر للاولية ومنه البكر والباكورة
عوان نصف نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد
وعود هذه الكنايات واجرا تلك الصفات على بقرة يدل
على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب
ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسوالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان
التخصيص ابطال للتخيير والثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام
لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزاتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تامرونه بمعنى تؤمرون به
من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى ما موركم
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفرا فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده
الى اللون وهو صفة صفرا لملابسته بها فضل تاكيد كانه
قيل صفرا شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سودا شديدة
السواد وبه فسر قوله سبحانه وتعالى جمالات صفر قال الاعشي
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان
سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعني
لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله

لذة

لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسوال الاول واستكشاف زايد وقوله ان
البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقري ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر
والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغام
على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعني
تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشبه ومتشبهة وانا ان شا
الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واحتج اصحابنا على ان الحوادث
بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم
يكن للشرط بعد الامر معني والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار المتعلق قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعني غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى
لانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقري لا ذلول بالفتح اي حيث
هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي
من اسقي مسلمة سلمها الله سبحانه وتعالى من العيوب او اهلها من
العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونها لون اخر قالوا الان جيت بالحق
اي بحقيقة صفة البقرة وحققتها لنا وقري الان بالمد على الاستفهام
والان بحذف الهمزة والقا حركتها على اللام فذبحوها
فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما
كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان
له عجلة فاتي بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتي
يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم
وامه حتي اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة يوضع لدنو الخبر حصولا

البقرة فرضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها

ومتشابهة

والفعلان صفتان لذلول

فاذا دخل عليها النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح
انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل
واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها
اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان
طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال
واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا
محالة واعمل مخرج لانه حكاية حال مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية على تأويل الشخص فقلنا اضربوه عطف
على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على
تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها
وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب
كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب
مع من حضر حياة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من
قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضيته
ولعله سبحانه وتعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما
فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة
التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة
والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله
عنه انه ضحى بنجيبة بثلاث مائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو
الله سبحانه وتعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان
يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها
ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى
حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن

الغلظ

الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من
الايات فانها توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او
مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل
اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال
المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما
يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة
تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وينفجر منه الانهار ومنها
ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء
لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية
مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام
الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين افتطمعون الخ
ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان
فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه
كنعت محمد عليه الصلاة والسلام واية الرجم او تأويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم
موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه
بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون
ومعنى الاية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك
بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا
لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق وان رسولكم
هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم
ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم

وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ويعقوب
وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده
والباقون بالتاء افتطمعون

بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لا
عتابا لهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابدا ما وجدوا
في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني
انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
وحكمه وقيل عند ذكر ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفا لا يدفعه
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجوكم
به فيحجوكم او خطاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين متصل بقوله
افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا
يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان واخفا ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم
عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون
الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة الا اماني
استثنا منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان
في نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما
يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا
او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن
قراة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله
• تمنى كتاب الله اول ليلة • تمني داود الزبور على رسل •
وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم
يظنون ولا علم لهم وقد يطلق الظن بازا العلم على كل راي واعتقاد
من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزايغ عن الحق
لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه
ان فيها موضعا يتبوء فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا
وهو في الاصل مصدر ولا فعل له وانما ساغ الابتدا به نكرة لانه
دعا للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه
من التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا • كي يحصلوا به عوضا

من

من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من
العقاب الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل
لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشي
بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه
فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا
نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا
سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند
الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي
ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف
في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او
منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه
من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون
كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة
قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب
النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب
اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله
حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شي من جوانبه وهذا انما يصح
في شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك
ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك
فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ
بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا
ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما
قال سبحانه وتعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا
بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب
والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون

اصحابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا كما ترى
لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته
سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى
عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي
كقوله سبحانه وتعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من
صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه
ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول
وقيل تقديره ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف
الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا
تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء
حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس
حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم
على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم
الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة
الى جهة العرض بالعين المهملة واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد
به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل
قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه

يوجبه

فلما حذف ان رفع
كقوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى ويدل عليه
قراءة ان لا تعبدوا

يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم
من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية
فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون
توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون
تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم
هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء
الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة
منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما
سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء
تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو
الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من
الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ
باظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى
تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه على القتل وتخريب الديار واجلاء
اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه
ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد
والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقرا حمزة اسرى جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه
كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان
وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره
اخراجهم بدلا او بيانا افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم

اسند

الا

الا خزي في الحياة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل
في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله
بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل
عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب وعاصم يعملون على ان
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة اثروا الحياة الدنيا على الآخرة
فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون
بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة وقفينا من بعده
بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ثم ارسلنا
رسلنا تترا يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا
نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية بمعنى
النسا كالزير من الرجال قال رؤبة
بيت قلت لزير لم تصله مريمه وليل اهواء الصبا يندمه
ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه وقويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق
واراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس
الشيطان او لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل
او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس
بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا احب وهوى بالفتح هويا اذا سقط
ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم على
ذلك بهذا او تعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء
للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم
كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا
ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا

العذاب

بالآخرة

على اثره

لها

لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم
بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه
منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة
باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف
والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او
نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه
والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله
خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون
فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض
الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله
يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب
لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المبعوث في التوراة
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما
جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم
فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا
لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب
ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا
بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو
علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه
على ان ينزل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف من
فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة
فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق

اه

وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير بن الله وللكافرين
عذاب مهين يريد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة
لذنوبهم واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها
قالوا نومن بما انزل علينا اي التوراة ويكفرون بما وراءه حال
عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد
به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق
الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال موكدة
تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا
بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين اعتراض عليهم
بقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ادعاء الايمان بالتوراة
والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم
راضون به عازمون عليه وقرئ انبياء في جميع القران وحده
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده
بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم
العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى
وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم
نومن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة
اسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام لا لتكرير القصة وكذا الاية
بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما
اتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة
بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم
كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم
وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن
في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم
اي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه

وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم
مومنين تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره
ان كنتم مومنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المومن ينبغي
ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامركم به
فاذا لستم مومنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال
من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب
التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي
سقطت على الموت او الموت سقط علي وقال عمار رضي الله عنه
بصفين * الان الاقي الاحبة * محمدا وحزبه * وقال حذيفة حين احتضر
* جاء حبيب على فاقة * لا افلح من ندم *
اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه
ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى
الله عليه وسلم والقران وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة
العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها
اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة
اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان
التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض
والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة
من وجد بمعناه الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير
حياة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام
ومن الذين اشركوا محمول على المعنى وكانه قال احرص من الناس
ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد
اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع
فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك

ما امركم بهذه القبائح ورخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مومنين بها صح

على علمهم بانهم صائرون الى النار وتجوز ان يراد وبحرص من الذين
اشركوا فحذف احرص لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا
محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية
لوداتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله
يود كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر
الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه وما احدهم بمزحزحه من
العذاب تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان
يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة
لقولهم سانهته وسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة
التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في
عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل
عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه
انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله
فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا
يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه دخل
مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل عن
يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم
اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد
جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك
يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن في المشهورة جبرئيل كسلسبيل
قراءة حمزة والكسائي وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ
جبرائيل وجبرائل وجبرال وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف
ومعناه عبد الله فانه الضمير الاول لجبريل والثاني للقرآن
واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط
شهرته لم يحتج الى ذكر سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول
للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية

صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن

اربع

بكر الا وحذف الهمزة قراءة ... وجبرائيل قراءة عاصم وجبريل ...

كلام

يا

كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله اي بامره او بتيسيره
حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من
عادى جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب
بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب
في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو
عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا
او معاداة المقربين وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل في الكفر سواء
واستجلاب العداوة من الله سبحانه وتعالى وان من عادى احدهم
فقد عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد
ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر
وقرا نافع ميكائيل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد
وقرئ ميكئل وميكئيل وميكايل ولقد انزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في
نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا
حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما
انزل عليك من آية فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو
للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ
عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه
يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا
يؤمنون رد لما يتوهم من ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذه جهارا
فهم يؤمنون به خفا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا
كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها

له

والباقون ميكائيل

و بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما وقرئ

لما كفروا بما فيها فصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول كالقرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه
رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كأنهم
لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا
واعلم انه سبحانه وتعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة
آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون
المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه
فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا
وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذوا
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها
الشياطين من الانس او الجن او منهما على ملك سليمان تكذيب لمن زعم
ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما
عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب
الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه
في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا
تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل
بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه
وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله سبحانه وتعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة
وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء
بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله
لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما

اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية مثل
كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما
سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم
يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك
في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب
وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر
به الانس والجن والريح له

ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب
لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل
والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين
ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما
اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى
ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء من الله سبحانه وتعالى فمن تعلم
منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد
جوازه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا
تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين
المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل
بامره سبحانه وتعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد
وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم
يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم
اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين
بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل
ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل
المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على
اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التأكيد
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما
علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب
واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله
خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه

عتقاده

وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا
يجوز اتباعه غير محظور وانما
المنع من اتباعه والعمل به صح

الرابع [illegible]

وتنكير المثوبة لان المعنى لشي من الثواب خير وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير من جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام راعنا اي راقبنا وتان بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه بالصاد المهملة وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المومنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفايدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظر اذا انتظره وقرى انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرى راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا اسماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المومنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشي مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتدا وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شي منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشا يستنبيه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شي وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمة ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشي

واثباتها

واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساوها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرا ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننساها اي نوخرها من النسا وقرى ننسها اي ننسي احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البنا للمفعول وتنسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب صح وقرا ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شي قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت في مصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به اي من الله بدلا صح والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبداء علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شي قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور

امر تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة
في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها
يأمر وينهي كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت
اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام او منقطعة والمراد ان
يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في
اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء
وقيل في المشركين حين قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء
السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط الطريق ويؤدي بكم
الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ
يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
اي ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من
بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا
علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند
انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا
بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة
المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بأمره الذي هو الاذن
في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني
النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ
الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام
منهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر
والمخالفة واللجا الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير كصلاة او صدقة وقرئ وما تقدموا من قدم
تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده
عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان

هودا

هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا
او نصارى بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم
المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني
المذكورة وهو ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم
كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية
افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان
كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله
العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه
ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت
شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان
يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل
ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم
على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا
بان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك
وانما قصد كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه
وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله
يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم
لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا

اوسعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا
بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذ
كر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك
اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا
بخشية وخضوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما
كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا
للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة
فيه فجوزه ابو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية
ولهم في الآخرة عذاب بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر
القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية
لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل
فيه ان الله واسع باحاطته بالاشيا او برحمته يريد التوسعة
على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر
انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت
عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود
ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود
عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات
الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن
اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي
التشبيه والحاجة وسرعة الفنا الا ترى ان الاجرام الفلكية مع

امكانها

خائفين ا
عظيم ا
النصارى

امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها
كالولد باتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات
والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في
السموات والارض التي من جملتها الملائكة والعزير والمسيح كل له
قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان
بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد
لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي
العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين
كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا
له مطيعون مقرون له بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة
الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج
بها الفقها على ان من ملك ولده عتق عليه لانه سبحانه وتعالى نفى
الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض
مبدعهما ونظيره السميع في قوله

امن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني واصحابي هجوع

او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة
وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه
والله سبحانه وتعالى مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق منزه
عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشي لا عن
شي دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير في زمان غالبا وقرئ بديع
مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى
امرا اراد شيا واصل القضا اتمام الشي قولا كقوله وقضى ربك
او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الا
بوجود الشي من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من
كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر
وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطا
المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى
حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله

لهية
عة

تعالى مستغني عن ذلك وقرا ابن عامر يكون بالفتح واعلم ان السبب
في هذه الضلالة الشنايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب
على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب
هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت
الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا
ولذلك كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال
الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين والمتجاهلون من اهل الكتاب
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملايكة او يوحي الينا
بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار
والثاني جحود لان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا
ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من
السما تشابهت قلوبهم قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى
والعناد وقري بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم
يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا تعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في
الايات او طلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك
بالحق متلبسا مويدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك
ان اصروا او كابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يومنوا
بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه او تعظيم عن
لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع
لا يقدر على استماع خبرها فنهاه عن السوال والجحيم المتاجج من
النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه
حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو
الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما
تدعون اليه ولين اتبعت اهواهم اراهم الزايغة والملة

ما

ما شرعه الله لعباده على لسان انبيايه عليهم الصلاة والسلام
من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد
الذي جاءك من العلم اي من الوحي او من الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لين الذين
اتيناهم الكتاب يريد مومني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه
وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد الموصول
مومنو اهل الكتاب اوليك يومنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاوليك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرايل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم
والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها
كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه
فذلكة القصة والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر
الشاق من البلا لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا
وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق
على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة
في قوله التايبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين
وقوله قد افلح المومنون الى قوله اوليك هم الوارثون كما فسرت
بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه
وبمناسك الحج والكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة
على انه تعالى عامله معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الايات
التي بعدها وقري ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل
ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا
ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله م

لقومه وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه
جميع ما دعاه **قال اني جاعلك للناس اماما** استيناف ان اضمرت
ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك
او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة
معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام
اسم لمن يوتم به وامامته عامة موبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف
على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثانية
ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعلية قلبت
همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة
قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على
انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها
امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكباير قبل البعثة
وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل
ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت** اي الكعبة غلبت عليها كالنجم
على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او
امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات
لانه مثابة كل احد **وامنا** وموضع امن لا يتعرض لاهله لقوله
حرما امنا ويتخطف الناس من حوله او يامن حاجه من عذاب
الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي
اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة **واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى** على ارادة القول او عطف المقدر على عامل اذ
او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا
على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب
ومقام ابراهيم الحجر او رفع بنا البيت وهو موضعه اليوم روي
انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم

الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج صح

فقال

فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم
الحرم كله وقيل مواقف الحاج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها
ويتقرب الى الله تعالى فيها وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الما
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** امرناهما
ان طهرا بيتي بان طهرا بيتي ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد
معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق
به او اخلصاه **للطايفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او
المعتكفين فيه **والركع السجود** اي المصلين جمع راكع وساجد
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله
كقولك ليل نائم **وارزق اهله من الثمرات من امن منهم
بالله واليوم الاخر** بدل من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس
ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه وتعالى على الرزق
رحمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم
في الدين او مبتدا تضمن معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر
وان لم يكن سببه التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف
عليه **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الزه عليها لز المضطر
لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على
المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي قال ضميره وقرا ابن عامر
فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر
الهمزة على لغة من يكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة
واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير** المخصوص

فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم

ضي

ان ص

زا

بالذم محذوف وهو العذاب وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك
الله ورفعها البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة
الارتفاع ويحتمل أن يراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة
ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته وإظهار
شرفه بتعظيمه ودعاء الناس إلى حجه وفي إبهام القواعد وتبيينها
تفخيم لشأنها وإسماعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل
في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في الطرفين أو على التناوب
ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما
إنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين
لك مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم
وانقاد والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات
عليه وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهما وهاجرا أو أن التثنية من
مراتب الجمع ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أي واجعل بعض ذريتنا
وإنما خصا الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا
صلح بهم الأتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة وعلما
أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي
على الله سبحانه وتعالى فإنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا
الحمقاء لخربت الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله سبحانه
وتعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن وأرنا من رأى بمعنى
أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا
في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في
الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسي
عن أبي عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف
لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري
عن أبي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما أو عما فرط

منهما

منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لأنفسهما وإرشادا لذريتهما إنك
أنت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال
أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي يتلو عليهم آياتك
يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام ويزكيهم عن المعاصي
إنك أنت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم
له ومن يرغب عن ملة إبراهيم استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته إلا من سفه
نفسه إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه
بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على
التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش ... أجب الظهر ليس له سنام

أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على
المختار بدلا من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي ولقد اصطفيناه
في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فإنه
من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه
أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال
أسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب
بإضمار اذكر ذلك الوقت ليعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة
والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين
دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة والداعية إلى
الإسلام روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة
ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر ووصى بها إبراهيم
بنيه التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة
وأصلها الوصل يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن
الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله

في الأمة المسلمة

اشملت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب على ابراهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه من وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا

بالكسر وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسماعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنوا يعقوب اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشتخور وزبلون ودان ونفتولي وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سيل عنه ويقال ما زيد اتفقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه

وكا

وكما قال النبي للعباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ الهابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال

ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا

او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملته او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا يعني القران قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما

سبق والنزاع وقع فيهما وما أوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير
المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود
نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عم فساغ ان
يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين
كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا
الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها
والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم او المثل مقحم كما في قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ
آمنتم به اي بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان
اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو
المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر
على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع
اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين
بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه
صبغة الله اي صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية
صبغنا
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته
وطهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او
للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه
المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انها
مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من
ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته
ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا
وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها
على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة

ابراهيم

صح
ابراهيم وقولوا آمنا به بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب
قل أتحاجوننا أتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب
دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت
منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب
برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا
باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة
النبوة اما تفضل من الله على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق
على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دو
دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
سباط
كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن
عامر وحمزة والكسائي بالتاء وحفص يحتمل ان يكون معادلا للهمزة في
أتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرا
نية
على الانبياء قل أأنتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التوراة
والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين
وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة
الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد
اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه
الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم
وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون
وعيد
وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما
استحكم في الطبع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل المراد بالامة
في الاولى الانبياء وفي الثانية اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء
الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم
من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من اليهود والمنافقين والمشركين وفائدة
تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة

التي

التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه
للصلاة **قل لله المشرق والمغرب** لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية
تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى **وكذلك**
اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم مهتدين الى صراط
مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل **جعلناكم امة وسطا** اي
خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان
الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة
لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان
الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة
للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب
انه سبحانه وتعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل
الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين
من قبلكم او بعدكم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ
الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة
على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله سبحانه وتعالى في
كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم
لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم كالرقيب المهيمن على امته عدي
بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
عليهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** اي الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر
امر بالصلاة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت

قبلته

قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه والمخبر
به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس **الا لنعلم من يتبع الرسول**
ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع
الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول
معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف
يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه
باعتبار التعلق الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه
او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله سبحانه وتعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة
ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من
معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه **وان كانت**
لكبيرة ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون
هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من الجعلة او الردة او التحويلة
او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة **الا على الذين**
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاحكام **وما**
كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة
المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما وجه
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت
ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم
ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان لرءوف
بالمد والباقون بالقصر **قد نرى** ربما نرى **تقلب وجهك في السماء**
تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة
ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود

اي ليعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب

الروف

وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يساله فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اي اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشي من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة وصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنسا صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا لعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتا ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جوابه للقسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل

الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه الاول الاتيان باللام الموطئة للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق وهي ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في الخبر السادس جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان في الاندراج ابهام عموم لانواع الظلم السابع التقييد بمجي العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين اتيناهم الكتاب يعني علماوهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام عليه او للقران او للتحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثنا لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما دل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله سبحانه وتعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة هو موليها ولكل

امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها
اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى كل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها
اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة
وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي
المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا في اي موضع
تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم
الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال
يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله
جميعا ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه
تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل
ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من
دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان
الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة
بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى
ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بان المنعوت
في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا
والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين
منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا
لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم

وسمي

وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل
الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف
بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم
واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او
عطف على علة مقدرة مثل فاخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم
او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله
عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها
بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال يتلوا عليكم
اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق
الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن
المعاصي وحظوظ النفس والصلاة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء
بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم
ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك
بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله سبحانه وتعالى
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار
على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والاية نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا

فتخصيص المهتد الاختصاصهم بالقرب من الله سبحانه وتعالى ومزيد الهبة
والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل
تصبرون على البلاد وتستسلمون للقضا بشيء من الخوف والجوع اي بقليل
من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم ويريهم
ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة
وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه
الخوف خوف الله سبحانه وتعالى والجوع صوم رمضان والنقصان
من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال
الله سبحانه وتعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول
اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله سبحانه وتعالى ماذا
قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله سبحانه وتعالى
ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم
ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على
نفسه ويهون ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الاصل الدعا ومن الله
سبحانه وتعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل
له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب
حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله سبحانه وتعالى ان الصفا والمروة
هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي
العلامة فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان

الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين هو

اساف

على الصفا

اساف ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء
الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت
والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن
احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح فانه يفهم منه
التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى
الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك
والشافعي رحمهما الله تعالى انه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا
فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان
او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي
ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف
الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل
يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه شيء ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على
امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن
عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله
في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن
انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة
وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله
ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احيا وهذا لعنهم امواتا
وقرى والملائكة والناس اجمعون عطف على محل اسم الله لانه فاعل في
المعنى كقولك اعجبني من ضرب زيد وعمرو او فاعل لفعل مقدر نحو
وتلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة المعنى عليها لا يخفف عنهم العذاب

ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر
رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد
لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية
وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الا
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها
وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران
اخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في
خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها
طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار
خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك
بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه
على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث
الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة
الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب
وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها
من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات
وبث الحيوان في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها
واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء
والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه
من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه الصلاة والسلام
ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه
الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا

والكلام

والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من
وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز ان لا تتحرك السموات او بعضها
كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة
بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها
وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته
وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر
على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع
مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح
وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما
اشار اليه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه
على شرف علم الكلام واهله والحث على البحث والنظر فيه ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين
كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد
اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم
كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم
في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه
ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن
المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف
محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب
ولذلك كانوا يعدلون عن الصنم الى الله عند الشدائد ويعبدون
الصنم ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء
الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم
القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة
ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف
اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد
الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير
لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله جميعا
لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ويعقوب ولو ترى على خطاب

الوجه

من الحب استعير لحبة القلب

زمانا

للنبي اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البنا
للمفعول ويعقوب إنّ بالكسر وكذا ان الله شديد العذاب على الا
ستيناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ
يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع
من الروسا ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل
عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال
والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به
الشجرة وقرئ تقطعت على البنا للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان
لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفا اي ليت
لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية
القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به
الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في قوم حرموا على انفسهم
رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف
او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه
الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات
الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا
الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطا وهما لغتان في جمع خطوة
وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطا كانها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك
سماه وليا في قوله اولياوهم الطاغوت انما يامركم بالسو والفحشا
بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه
لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسو والفحشا ما انكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سو لاغتمام العاقل
به وفحشا لاستقباحه اياه وقيل السو يعم القبايح والفحشا ما تجاوز
الحد في القبح من الكباير وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه

الحد

الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات
وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع
المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن
في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للندا على ضلالهم كانه التفت
الى العقلا وقال لهم انظروا الى هولا الحمقا ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما
الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع
القران وساير ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الى التقليد وقيل في
طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل
الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان اباوهم لا يعقلون
شيا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب
لو محذوف اي لو كانوا اباوهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون
لاتبعوهم وهو دليل على ان المنع من التقليد لمن قدر على النظر والا
[In margin: جاد]
واتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبيا والمجتهدين في
الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا وندا على حذف
مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى
عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهايم التي ينعق عليها
فتسمع الصوت ولا تعقله وتحس بالندا ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في
[In margin: ولا تعرف مغزاه]
اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم
[In margin: بالبهايم]
ما تحته او تمثيلهم في دعايهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت
على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعا وندا لان الاصنام
لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في
[In margin: صم بكم عمي بالرفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر]
الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا
ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم
اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر والمعلق بفعل العباده

هو الامر بالشكر لانه مه وهو عدم عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير
ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف
عنها واستثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير
انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له
وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله
رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع
الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره
فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة
والكسائي بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب
الشافعي رحمه الله تعالى وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور
لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من
استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم
هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه
اكل النار كقوله

* اكلت دما ان لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر *

يعني الدية او في المال اي لا ياكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم
يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله

* كلوا في بعض بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص *

ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم
حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله سبحانه وتعالى ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس

قيل ج

وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحكم الحرمة على ما ذكره

ملء بطونهم

لموجبات

موجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها ك
كتخصيص * قولهم شر اهر ذا ناب * او استفهامية وما بعدها الخبر
او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلاف
ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل
الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول
وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي
والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت
وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس
البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه الله واتبعه المؤمنون
وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر
العظيم الذي يحسن بشأنه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص ليس البر
بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن بالله او
ولكن ذا البر من آمن بالله ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن
والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف
ورفع البر وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عليه الصلاة
والسلام لما سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله سبحانه وتعالى او
للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد
المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتائهم
اثنتان صدقة وصلة كما قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى ذوي رحمك صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذي
اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي به القاطع الطريق وقيل الضيف
لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال

ان تذهلوا

وقال عليه الصلاة والسلام للسائل حق وان جاء على فرسه **وفي الرقاب**
وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها
واقام الصلاة المفروضة **وآتى الزكاة** يحتمل ان يكون المقصود منه ومن
قوله اتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن
الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل
الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت
الزكاة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من آمن
والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر
والضراء في الانفس كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك
الذين صدقوا** في الدين وطلب الحق واتباع البر **واولئك هم المتقون**
عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة
في ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال
الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى آخرها ولذلك وصف
المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته
للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** كان في
الجاهلية بين حيين من احياء العرب دم وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر
بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي
رحمهما الله تعالى قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى
علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده او عبد غيره فجلده النبي صلى الله عليه
وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يقتلان الحر بالعبد

بين

بين اظهر الصحابة رضي الله عنهم من غير نكير والقياس على الاطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في
التوراة فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد
القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب
وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ
كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى
ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل
اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك
وقال عفى الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه
ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم
وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف
عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان** اي فليكن اتباع او فالامر
اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف
والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو
وللشافعي رحمه الله تعالى في المسألة قولان **ذلك** اي الحكم المذكور في
العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع
وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على
حسب مراتبهم **فمن اعتدى بعد ذلك** اي قتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه
الصلاة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد العفو واخذ الدية **ولكم في
القصاص حياة** كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من
الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل
فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير

يتباروا

بعض

سبب الحياة ثم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحياة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القران حياة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا والخير المال الكثير وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصا ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفا كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصيا والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصا المغير او التبديل الا على مبدليه لانه الذي خاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص جنفا

من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصا المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله ح

اي توقع وعلم من قوله اخاف ان ترسل السما

ميلا

ميلا بالخطا في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبيا عليهم الصلاة والسلام والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدوها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجا او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في حر او برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وزادوا عليه ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايما بان من سافر اثنا اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقها العراق ومد عند فقها الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرا نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه

عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك ح

الصوم

قيل

عادته

ر الطوق بمعنى الطوق والقلادة ويتطوقونه او يتكلفونه او يتقلدونه ح

٧ ويتطيوقونه

ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ٢ من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى
هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم و
يجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا
وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع
خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها
المستطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن
التاخير للقضا ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم
من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان
مبتدا خبره ما بعده او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا
وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة
ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية
علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه الصلاة
والسلام من صام رمضان على حذف المضاف لامن الالتباس وانما
سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض
الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسما الشهور
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدي فيه انزاله
وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سما الدنيا ثم نزل
منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم
الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين وانزل الانجيل
لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا
او صفته والخبر فمن شهد والفا لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط
وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم
فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حال من

القران

القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات
مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن
شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم
فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر
الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني
على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول
به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او
على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل
تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر في السفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف
دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
والمرخص بالقضا ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا
العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر
بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله
او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون
ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله لم
يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله سبحانه وتعالى
بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر
وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي
هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا
سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل
لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال
من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب
دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني

لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو
اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه سبحانه وتعالى لما
امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير
والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم
مجيب لدعايهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام
الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم روي ان
المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا
العشا او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد الصلاة فندم
واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا
بما صنعوا بعد العشا فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها
صايما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا وايثاره ههنا
لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم
وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان
الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال
الجعدي ❊ اذا ما الضجيع ثنى عطفها ❊ تثنت فكانت عليه لباسا ❊
او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من
الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالان باشروهن
لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة
الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر
ينبغي له ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع
النكاح لا قضا الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل من غير الماتي والتقدير
وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو
من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض

واسود

واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود
لدلالته عليه ولذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون
من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل
من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير
البيان الى وقت الحاجة جايز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح
بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة
على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام
الى الليل بيان اخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن
قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع
فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا
يختص بمسجد دون مسجد وان الوطي يحرم فيه ويفسده لان النهي
في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي
ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا
يداني الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل
ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله اياته للناس لعلهم
يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله
سبحانه وتعالى وبين نصب على الظرفية او الحال من الاموال
وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلا
الالقا اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا
طايفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين
الكاذبة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ
القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله

عليه وسلم بان يحلف امري القيس فهم به فقرا عليه الصلاة والسلام
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين
وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ
باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم
وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما اقطع له قطعة
من نار يسالونك عن الاهلة ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوا عن الحكمة
في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله سبحانه وتعالى ان يجيب
بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها
امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع [ميقات من] الوقت والفرق
بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان
المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قرا ابو
عمرو وورش وحفص بضم البا والباقون بالكسر ولكن البر من اتقى
وقرا نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا
احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون
من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما
البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم
في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق
بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوا تنبيها على ان اللائق بهم ان
يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على
تعكيسهم السوال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من
ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى
ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في
العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه

[هامش: وتركوا السوال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة صح]

والاعتراض

والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد
قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون
ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك
فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به
من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين
لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما كان او عملا
فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد
فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة
التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام
تعبها وتالم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم فانهم الذين هتكوا حرمته
وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى
حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين
مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال
والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم

فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين فينعكس الامر
عليكم والفا الاولى للتعقيب والثانية للجزا الشهر الحرام بالشهر
الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم
لعمرة القضا فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر
بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا بهم والحرمات قصاص احتجاج
عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم
عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله
في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او
بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم
على اهلاككم ويويده ما روى عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما
اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها
ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يودي الى الهلاك المويد
ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشي في الفساد والالقا طرح
الشي وعدي بالى لتضمن معنى الانتها والبا مزيدة والمراد بالايدي
الانفس والتهلكة والهلك والهلاك واحد فهي مصدر كالتضرة
والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا
اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا
الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله
تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويويده قراة من قرا واقيموا الحج
والعمرة لله وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر
رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين
بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب الاهلال بهما لانه رتب

الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وان تفرد لكل منهما سفرا
او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان يكون النفقة حلالا
فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي
لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي
حنيفة لما روي عنه عليه افضل الصلاة والسلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من
الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما
استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي ايسر
عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه
عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند
ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ
الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ
محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي
محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حراما واقتصاره
على الهدي دليل على عدم القضا وقال ابو حنيفة يجب القضا والمحل بالكسر
يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ
من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا
يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية
فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس
الفدية واما قدرها فانه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لكعب
ابن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة
والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة
قبل الانتفاع بتقربه الى الحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل

منكسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف
مقول بها اذا شرط الاحلال له لقوله
عليه الصلاة والسلام ...

القضا وقال ابو

من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر
من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه
اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد
الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب
ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام
التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي
رحمه الله تعالى او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب
ابي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام
تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر
العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة
فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او
مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها
او مقيدة تقييد كمال بدليها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا
والتمتع عند ابي حنيفة اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن
فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو
من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه وهو من مسكنه
وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا
الله في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته
كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة
وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله
عند مالك وبنى الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره
العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال
فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام
الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه
على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي

حنيفة

حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله وان من احرم بالحج
لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج
من حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع
الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاث على قصد النهي للمبالغة والدلالة
على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج
اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن
مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الا(ولين)
بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الا
خبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهي عن الشر
ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى
وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا
على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله
سبحانه وتعالى وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله سبحانه وتعالى فيتبرؤوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا
الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت
فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعتم من البصرة وعرفات
جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة
تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك لان
التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها

لان الذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما
ابصره عرفه ولان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان ادم وحوى التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات
للمبالغة في ذلك وهي من الاسما المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور
بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به واجبة وفيه نظر
اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والدعا وقيل بصلاة العشايين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه
الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويويد
الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر فدعى وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته
ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هديكم اي كما علمكم او اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة
وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا
كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض
الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون
بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الا
فاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرى الناسي بالكسر اي الناسي
يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه
ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم
مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا
الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون

بذكر

احل الافاضة

بذكر اباكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين
المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابايهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما
مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا كذكركم اباكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على
ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباكم
وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من اباكم او بمضمر
دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابايكم فمن الناس
من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر
يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا
اتنا في الدنيا اجعل ايتانا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة
من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة
الصالحة وفي الاخرة الحور اجمع وعذاب النار امراة السو وقول الحسن
الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحور اجمع وقنا عذاب النار معناه
احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها
اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي
من جنسه وهو جزاوه او من اجله كقوله مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا
به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعا كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب
يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم
القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح
القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع
الفجر عندكم فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر
في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز
تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير
بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم
المتاخر لمن اتقى الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على

التخيير صح

العلم والعباده وفي الاخرة الجنه

فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين
يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر
في ثاني ايام التشريق صح

حنفيهم

الحقيقة والمتنفع به او لاجله حتى لا تبصرون بترك ما يهمه منها واتقوا
الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد
الاحياء واصل الحشر الضم وجمع المتفرق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في
امور الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك
اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد
الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو
الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز
ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة
قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن
المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف وقيل اذا غلب وصار
واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما
فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم
او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه
فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر
باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في
الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطئ للجنب
ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه
وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه
ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت
عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة

واسباب المعاش او في معنى الدنيا

والله

كلفهم

والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد
فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق
في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم
لانها تؤنث كالحرب
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب
لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا
الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء عليهم الصلاة
والسلام والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب
الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام
حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده
الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه كقوله تعالى او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله
ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال
كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة
الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا
يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم
الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطف
على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي
موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على
الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم
على انه من الرجع وقرا الباقون على البنا للفاعل بالتانيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبنا المفعول سل بني اسر

ائيل

امر للرسول او لكل احد فالمراد بهذا السوال تقريعهم كم اتيناهم من
اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة علي الحق والصواب
علي ايدي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب علي المفعولية او الرفع بالابتدا علي حذف العائد وايه
مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اياته فانها سبب الهدي
الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزايغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه
تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن
يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها
في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين علي الحقيقة هو الله
سبحانه وتعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه قراة زين علي البنا للفاعل
وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشيا
الشهية مخصوص بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقرا المسلمين
كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم علي رفضهم الدنيا
واقبالهم علي العقبى ومن للابتدا كانهم جعلوا ابتدا السخرية مبتداة منهم
والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين
او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما
سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل
علي انهم متقون وان استعلاهم للتقوى والله يرزق من يشا في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلا اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين علي الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد
الطوفان او متفقين علي الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة
قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبيا عليهم الصلاة
والسلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة
عشر والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم
لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال

من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله سبحانه
وتعالى او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين
اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما
انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم علي الدنيا فهدى الله الذين
امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما
اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشا الى
صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به
النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم علي الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بعد مجي الايات تشجيعا لهم علي الثبات مع مخا | لفيهم
وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل
لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا
من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم الباسا والضرا بيان له علي
الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا | بما اصابهم من الشدايد صح | حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال
الصبر وقرا نافع يقول بالرفع علي انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى
لا يرجونه متى نصر الله استبطا له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف
علي ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الي طلبتهم من عاجل النصر
وفيه اشارة الي ان الوصول الي الله تعالى والفوز عنده بالكرامة برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسالونك ماذا ينفقون
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصاري كان | شيخا هما | ذا مال
عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سيل
عن المنفق فاجاب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره
ولانه كان في سوال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق
علي ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط
فان الله به عليم جوابه ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه ويوفي ثوابه

وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو
كره لكم شاق عليكم مكروه طبعاً وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل
بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف
او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله
تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير
لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه
وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك
وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها
يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد
الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول

العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذه

غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعاً
وتعييراً وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ
عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على
انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافاً لعطاء وهو
نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة
القتال في الشهر الحرام فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد
صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله سبحانه
وتعالى من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف
وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد
اكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل نارا
ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ
لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان

على

على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ
وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي
ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم
لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق
بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة
بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والمراد
بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما
تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت
ايضاً في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين ها جروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمت الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعاراً بان
العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا
خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر
روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً فاخذ
المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذاً في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ
اعبد ما تعبدون فنزلت ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعراً فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير
فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره
سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا

لانه يسكره اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما يسكر عند اكثر العلماء وقال
ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل
شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه
اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسالونك عن تعاطيهما لقوله
قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور
وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما
اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا
قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسالونك ماذا ينفقون قيل
سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية
الانفاق قل العفو نقيض الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر عليه مرارا فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله
كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو
عمرو برفع العفو كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو
اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر
محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به
جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام
في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منها
وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسالونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او
اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على
المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل
المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد
لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله
لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت

وهو

وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات
تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون
ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه
عليه الصلاة والسلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من
المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال
ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير
من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله
واماؤه ولو اعجبتكم بجمالها ومالها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم
وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات
يدعون الى النار اي الى الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله وأولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف اليه واقيم مقامه تفخيما لشأنهم يدعوا
الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه اي بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز
في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسالونك عن المحيض روي ان اهل
الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحائض ولم ياكلوا معها كفعل اليهود والمجوس واستمر
ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر
كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم
بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاث الاخيرة
كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر
مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن
لقوله عليه الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط

اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما
وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن
حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن
بمعنى يتطهرن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها
قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان
الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور
فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون
من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل
هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه
واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عليه الصلاة
والسلام ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في
الصديق رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة
رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن
النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة
يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول ولا تجعلوا
الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور
المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين
ورايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها
عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان
تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة
لان تبروا الاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه

بكثرة

بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحالف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
للنهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف
مجترئ على الله سبحانه وتعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به
في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله
وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى
لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال
ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه والله
غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص
الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث
في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رحمه الله تعالى
لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي فان رجعوا في اليمين
بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من
اضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا
قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في
اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر والوعد
ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا
يطالب بعد المدة باحد الامرين وان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات
يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت عليه الايات والاخبار ان
حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد
والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان
يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا
يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس

الى النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء
نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن ايام اقرائك وللطهر الفاصل
بين الحيضتين كقول الاعشى

يورثه مالا وفي الحي رفعة ۞ لما ضاع فيها من قروء نسائكا

واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال
على براءة الرحم لا الحيض كما قاله ابو حنيفة لقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما
قوله عليه الصلاة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل
ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وكان
القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقرا ولكنهم يتوسعون في
ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم
المطلقات ذوات الاقرا تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن
يؤمن بالله واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن
بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له
ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح
والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها
فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر
وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة
او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف
المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في
زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد
منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد
الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال
مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في

انفسهن

انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة
لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن
خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق
الرجعي اثنتان لما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اين او تسريح باحسان
وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك
قالت الحنفية الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا
وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن
سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيبه في
دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت
جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب
مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع
وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم
على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد
تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وفي اعطائه تلك
حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك
هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم
ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
ما ساق الزوج اليها فضلا على الزوائد ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة
الجنة وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة اتردين عليه
حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
اما الزوائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن

العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف
في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج
بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون
طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج
فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير
لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق
يقع تارة مجانا وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره
والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد
كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امراة رفاعة
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد
الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان
يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة
في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا
والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو
حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل
والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان
يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود
الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن بالعلم هاهنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن
ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو
ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون
يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر
عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت
الذي به ينتهي قال

كل حي مستكمل مدة العمر ... ومود اذا انتهى اجله

والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو

المراد

المراد في الاية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او فارقوهن
بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار
او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره
للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول
العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة
او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجا الى الافتدا
واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها
والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازي
كانه نهي عن الهزو واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق
ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه الصلاة والسلام بالشكر والقيام
بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما
بالذكر لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل
شي عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن وعن الشافعي رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاوليا لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملا ان ترجع الى زوجها
الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت
منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب
توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل
الاوليا والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر
فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس
والتضييق والنسا وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف وفيه
دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ذلك اشارة
الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف

ويعتق م

ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب صح

بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف صح

لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النساء
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ
به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم
اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم
ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب
فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن
اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاع
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع
له وهو دليل على ان اقصى الحمل مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنهما وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار
الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة رحمهما الله تعالى ما دامت زوجة
او معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه
تعالى لا يكلف العبد الا بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب له اي
لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف
واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء
للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له ولا تضر
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على
انه من ضار يضير واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطافا
لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا

ينبغي

ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث
وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل
الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث
منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رحمه الله تعالى اذ لا نفقة
عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي
ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى
وقيل عصابته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فصالا
صادرا عن التراضي منهما والتشاور وبينهما قبل الحولين والتشاور والتشا
والمشورة استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح
عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه
يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا
سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلاة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ
اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل
عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك
ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما
شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث
وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ
يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي
لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط

وت والشورى م

ذهابًا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم
الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب
الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كانت انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية كما قاله الشافعي
رحمه الله تعالى والحرة والامة كما قال الاصم والحامل وغيرها لكن
القياس اقتضى تنصيف المدة في الامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في
انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه
الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية
هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة
خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج
ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا
ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن
وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب
فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر
المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا
تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من
سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو

غير

غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح الخطبة وجواز تعريضها ان كانت
معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد
عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم
القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان
الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور حليم لمن عزم ولم يفعل خشية من
الله سبحانه وتعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من
مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن
بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا
او الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل
المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة ولكن
سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على
مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش
الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة ومن المقتر اي الضيق
الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام
لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال
الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية
يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للتي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
رضي الله عنه في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا
وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان
بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع

ع

تماسوهن

او تفرضوا هو

فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة هو

للمفوضة هو

والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او المطلقات بالتمتيع وسماهم
بالمحسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلهن او فالواجب نصف
ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها وهو دليل على ان
الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان
يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل
التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة
الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر
فيه ان هاهنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق
المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير
مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي
يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي
وان تعفوا اقرب للتقوى يويد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه
التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا
اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر اليها عند التزوج فمن
طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفى
عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا
تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع
تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة
عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم
الاشتغال بشانهم عنها والصلاة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى
منها خصوصا وهي صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة
اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها في
وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه
الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل صلاة الفجر لانها
بين صلاتي النهار والليل وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة

والسلام

[في الهامش: لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها صح]
[في الهامش: لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر صح]
[في الهامش: وسط]
[في الهامش: [illegible]]

والسلام كان يقرا والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت
بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
والمدح وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر
فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجالا جمع راجل او رجل بمعناه
كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب
الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلي حال المشي
والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا
صلاة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع
وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة
وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا
وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويويد ذلك قراءة
كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع
على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان
يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة
وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان
كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فان خرجن
عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
كالطيب وترك الاحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل
على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما
كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله
عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع

[في الهامش: من عدو او غيره صح]
[في الهامش: لة]
[في الهامش: صوا]
[في الهامش: او عليهم وصية صح]

بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها
لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا
تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول
غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب وقال قوم المراد نفقة العدة
ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك
اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه
سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا
لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب
وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به
من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيها الطاعون فخرجوا منها هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم
الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل
ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف وآلف كقاعد وقعود
والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم
موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من
غير علة بامر الله سبحانه وتعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر
حزقيل على داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب
من ذلك فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والا
ستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا
ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر
لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر
والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم
بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية

مرفوعة

ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى صح

مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض
الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا
اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل
القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن
كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدر
الا الله سبحانه وتعالى وقيل الواحد بسبعماية واضعافا جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير
او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى
الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي
لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم
لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم
نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال
ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى
اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض
لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك
ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء الملوك اربعماية واربعين فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم ثلاثماية وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا

من الطول اتسف بذ لقبه منع صرفه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعى
الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك منه وراثة
ومكنة وانه فقير لا مال له ليعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان
فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة وانما
كانت النبوة في اولاد لاوي والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين
خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى وقد
اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن
به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في
القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد
زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بان
الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه
واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى
طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق
فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء
التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة ويريد به صندوق التوراة وكان
من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او
للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه
الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس
الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو

القلب

القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا
للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون
رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما
او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون
اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي
صلى الله عليه وسلم وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى فلما فصل
طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل
نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم
لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال
ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب
منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه
مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان
شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما
قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب
منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر
في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه
يعني فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا وقيل
ثلاثة آلاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا
الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين
لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص
منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب

ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا
منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان
قوله فشربوا منه في معنى

فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزل عنه اعتذاراً في التخلف وتخذيلاً وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولاً افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت في ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه

فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت صح

ولذلك

ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقوله سبحانه وتعالى ورفعناه مكاناً علياً وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله اي هدى الله جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما وجب عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة

خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس صح

الناس صح

الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف
في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح
ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والا
مكان القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر
اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنايم *
والنوم حال تعرض للحيوان من استرخا اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم
السنة عليه والقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي التشبيه
وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نوم او نعاس ونوم كان مووف
الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي
بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على
تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او
خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض
وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه
وتعالى وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده
شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه
او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير
لما في السموات والارض لان فيهم العقلا او لما دل عليه من ذا من الملا
والانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يحيطون بشي من علمه من معلوماته
الا بما شا ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده
بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او
ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك
سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما

السموات

السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة وفضل
العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور
بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وكانه منسوب الى الكرسي الملبد ولا يووده ولا يثقله ماخوذ
من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الاضداد والاشباه
العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات
المسايل الالهية فانها دالة على انه سبحانه وتعالى موجود واحد في الا لهية
متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم
بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت
ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد كلها جليها وخفيها
كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يووده ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا من
يكتب من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ
مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه
خيرا ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات
الواضحات ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين
له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة
ولم يحتج الى الاكراه والالجا وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في
الدين وهو اما منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا
قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان والاصنام وكل ما عبد من دون الله

جليها
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشيا
تحمله عليه

او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك الحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوسواس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه من الفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الكفر الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف اليا قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض عن معارضته [illegible] الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا [illegible] وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود

زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحيا كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحيي كاحياء الله الذي مر على قرية وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحيا واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القايل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحيا قال كم لبثت القايل هو الله سبحانه وتعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحما المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان

عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل الكاف

الحمل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في
مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام من التغير والاول
ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك
اية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التوراة من الحفظ
ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها بمعنى انشرها ثم
نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين
له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي
قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها على طريقة التبكيت واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليكون علمه عيانا وقيل
لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال
ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم
تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم
انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى امنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب
بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه
ايماء الى ان احياء النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة
الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك
فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد
الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن اطراف الرماح تصورها

بالحياة الابدية انما تتاتى باماتة حب
الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس صح

وفرع يصير الجيد وحف كانه * على الليث قنوان الكروم الدوالح
وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وهما لغتان مشددة الراء من صره يصره
ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل
كانت اربعة وقيل سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله تعالى يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال
ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا
ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة
الابدية فعليه ان يقبل بالقوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض
حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل
او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ومن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه سبحانه وتعالى
اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة
في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل
حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما
كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله
سبحانه وتعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها
سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والد[خن]
وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف لمن يشاء بفضله وعلى حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب
والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر
انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى نزلت في عثمان بن عفان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الا

تلك المضاعفة

نفاق

وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم
اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف ورد جميل
ومغفرة وتجاوز عن السائل والحاجة او نيل المغفرة من الله سبحانه وتعالى
بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة
يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتدا بالنكرة لاختصاصها بالصفة
والله غني عن انفاق بمن وايذا حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضي الله سبحانه
وتعالى ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق ماله رئاء والكاف في محل
النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى
مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لانه المراد به
الجنس او الجمع كما في قوله • وان الذي حانت بفلج دماؤهم • والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى
على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه
الله تعالى ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة
الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي
ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون
احسن منظرا وازكى ثمرة وقرا ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر
وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب
الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل

زوجين

زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم
يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم
منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى
ان نفقة هؤلاء زاكية عند الله سبحانه وتعالى لا تضيع بحال وان كانت
تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم
بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرئاء وترغيب في
الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما
مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر
ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان
يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة
والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او العطف حملا على المعنى
وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس
من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال
الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرئاء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان
يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق
وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما
كسبتم من حلاله وجياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره
ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما
اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا
ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان
يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه

اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداته الا ان تغمضوا فيه اي
الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تُغمضوا اي
تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما
يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر
في الانفاق والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفُقْر بالضم
والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشا ويغريكم على البخل
والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه
اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا مما افضل مما
انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشا مفعول
اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول
لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا اي اوتي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر
وما يتعظ بما قص من الايات او وما يتفكر فان المتذكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه
من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن
شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة صح سرا وعلانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرطا وبغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم
عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون
الصدقات ولا يوفون بالنذر من انصار من ينصرهم من الله سبحانه
وتعالى ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيا
ابداوها وقرا ابن عامر وحمزة والكساي بفتح النون وكسر العين على
الاصل وان تخفوها وتوتوها الفقرا اي تعطوها مع الاخفا
فهو خير لكم فالاخفا خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابدا الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة صح علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قراه ابن عامر
وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفا وقرا ابن كثير وابو
عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة
فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفا اي ونحن نكفر وقرا
نافع وحمزة والكساي به مجزوما على محل الفا وما بعده وقرئ بالتا مرفوعا

ويجزوما

ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار
ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك
الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالمن والاذى وانفاق
الخبيث ولكن الله يهدي من يشا صريح بان الهداية من الله سبحانه وتعالى
وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث
وما تنفقون الا ابتغا وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا لابتغا وجه الله سبحانه وتعالى او ابتغا وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا صح فما لكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما
يخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق
خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقرا متعلق بمحذوف اي اعمدوا
للفقرا او اجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقرا الذين احصروا
في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في
الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من
اربع ماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم
بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل اغنيا بحالهم من التعفف
من اجل تعففهم عن السوال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب
للرسول او لكل احد لا يسالون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسول
حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما
عنده والمعنى انهم لا يسالون وان سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو
نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى لمناره ونصبه على المصدر فانه
لنوع من السوال او الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب
في الانفاق خصوصا على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصد يق

رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين ياكلون الربا اي الاخذون له وانما ذكر الاكل لانه معظم منافع المال ولان الربا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل ان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشوا من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بيقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح واستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة بدرهم تساوي درهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله سبحانه وتعالى وزجر كالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ واتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان

من قبول

عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسله وبما جاءهم عنه وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرا حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفي الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتبا واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قاله اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب او على الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل

من آت

وقرئ ذا عسرة

وقرا عاصم بتخفيف الصاد

المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل
مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر
الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة او
يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التا
وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزا ما عملت من خير او شر وهم
لا يظلمون بنقص ثواب او تضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية
نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل سبعة ايام
وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل
مسمى اي اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او
اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى
المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل
مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه
اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل
من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجي مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق
او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما
احسن الله اليك فليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا
يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين
تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق
الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملا واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس
ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املي عليه فان كان الذي عليه الحق
سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع
ان يمل هو او غير مستطيع الاملال بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل

يلي

عقل

عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط
اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلما وقال ابو حنيفة رحمه الله تسمع
شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان
رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا
مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن
ترضون من الشهدا لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان
نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال
سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت ان يجي عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان
تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة
ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا لادا الشهادة او التحمل
وسموا شهدا تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تساموا ان
تكتبوه لا تملوا من كثرة مدايناتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لا يقول المومن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا
او مختصرا كان او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها
وهما مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذا قسط وقويم
وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب
في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثنا عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بعين وبدين
وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا
باس ان لا تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على
انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
• بني اسد هل تعلمون بلانا • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا •

السلاح

الذى اقر به المديون

ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الايمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضار بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مونة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه الصلاة والسلام رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي تمن بادغام اليا في التاء وهو خطا لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزايه وفاق سائر ذنوبه وقرئ

او فليوخذ رهان

قلبه النصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد به لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فا جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله سبحانه وتعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقراه يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت

قوي ح

يق

من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها
وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر
تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان
او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا
فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطا
فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه
سبحانه وتعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه
الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطا والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا
عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة
وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل
حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد
به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدائد
والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف
التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق
والا لما سئل التخلص عنه والتشديد هاهنا لتعدية الفعل الى مفعول
ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة
الكفرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له
فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخيرة
اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا الآيتين من
اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال
عليه الصلاة والسلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قال السحرة

ال

سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها
لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت
للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء
الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء
بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه الصلاة والسلام قال
ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم
نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه
من الكتب وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام
واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية
العرب من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا
انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك
بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق
به بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز
بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات
الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله
عزيز غالب لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم
والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد
جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر
عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من
الادنى الى الاعلى ولكن المقصود بالذكر ما اقترف فيهما وهو كالدليل على

على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله
في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته
لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله
العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج
على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا
لما احتج به عليهم واجاب على شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال هن ام
الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل
كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر
فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل
العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح
في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله تعالى كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في
صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف
ولا يعرف الا انه في معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ
عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون به
بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلبوا ان يفتنوا الناس
عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء
تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهون ويحتمل ان يكون الداعي الى
الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه
الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا
الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استئناف موضح لحال

الراسخين

المرتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى ومن ركاكة اللفظ وقوله م

الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه
والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو
تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير
الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه
كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه
مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها بانه صوره في
الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين
وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل
لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب
على الظرفية واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على
الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤال وفيه دليل على
ان الهدى والضلال من الله سبحانه وتعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده
لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه
لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم
غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال ان الله لا
يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون
الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم
التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران
او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه وا
ولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره داب
هؤلاء كدابهم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح

العفو لا بل منفصلة كما هو مشروط بعدم م

فيه فنقلهم الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل
استئناف كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او
استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله
شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد
بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا
لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا
نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة
والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم
او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود او للمؤمنين
في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريب
الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك بعد ما
قللهم في اعينهم حتى غلبوا اخرهم مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون
المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر
الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة
نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وفئة بالجر على البدلية من فئتين والنصب على الاختصاص
او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد
بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي التقليل والتكثير
او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية
محتملة وتحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين
للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء
على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير
والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولانه

اجترؤوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى

زينة

زينة ابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه
يرتضيه الله سبحانه وتعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل
الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير
وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او
فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة
المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة
والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما
ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الاخرة خير من مستلذات الدنيا
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم بضم الراء وهما لغتان
والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال
الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها
متاع الدنيا واعلاها رضوان الله سبحانه وتعالى لقوله سبحانه وتعالى
ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا
آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه
كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله سبحانه وتعالى اما توسل
واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على
الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق
واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو
الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار فان المغفرة اعظم

المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة
منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعا فيها
اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع
سيما للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون
شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة
عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم
بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله
وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما
او احقه لانه حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف
للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا وقرئ
القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر المحذوف لا اله الا هو كرره
للتاكيد ومزيد الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة
الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم
العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل
من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه الصلاة
والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى
ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وقرا الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل
الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه او بدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على
الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى
لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق
وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد

فثلث

ثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى
اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد
ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها
بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر
منهم فان حاجوك في الدين بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي
وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه
الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة
ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول
معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب
ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل
انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ
اي لم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد
وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم الانبياء ومتابعيهم وهم
رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم
وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرا حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه
ادخال الفا في خبر ان كليت ولعل وكذلك قبل الخبر اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتدا وما لهم من ناصرين تدفع عنهم العذاب الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب
الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القران او التوراة
لما روي عنه انه عليه الصلاة والسلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا انه كان يهوديا
فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم
وقرئ ليحكم على البنا للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على

اوجادلوك فيه

لخلاف فيها

ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الا
عراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك
اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزايغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار
لن تمسهم الا اياما او روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار فكيف
كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المومن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا
قبل دخولها فاذن هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس
على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان
وهو من خصايص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته
وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف
الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء وتسترد
فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها
نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة
او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل
شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ
لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب في الخطاب
او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه الصلاة والسلام لما خط الخندق
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء منه ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضربها الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض

قالوا وان اباهم الانبيا يشفعون لهم وانه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما مع

الروم

الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل
ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شي قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على
معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على
ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول
في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة
والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها
او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المومن من الكافر والكافر
من المومن لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في
الغزو وساير الامور الدينية من دون المومنين اشارة الى انهم الاحقا بالموالاة
وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اوليا
فليس من الله في شي من ولايته في شي يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين
لا يجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم انني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاوه او اتقا فالفعل
معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع عن
موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة
حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم
الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة
اعدايه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان
المحذور منه عقاب يصدر منه فلا يوبه دونه بما يحذر من الكفرة قل
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمايركم من
ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما
في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شي قدير فيقدر على عقوبتكم
ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله سبحانه وتعالى ويحذركم

الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرته ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر معنى اوقع لانه حكاية كاين واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رءوف بالعباد اشارة الى انه سبحانه وتعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب اليم فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشي لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله سبحانه وتعالى وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبويكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بالطاعة واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في اقوام زعموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله سبحانه وتعالى فامروا ان يجعلوا قولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية

والجسمانية

في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله وقيل صح

والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله سبحانه وتعالى عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملايكة وال ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وال عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يود بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن يوشيا بن امون بن منشكن بن حزقيا بن احاز ابن يوثام بن عزريا بن امصيا بن يواش بن اخزيا بن يورام بن يهوشافاط بن اسا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشي ابن عوبيد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميناداب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج ابنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشي او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان

تلد ذكرا

وقيل بعضها من بعض في الدين

تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشي الذي وضعت
وهو استيناف من الله سبحانه وتعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها
وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بوضعت على انه من كلامها
تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس
الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما
ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم
والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه
الا مريم وابنها فان الله سبحانه وتعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل
به النذر اي وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر
وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها
كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل
وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا
سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول
حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول
امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها
بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفا حمزة والكسائي
وعاصم وقصر زكريا غير عاصم وفي رواية ابن عياش على ان الفاعل
هو الله تعالى وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخفف الباقون ومد زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب

اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه
محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الاتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر قالت هو
من عند الله فلا يستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا
قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من
كلامهما وان يكون من كلام الله سبحانه وتعالى روي ان فاطمة رضي الله
عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية وكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فقال انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء
بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام
كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان
او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها
من الله سبحانه وتعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها
لحنة العجوز العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك ذرية لانه لم
يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه
فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي
كان جبريل وحده وقرا حمزة يبشرك يحيى بالامالة والتذكير وهو قائم
يصلي في المحراب اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر
او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن
عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي
يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون
اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل

لنفسها

وقيل لما راى الفواكه في غير وقتها اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ

كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس
كلهم في انه ما هم بمعصية قط وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات
والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب
خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة
ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما
او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر
السن واثر فيّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون
سنة وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب
مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه
وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد وكذلك الله مبتدا
وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر
مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب
اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر
او تزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اي
لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص
المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد
او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل
والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمز
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا *
واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد
الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى
الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار
من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك معجزة زكريا
او ارهاص لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على انه تعالى

كرامة

لم

لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى وقيل الهموها
والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة
واغناها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني
هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد
من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها
آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت
بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم الركوع
على السجود اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب
الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع
ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله سبحانه
وتعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله
وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك اي ما ذكر من القصص من الغيوب التي كانوا يلبسون بها التورا
ة تركها والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان معرفة طريق
الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم
فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقون ليعلموا او يقولون
ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة
بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى المسيح لقبه وهو من
الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك
وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره
من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل او من العيس
وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز
تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم
جنس مضاف ويحتمل ان يراد به ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة
فان الاسم علامة المسمى والمميز له من سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا
محذوف وابن مريم صفة وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه

لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم الاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم

ابن مريم

يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة
وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين
من الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء
وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا
وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد به للصبي
من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله
المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين
حال ثالثة من كلمة وضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم
يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره
قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله وجبريل حكى لها قوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه كما قدر ان يخلق الاشيا
مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل كلام مبتدأ ذكر لتطييب قلبها وازاحة لما
اهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك
او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على
ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على
الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم
وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى
غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب على البدل من اني قد جئتكم
او جر بدل اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل
صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن
الله فيصير حيا طيارا باذن الله سبحانه وتعالى نبه على ان احياءه من الله تعالى لا
منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما
كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى
وما يداوي الا بالدعاء واحي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية
فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية

لكم

لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين
الحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على
الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا
كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك منه او باضماره او مردود على قوله
قد جئتكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه الصلاة
والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل
على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه
مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب
فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من
ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربي
وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبي والساحر
او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى
مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة
والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني فيما ادعوكم اليه
ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم
اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الا
تيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين
هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام
قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده
تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله سبحانه
وتعالى او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا
معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى
ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم ونقاء
سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة

اى وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود الى قوله قد جئتكم صح

النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة صح

والسلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار
الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم
القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك
او مع الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون لاتباعهم او مع
امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهدا على الناس ومكروا اي
الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر
الله حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى
قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة جلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى
الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف
لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من
توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم
رفعه الى السما واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف
في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم
تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير
لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغايبين فاحكم بينكم فيما كنتم
فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك وقوله
من الايات والذكر حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل
معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم
المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل
اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي ان شانه الغريب كشان ادم خلقه
من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وانه خلق بلا اب كما خلق

ادم

من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا

ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب منه افحاما للخصم وقطعا
لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا
كقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان
يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق
المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على
طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من الايات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى
المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم
ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة
بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا
تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم
لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم
ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين
اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت
فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله تعالى
ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمرا وثلاثين درعا من حديد
فقال صلى الله عليه وسلم لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم
عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر
وهو دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم وفضل من اتى بهم من اهل بيته
ان هذا اي ما قص من نبا عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان
او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما
بعده خبر واللام دخلت فيه على الفصل لانه اقرب الى المبتدا من الخبر
واصلها ان تدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق

والذي نفسي بيده

تاكيدًا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المودي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا تختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة اي فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد اليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبيا والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم

هولاء

هولاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا به على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهولاء خبره وحاججتم (حججتم) جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هولاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هولاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما (بمقتضى) قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي (بالنصب) عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المومنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال وما يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح البا اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة والسلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة

كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا
بالذي انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا
الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثني عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولون
اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد
في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى
الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى
ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم
ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله
اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من
الهدى وقرا ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول
اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم او
يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير
احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
ابن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامون على الكثير
النصارى اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والمرافعة واقامة البينة
ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا

فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب

اهل

اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك انهم استحلوا ظلم من خالفهم
وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما
اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في
كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله
ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر
والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيه سبيل من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير
المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى
ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول
صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله
لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم بما يسرهم او بشيء اصلا
وان الملائكة يسالونهم يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته
والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولهم عذاب اليم على ما فعلوه وقيل
انها نزلت في احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم
الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وانها نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد
اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي
في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك
وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلؤون على قلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما
هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه
بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تاكيد لقوله ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا
لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد
فعل الله سبحانه وتعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب

ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه والاين اليهم يثني عليهم صح

والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من
النصراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان
يعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني
منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم
معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة
الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس
بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا
المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم
يقول وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا والخبر مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر
باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون
على الاستئناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر
وقيل لله سبحانه وتعالى بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به
اولى وقيل انه على ظاهره واذا كان سبحانه وتعالى اخذ الميثاق من النبيين
وامهم واستغنى بذكرهم عن الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين
اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو
اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من

معناه

محمد

محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم
والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل
ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن
به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف
احدى الميمات الثلاث استثقالا قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر
او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن
تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين
الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ
الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين
على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي
طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة
والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم
واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل
علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله
عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران كما هو منزل
عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من
الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزل
لا يتعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل تعدى بعلى لانه من فوق وانما قرن
المنزل عليه عليه الصلاة والسلام على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف
له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن

ق

ط

له مسلمون منقادون ومخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا
غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد
للنفع وواقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها
واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب
انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له
منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي
ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل
ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل
على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر
ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان
لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا
ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح
فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه وقيل انها نزلت في الحرث
حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه
اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى
والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا
بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد
والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا

بمكة

بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه
باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك
فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة
حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم
وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثا
بتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على
التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به
في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله
كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف
ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم
مبالغة في التحذير والاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه
تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن
تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله
سبحانه وتعالى الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن
في طاعة الله والمهجة في سبيله سبحانه وتعالى روي انها لما نزلت
جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث
اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في
الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال زيد انما اردت ان
اتصدق به فقال عليه الصلاة والسلام ان الله قد قبلها منك وذلك
يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية
تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على
ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء محبوب
او غيره ومن للبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي
المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر

١١٠

١٠٩

نعت سوء وذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم **إلا ما حرم اسرائيل على نفسه** كلحوم الابل والبانها وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطبا واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد والمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء **من قبل ان تنزل التوراة** اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم بقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** امر بمحاجتهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته صلى الله عليه وسلم **فمن افترى على الله الكذب** ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم **من بعد ذلك** من بعد ما لزمتهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح **قل صدق الله** تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله سبحانه وتعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه **وما كان من المشركين** فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود **ان اول بيت وضع للناس** اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله سبحانه وتعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه آدم فانطمس

في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال **فيه ايات بينات** كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابراهيم** مبتدا محذوف الخبر اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان امنا** جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلاة والسلام من مات في احدى الحرمين بعث يوم القيامة امنا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجي الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهي لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشي فهو سبيله **ومن كفر فان الله**

يعقوب

والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليل لحوم الابل والبانها صح

ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه صح

فان

ليتمكن من رفع الحجارة صح

امنا

على الزمن صح

مرين

غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على
تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق
واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح
بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل
الكفرة وذكر الاستغناء في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان
وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الا
ستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق بين
كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال
على الله سبحانه وتعالى روي انه لما نزلت صدر الاية جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله سبحانه وتعالى كتب عليكم
الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الـ
دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره
وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا
انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والا
ستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر
الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل
واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله
دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال
من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه
عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها
سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما

كان

١١١

كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تآلفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل
فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول ان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم
في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم
بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم
فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما
يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم
كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن
الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة
اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة
وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى
حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات الى الفعل تارة والى القيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه
الصلاة والسلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك
به سبب للنجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي
والوثوق به والاعتماد عليه والاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه

المنكر في الاية الاولى لكفرهم وهم
يجهرون به ختمها بقوله والله
شهيد ولما كان صح

ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا
تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او ولا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق
للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية
متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين
مجتمعين على الاخوة في الله سبحانه وتعالى وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة
حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه الصلاة والسلام
وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم
اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو
فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله لكم آياته دلايله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية
ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم
بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب
الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا
اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا الكل ما هو فرض كفاية
او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف والدعا الى الخير يعم الدعا الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يامر به والنهي عن المنكر واجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكب
لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر

ولا

112

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه
مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام
من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب
عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكروا وبياض الوجه وسواده
كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل
الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من
حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلايل والآيات
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء
لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمت الله يعني الجنة والثواب
المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المومن وان استغرق عمره في طاعة
الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم
ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المومنين
وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه
قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة
في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما
الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شي فيظلم
بنقصه ولا يمنع عن شي فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما
وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على
انقطاع طرا كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله
او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة

اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام

او خيرتنا ان كنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان
الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما
اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله سبحانه وتعالى وتصديقا به واظهارا للدين
واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل
معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل
كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان
خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن
سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون وهذه الجملة والتي
بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا
يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا
يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او
يدفع باسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك انهم
لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم
العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في الرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها
الواقع اذ كان ذلك لبني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من
اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او
متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين
له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على
اهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من
الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد
بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب
اعتقادهم ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي

الي

الى الكبائر والاصرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم
فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا
ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة
قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من
اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل
وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة
العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه الصلاة والسلام
اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص
ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله
ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب
متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات
ممن صلحت احوالهم عند الله سبحانه وتعالى واستحقوا رضاه وثناه وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية
الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص
وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين
بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله
سبحانه وتعالى هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا من العذاب او من الغنا فيكون مصدرا او اولئك اصحاب
النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحياة الدنيا كمثل
ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في
الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد
بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والعصيان فاهلكته عقوبة
لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه
بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا

في الآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم أهل الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقوله ولكنّ من يبصر جفونك يعشق يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من أفواههم أي في كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين إن كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الأول صفات لبطانة ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما يخفونه من عض الأنامل غيظا وأن لا يكون

والمعنى انهم لا يحبونكم مع

من اجل التأسف والتحسر حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم

خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكا

ليف

وتتقوا موالاتهم وما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن الجد في الأمر المدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للإتباع كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخل علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فبالغوا حتى دخل فلبس لأمة حربه فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنوا

سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن
تجبنا وتضعفا روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء ألف رجل ووعد
لهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلثماية وقال علام
نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله
في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه
فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنها ما
كانت عزيمة لقوله والله وليهما أي عاصمهما من اتباع تلك الخطوة ويجوز
أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي
فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم
الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة ولم
يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح
فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما أنعم به عليكم بتقويتكم من نصره أو لعلكم
ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه إذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من إذ غدوت على أن قوله يوم أحد وكان
مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول
فلم تنزل الملائكة ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
إنكار أن لا يكفيهم ذلك وإنما جيء بلن إشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر
لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف
من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين
بالتشديد للتكثير أو للتدريج بلى إيجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم ثم وعد
لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم أي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو
في الأصل مصدر فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال
التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى إن يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال إتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم بمعنى
الإسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله
الله وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشرى لكم إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
قلوبكم به ولتسكن إليه من الخوف وما النصر إلا من عند الله لا من العدة

الذي يوافقها سيما النبي لقوله عم
لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد
تسومت او مرسلين من التسويم

والعدد

والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد وإنما أمدهم ووعد
لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب
أكثر وحث على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في أقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم أو وما النصر إن كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين
من صناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم والكبت شدة غيظ أو وهن يقع في
القلب وأو للتنويع لا للترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال
ليس لك من الأمر شيء اعتراض أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على قوله أو
يكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو
يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما
أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر
أو شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به
أو يعذبهم فتتشفى منهم روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر
رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم فنزلت أي ليس لك من الأمر شيء وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله
سبحانه وتعالى لعلمه بأن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم
ولله ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا فله الأمر كله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمه
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر إلى الدعاء عليهم يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل
التخصيص بحسب الواقع إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه
زيادة أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون
راجين الفلاح واتقوا النار التي أعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض
للعصاة وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى
ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا وأقبلوا إلى مغفرة من ربكم إلى ما يستحق به

او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شي
او ليس لك من امرهم شي او التوبة
عليهم او تعذيبهم وان تكون او
بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شي

المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو
وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما للمبالغة في وصفها
بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه
كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها الى بعض اعدت للمتقين هيئت
لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون [illegible] صفة مادحة للمتقين او صفة مدح منصوب او مرفوع في
السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو
عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت
القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين
عقوبة من استحقوا مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا
فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا
اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله
تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة
ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين
والمراد به سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير
مستغفرين لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصر من استغفر وان عاد في
اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم
عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدات به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة
للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد
النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل
على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية
المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون

مستو

وذكر العرض [illegible]

الصوغة ولعل الفاحشة ما تتعدى وظلم النفس ما لا

وصفه

مستوجبون لمحبة الله سبحانه وتعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين
المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر
لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك
يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم
المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم
قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثله في سالف الناس
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما
ترون من اثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا
للمكذبين فهو زيادة تبصرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين
والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى
لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله سبحانه وتعالى وقتلاكم
في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم
منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان
صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله سبحانه وتعالى او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن
عياش بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد
اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى
بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم
احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام
نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوم علينا ويوم لنا ● ويوما نساء ويوما نسر ●
والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه الايام تحتمل الوصف

عن عاصم

والخبر وتداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المومن
فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزا وهو العلم
بالشي موجودا ويتخذ منكم شهدا ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد
شهدا احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات
والصبر على الشدايد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر
الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلا
للمومنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق
نقص الشي قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل
على انه فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل
وقري يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين
نصب باضمار ان والواو للجمع وقري بالرفع على ان الواو للحال كانه
قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب
فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا
بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا
لينالوا ما نال شهدا بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج
من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه
وانتم تنظرون اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من
قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا
وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت
او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم

وانقلابهم

تحال و

عن
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله
وبقا دينهم متمسكا به وقيل الفا للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله
قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه
مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل
فانكفا الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلا
ثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي
ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد
فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرا اليك منه وشد بسيفه
فقاتل حتى قتل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا بارتداده بل
يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او باذنه
لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضايه لا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه
تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتاخير
الاجل كتابا مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا صفة له اي موقتا
لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ومن يرد ثواب الاخرة
نوته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله سبحانه
وتعالى فلم يشغلهم شي عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت
بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكاين ككاعن
ووجهه كياين ثم حذفت اليا الثانية للتخفيف ثم ابدلت اليا الاخرى الفا
كما ابدلت من طائي من نبي بيان له ربيون كثير ربانيون علما اتقيا او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون
حال منه ويويد الاول انه قري بالتشديد وقري ربيون بالفتح على الا
صل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله

لانكار ان يجعلوا خلو الرسل بعد
قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم
وفاته صح

وجهه

نوف

تعريض بمن شغلتهم الغنايم يوم احد فان
المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما راى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم
فانتهز المشركون وحملوا عليهم من
ورايهم فهزموهم صح

قتل معه

صل

ودعلي في لعمري فصار م

فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم وما ضعفوا
عن العدو أو في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو وأصله استكن
من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من إشباع
الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا
تعريض بما أصابهم عند الإرجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي وما كان
قولهم مع قوتهم وثباتهم في الدين وكونهم ربانيين إلا هذا القول وهو إضافة
الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها
والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون
عن خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الإجابة وإنما جعل قولهم خبراً لأن أن قالوا
أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار
واللجأ إلى الله سبحانه وتعالى في النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن إشعاراً بفضله وأنه المعتد
به عند الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند
الهزيمة ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل وقيل إن تستكينوا
لأبي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل عام في مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجر إلى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم
وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا
به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف
في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه الصلاة
والسلام إن شاء الله تعالى وقيل لما رجعوا وكانوا في بعض الطريق ندموا وعزموا
أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر
والكسائي ويعقوب بالضم على الأصل في كل القرآن بما أشركوا بالله
بسبب إشراكهم به ما لم ينزل به سلطاناً أي آلهة ليس على إشراكها حجة
ولم ينزل به عليهم سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر

ومأواهم

وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين أي مثواهم فوضع الظاهر موضع
المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده أي وعده إياكم بالنصر
بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فإن المشركين لما أقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم إذ تحسونهم بإذنه تقتلونهم من حسه إذا أبطل حسه حتى إذا فشلتم
جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف العقل وتنازعتم
في الأمر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر دون
العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما أراكم
ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب إذا محذوف وهو
امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد
الآخرة وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن
ثباتكم على الإيمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلاً ولما علم من ندمهم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو في الأحوال كلها سواء
أديل لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة إذ تصعدون متعلق بصرفكم أو
ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض يقال أصعدنا من
مكة إلى المدينة ولا تلوون على أحد لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الأخرى فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا
ما أصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غماً
متصلاً بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل
الرسول أو فجازاكم غماً بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم
له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر
لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى
ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير بما نزل عليه ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما أصابكم من
الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها ثم أنزل عليكم

في فأثابكم للرسول أي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه

من بعد الغم أمنة نعاسا أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس وعن أبي
طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه والأمنة الأمن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها أو
هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أو مفعول له أو حال من المخاطبين
بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها
المرة من الأمن يغشى طائفة منكم أي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا
على الأمنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم
أوقعتهم في الهموم أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله
غير الحق ظن الجاهلية صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه
البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق
الذي يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
وأهلها يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون هل
لنا من الأمر من شيء هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر نصيب قط وقيل أخبر
ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا
من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله أي الغلبة الحقيقية لله تعالى وأوليائه
فإن حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
اعتراض وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في أنفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون أي يقولون كأنهم مسترشدون
طالبون النصر مبطنين الإنكار والتكذيب يقولون أي في أنفسهم أو إذا خلا بعضهم
إلى بعض وهو بدل من يخفون أو استئناف على وجه البيان له لو كان لنا
من الأمر شيء كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم وزعم أن الأمر كله لله ولأوليائه أو
لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأي ابن أبي وغيره ما قتلنا ههنا
لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه
ولم ينج منهم أحد فإنه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من
الإخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أي وفعل ذلك ليبتلي أو عطف
على محذوف أي لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جمة وللابتلاء أو على قوله لكيلا

والظفر

مظهرين

القتل وكتب في اللوح المحفوظ
إلى مصارعهم ولم ينفعهم

تحزنوا

119

ولتمحيص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوسواس والله عليم
بذات الصدور بخفياتها قبل إظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه
غني عن الابتلاء وإنما فعل ذلك لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين إن الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني
إن الذين انهزموا يوم أحد إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل
فأطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص
على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة
والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور
للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لإخوانهم لأجلهم وفيهم ومعنى إخوتهم
اتفاقهم في النسب أو المذهب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا [illegible] للتجارة
أو غيرها وكان حقه إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية
أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
مفعول قالوا وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على أن اللام لام العاقبة مثلها في
ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك إشارة إلى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله
يحيي ويميت رد لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر
فإنه سبحانه وتعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله
بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي بالياء على أنه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله أو
متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي [illegible] من مات يمات
[illegible]
[illegible]
السفر والغزو ليس مما يجلب الموت [illegible] وقع ذلك في
سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا

فيها

وما منها الولد توتوا او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرا نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله سبحانه وتعالى وهو ربطه على جاشه وتوفيقه بالرفق لهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله سبحانه وتعالى وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء او عينته لك فتوكل ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله سبحانه وتعالى وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر لهم سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم احدا كما اوطن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة واما المبالغة في النفي للرسول على ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل على البنا للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في

الحديث اي وبما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم توفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدا محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلو عليهم اياته اي القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى ما اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفتم انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة [illegible] ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كاين بقضايه وتخلية الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم

الحويا

(حاشية) اغا اتهم بها اذ روي ان قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها

(حاشية) عن علي … او من المدينة … باختياركم الفدا يوم بدر

ليتميز

وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا * وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء
وكفر هؤلاء * وقيل لهم * عطف على نافقوا داخل في الصلة أو كلام مبتدأ
تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا * تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقا
تلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة
او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه * قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم * لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا
لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء * هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان * لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل
لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية
للمشركين وتخذيلا للمؤمنين * يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم * يظهرون
خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه
تاكيد وتصوير * والله اعلم بما يكتمون * من النفاق وما يخلو به بعضهم الى
بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات * الذين قالوا *
رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر
بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله * على جوده ضن بالماء حاتم
لاخوانهم * اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم * وقعدوا *
حال بتقدير قد اي قالوا قاعدين عن القتال * لو اطاعونا * في القعود * ما قتلوا *
كما لم نقتل * قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين * اي ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة
فكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون
الامر بالعكس * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا * نزلت في شهداء
احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن
عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين * بل احياء * اي بل هم احياء وقرئ
احياء بالنصب على بل احسبهم احياء * عند ربهم * ذوو
زلفى منه * يرزقون * من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء * فرحين بما آتاهم
الله من فضله * وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من

الله

لكون ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه

الله سبحانه وتعالى والتمتع بنعيم الجنة * ويستبشرون * يسرون بالبشارة * بالذين
لم يلحقوا بهم * اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم * من خلفهم * اي الذين
من خلفهم زمانا او رتبة * الا خوف عليهم ولا هم يحزنون * بدل من الذين والمعنى
انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور
وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو
جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه
والتذاذه ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى في آل فرعون النار يعرضون
عليها الاية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام
قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا
ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة
وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى
للمؤمنين بالفلاح * يستبشرون * كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله
الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم * بنعمة
من الله * ثوابا لاعمالهم * وفضل * زيادة عليه كقوله سبحانه وتعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم * وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين * من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر
على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان
من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة * الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح * صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ
خبره * للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم * بجملته ومن للبيان والمقصود
من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون
متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه
للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد
وهي على ثمانية اميال من المدينة فذهبوا فنزلت * الذين قال لهم الناس *

وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا

يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه
الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني
ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى فلما كان
القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له
ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريد المدينة للميرة فشرط لهم حمل
بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم
معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا
افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول
لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله سبحانه وتعالى
وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان
وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج
وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة
من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة
فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء
من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير
الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب
في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة

النفع

١٢٢

النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف
وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به
المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفة وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى
الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه
وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا
يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله
شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم
وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في
الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم
على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم
الراحمين ان لا يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن
الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم تكرير للتأكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من
المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول
وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على
البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان
الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تنفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة
في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء
على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن
ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم

من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ

وشانهم من املا لغريمه اذا اخرته الطول ليزع كيف يشا إنما نملي لهم ليزدادوا
إثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند
المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالتاء
محق ولا يحسبن الذين كفروا ان انما نملي لهم لازديادا لاثم بل للتوبة
والدخول في الايمان وانما نملي لهم خبر اعتراض معناه ان املاءنا خير لهم
ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون
حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم
حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان
الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي
لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل
عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا
على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله سبحانه وتعالى
ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا
من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه الصلاة والسلام قال
عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم
انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق
الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن
قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو
خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب ومن جعله
الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن
البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدي

زكاة

١٢٣

زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله
بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء
خبير فيجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه الصلاة والسلام
بعث ابا بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا
ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا
من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الحفظة
او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى او استهزا
بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه
تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم
يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح
التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم
بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق
ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات
وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به
للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب
بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي
عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما
قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا
الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل

وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله
اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار
القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع
في ذلك **قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين** تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا
ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان
الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان
لاجله فما لهم لم يؤمنوا بما جاء به في معجزات اخر واجترؤوا على قتله
**فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر
والكتاب المنير** تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب
في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته
اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وباعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات **كل نفس ذائقة الموت** وعد ووعيد للمصدق والمكذب
وقرئ ذائقةٌ الموتَ بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا **وانما توفون اجوركم** تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا
تاما وافيا **يوم القيامة** يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه
قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار **فمن زحزح عن
النار** بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى له **وما الحياة الدنيا** اي لذاتها وزخارفها **الا متاع الغرور**
شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا
لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور
مصدر او جمع غار **لتبلون** اي والله لتختبرن **في اموالكم** بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الافات **وانفسكم** بالجهاد والقتل والاسر

والجراح

الجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب **ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا** من هجاء الرسول صلى الله عليه
وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعه
ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك **وتتقوا** مخالفة امر الله سبحانه وتعالى **فان ذلك** يعني الصبر
والتقوى **من عزم الامور** من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما
عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو
امضائه **واذ اخذ الله** اي اذكر وقت اخذه **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** يريد
به العلماء **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** حكاية لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب
عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب **فنبذوه** اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك
الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله **ثمنا قليلا** من حطام الدنيا واعراضها **فبئس ما
يشترون** يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله
الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا **لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين
يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة
من العذاب اي فايزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول
وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا
مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول **ولهم عذاب اليم** بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه الصلاة والسلام
سال اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما اتوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم
راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون

يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفا بالميثاق واظهار الحق

التوفية

بما فعلتهم ويستحمدون للمسلمين بالايمان الذين لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك
السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم
وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلايل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوايب
الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة
انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير
العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في
رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث
حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قايما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي
رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم
بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو
افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه
المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينا
رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السما والنجوم فقال اشهد ان
لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على
شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اي يتفكرون قايلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على
انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون
مبدا الوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية صح والسعادة الابدية
في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض
فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفا
الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة

ربنا

ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة
خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين
من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم
سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة صح نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة
وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي
واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنهما معنى الانتهاء
والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كباىرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة لكن مكفرة
عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم
وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله تعالى ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والا
برار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي
وما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال
ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين
لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على
بمحذوف وتقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل على بمعنى السنة
رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد
باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث
بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطا
لب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام
اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول
من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر
او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق
في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال
روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما

اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشاير للدين فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سياتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي لاثيبنهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر موكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل المتقلب نزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم. روي ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمومنين قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبيس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن وجمعه باعتبار

[هامش: عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم]

المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدايد الحروب واعداء عدوك في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله تعالى كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملايكته حتى تحجب الشمس والله سبحانه وتعالى اعلم

[هامش: واستغنايه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء]

سورة النساء مدنية

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي ادم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حوا وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الايات التي بعدها وقرى وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث

[هامش: من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها]

الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله
تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا حمزة والكسائي بطرحها
والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او
على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر
عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع
على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل
به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه
وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات
ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما لانه جرى مجرى الاسماء
كفارس وصاحب جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى
كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف
خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع
لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل
ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا
او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول
ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا
الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم
بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل لا تاخذوا الرفيع من اموالهم
وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل **ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم** ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوها معا ولا تسووا
بينهما وهذا حلال وذا حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى
فلياكل بالمعروف **انه** الضمير للاكل **كان حوبا كبيرا** ذنبا عظيما وقرئ حوبا
وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا **وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** اي ان خفتم ان لا تعدلوا في
يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل

يتيمة

يتامى ثم قلب فقيل يتامى او انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ع

يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد
ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان
المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه لما عظم امر اليتامى تحرجوا
من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا
تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا
الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت
ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا **مثنى
وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة واربعة
واربعة غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت
اصولها لم تبن وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة
والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح
يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان
المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو
لذهب تجويز الاختلاف في العدد **فان خفتم ان لا تعدلوا** بين هذه الاعداد
ايضا **فواحدة** فاختاروا او فانكحوا واحدة او فالمقنع واحدة **او
ما ملكت ايمانكم** سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي التقليل منهن او
اختيار الواحدة او التسري **ادنى ان لا تعولوا** اقرب ان لا تميلوا من قال
الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن
حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده
قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال
الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد
وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة
وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** عطية

وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر تقديره فيكفيكم واحدة

يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها
على المصدر (لانها في معنى الايتاء) او الحال من الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن ناحلين
او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله سبحانه وتعالى وتفضلا منه عليهن
فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا
دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه
والخطاب للازواج وقيل للاوليا لانهم كانوا ياخذون مهور موليّاتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله • كانه في الجلد توليع البهق •
اردت كان ذاك وقيل للايتا ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب
النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال
منه بعثا لهن على تقليل الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه
وانفقوه حلالا بلا تبعة والهني والمري صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما
المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهني ما يلذه الانسان
والمري ما تحمد عاقبته • روي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم
من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاوليا لانها في تصرفهم وتحت
ولايتهم وهو الملايم للايات المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي
لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم
ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفها استخفافا بعقلهم واستهجانا
لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي
تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل
الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة • وقرئ قيما بمعناه
كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقوم به **وارزقوهم فيها واكسوهم**
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما
يحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة تطيب بها
نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره
احدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى** اختبروهم قبل البلوغ بتتبع

احوالهم

احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل
اليه مقدمات العقد وعن ابي حنيفة رحمه الله بان يدفع اليه ما يتصرف
فيه **حتى اذا بلغوا النكاح** حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يبلغ (عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة عشرة سنة)
يستكمل خمسة عشر سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني
عشر سنة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح
للنكاح عنده **فان انستم منهم رشدا** فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ
احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ
ونظم الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية
الابتلا كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه (لا يدفع) اليهم ما لم
يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على
سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل
يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم
او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم **ومن كان غنيا فليستعفف** من اكلها
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ
الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي
وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من
ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا
التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا
على انفسهم اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم**
بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان
وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار
عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة **وكفى بالله حسيبا** محاسبا
فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون** يريد بهم المتوارثين بالقرابة **مما قل منه او كثر** بدل
مما ترك باعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على انه مصدر مؤكد
كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب

او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه وروي ان اوس ابن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النسا والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجات ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على تاخير جواز البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين ممن لا يرث فارزقوهم منه فاعطوهم شيا من المقسوم تطييبا لنفوسهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصيا بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او الحاضرين المريض عند الايصا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضرهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفا الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى

الذي

ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرى يورث على البنا للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلا بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراة والمدلول عليه بقوله يوصى على البنا للمفعول في قراة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده قراة ان قرى غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى
وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه
صقر صايدا به غدا وكذلك خالدا اذ ليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز
الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي ياتين الفاحشة من نسايكم اي يفعلنها
يقال اتى الفاحشة والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المومنين تشهد عليهن فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى
يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملايكة الموت قيل كان
ذلك عقوبتهن في اوايل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية
بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض
للرجال ولم يذكر الحد استغنا بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا
كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان ياتيانها
منكم يعني الزانية والزاني وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين
مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فاذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذا او اعرضوا
عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك
المذمة وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى
ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني
في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله سبحانه وتعالى
بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين
بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل
حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت
لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله
سبحانه وتعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب
لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر
عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو
ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم

وجاها وغشيها ورهقها اذا فعلها

وعد

١٣٢

وعد بالوفا بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله
عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التايب وليست
التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الان ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد
بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولا وعدم توبة هولا سوا وقيل المراد
بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون السيات المنافقون لتضاعف
كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون وهم كفار الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا
اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم
متى شا والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تا يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها
كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شا
تزوجها بصداقها الاول وان شا زوجها غيره واخذ صداقها وان شا عضلها
لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن
على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرا حمزة
والكساي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما
يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال
عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النسا
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة
كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثنا من اعم عام الظرف او المفعول
له تقديره لا تعضلوهن للافتدا الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقرا ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب
والطلاق بفتح اليا والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف
في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو
اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزا فاقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال

دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو

[illegible] تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم إحداهن اي احدى الزوجات
جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا
اي من القنطار [illegible] بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا
لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الاثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد
جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت
المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسرها هنا بالظلم
وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال
انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا
عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
وقيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين
الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل تستحقون العقاب
بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞
والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل
الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فلا مؤاخذة عليه لانه مقرر
انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص
فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي الرجل من زوجة ابيه
المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد
تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى
الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في
النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدتك وان علت وبناتكم
يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات
من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرك

ولدك

اصلح الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم
كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع
الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه
الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق
القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق
في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه
وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع
عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما
منحوا به ويأمرون الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح
الحرفين وهي لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم
احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه
موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله سبحانه وتعالى
ومن كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء
والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا
تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف
الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط
سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه
بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم
كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد الابليس واعوانه الداخلة

لي

ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان

والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي
وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو
توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشي على خلاف ما هو
عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يودي بهم الى العلم بما
فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع
وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره
الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر
شي كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاوه
وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث
الخبر او لاضافة المثقال الى مونث وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلا
بمعنى ويوت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على التفضل زايدا على
ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه
تابع للاجر مزيد عليه فكيف اي فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود
والنصارى وغيرهم فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد
على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هولاء شهيدا
تشهد على صدق هولاء الشهدا لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وقيل هولا اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل
الى المومنين كقوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم
الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا والارض سوا ولا

يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو
للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم
الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التا
في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التا الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
اي لا تقربوا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة
حين كانت الخمرة مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب
فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة
مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وانما
المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى
بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى
كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة
في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه الذكر
والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل
متعلق بقوله ولا جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث
ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب
عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد
الا اذا كان فيه الما او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة
وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف منه من استعمال
الما فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغايط فاحدث بخروج الخارج من
احد السبيلين واصل الغايط المكان المطمئن من الارض او لامستم النساء
او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل
من الملامسة فلم تجدوا ما فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود

استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الما وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا صح

وتوجيه التقسيم ان المرخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر علي بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما حدث بالذات او بالعرض واستغني عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا او مرضي او علي سفر او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي تعمدوا شيا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده علي حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد ان يتعلق باليد شي من التراب لقوله تعالي في المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتدا الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الي المنكب وما روي انه صلي الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الي مرفقيه والقياس علي الوضو دليل علي ان المراد ههنا وايديكم الي المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الي الذين اوتوا من روية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالي لتضمين معني الانتها نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة بالهدي يختارونها علي الهدي او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشا ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المومنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدايكم وقد اخبركم بعداوة هولاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفي بالله وليا يلي امركم وكفي بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والبا تزاد في فاعل كفي لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا يحرفون بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدايكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه علي ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقري الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الي ما

تدعوا

اي يقول المبطي لمن تخلف من المنافقين وضعفة المسلمين تعريضا وتحسرا كان لم يكن بينكم وبين محمد صلي الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم [illegible] يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولي وقوله [illegible] لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعني وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتا لتانيث لفظ المودة والمنادي في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه علي الاتساع فافوز نصب علي جواب التمني وقري بالرفع علي تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف علي كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعني ان بطا هولا عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشرونها ويختارونها علي الاخرة وهم المبطئون والمعني حثهم علي ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها علي ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتي يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الي القتل بل الي اعلا الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معني الفعل والمستضعفين عطف علي اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم من العدو او علي سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه علي الاختصاص فان سبيل الله تعالي يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنسا والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها علي تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعا [illegible] [illegible] القرية الظالم اهلها [illegible] [illegible] فاستجاب الله دعاهم بان يسر لبعضهم الخروج الي المدينة وجعل لمن

بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم
ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها
والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم
الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به
الى الله سبحانه وتعالى والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد
الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان
كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد
الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان
اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
اي عن القتال واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم
به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون
الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب
لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
وقع موقع المصدر او حال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية
الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا
لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم
الله تعالى اي وكخشية الله تعالى او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا
ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس مثل
خشية الله تعالى او اشد خشية من خشية الله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى
الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا
تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من
آجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة
اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل
بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة

استعمل عليهم

صفتها

البروج

في الاصل بيوت على اطراف القصور من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ
مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة
من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية ان تصبهم
نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية اضافوها اليك وقالوا
ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها قل كل من عند الله اي يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من عند الله سبحانه وتعالى او حديثا كبهائم لا
افهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكرون فيه فيعلمون ان القابض
والباسط هو الله سبحانه وتعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة
فمن الله اي تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احد يدخل الجنة
الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية
فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله
الله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان
الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة
رضي الله تعالى عنها ما مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال
قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس
جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب
المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر
هو الله سبحانه وتعالى روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني
فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعتك فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ

وهو القرآن

تدبروا

كقحط

تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك الا البلاغ وعلينا الحساب
وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة امرنا طاعة او منا
طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا
من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما
قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى
ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحي اليك
لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل
على الله في الامور كلها سيما شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون
ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي
ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
وبعضه تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره
المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون
بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف
الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما
يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة
المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
او اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة
والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا
ذلك الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه والى راي كبار
اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكر الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل
كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على
المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم

وتعرفوا

وتعرفوا انه هل يذاع لعلمه الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر
اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج
من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول
وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا
الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب
او عصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
او الا اتباعا قليلا على الندرة فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك
وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم
فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود
روي انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد
وقري لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك
الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين
على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس
الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع
وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم
ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله تعالى ومنه
الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو
ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة
يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر
وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر وقال
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا
شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل
على ذلك وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان
قاله المسلم قال وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا
قال لرسول الله السلام عليك فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته

وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام وقال
الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب
السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ونحو ذا الوجوب على الكفاية
وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراة القرآن وفي الحمام وعند
قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية
وبين ان يحيي تمامها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من
الحياة ثم استعمل للحكم والدعا بذلك ثم قيل لكل دعا فغلب في السلام
وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو
قول قديم للشافعي رضي الله عنه ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على
التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر
ليجمعنكم الى يوم القيامة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة
او مفضين اليه او في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة
كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في
اليوم او في الجمع وهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله
حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره
بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في
امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا
منهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتوا
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتوا المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي
المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون
فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم
الى حالهم حكم الكفر او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء
مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سوا في الضلال

وهو

ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك

١٣٦

وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء
حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة
هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا
عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق استثنا من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين
يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم خزاعة
وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وله من
من لجا اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بني بكر بن زيد مناة او جاؤكم
عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنا
عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى
الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه
قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليهم
والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة
بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار
قد ويدل عليه ان قرئ حصرة وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف
اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى
الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم
يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا
اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن
لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
هم اسد وغطفان وقيل هم بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام
ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر
والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم
يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم

بنوهم

الصلة

صدورهم

عرفنا لكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان
مجرد الكفر لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة كما في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم
وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما
صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضيته
ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال
الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا
خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ
فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد
به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع
الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف
الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن
زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به
لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس مؤمنة
محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل
زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم تكن ففي ماله
الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا
عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا
حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل
او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة

اى كان المومن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانهم فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة صح

وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلمين
في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان
له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام
شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين توبة نصب

على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على
المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين
ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما لما فيه من الوعيد العظيم قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني
لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في
بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا
اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا
او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم
للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي
فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم
بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا
وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان

تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذى صح

هو
حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم
على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله
لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشها
دة
فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم
فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا
بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا
فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله
كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل له
واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل
فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجاهم الى

غاً قوله من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة فنزلت وقيل نزلت
في المقداد مر برجل في غنمه فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله
وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان
المجتهد قد يخطي وان خطاه مغتفر **لا يستوي القاعدون من**
المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه **غير اولي**
الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او
بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء
وقري بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها
نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون في سبيل الله**
باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير
علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا
لرتبته وانفة لانحطاط منزلته **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم**
على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على
التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر
لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة
وكلا من القاعدين والمجاهدين **وعد الله الحسنى** المثوبة الحسنى وهي الجنة
لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي
لمزيد الثواب **وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما** نصب
على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما **درجات منه**
ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات
على المصدر كقولك ضربته اسواطا ومغفرة ورحمة على اضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في
الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة
وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى بالدرجات

[margin: ان بعض — الاستثناء]

[margin: كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر]

منازل

١٣٨

مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون اية **بسم الله الرحمن الرحيم**
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بمقتضى العهد والموثق
قال الحطيئة
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما
يعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده والزمها اياهم
من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب
والندب **احلت لكم بهيمة الانعام** تفصيل للعقود والبهيمة كل حي
لا يميز وقيل كل ذي اربع واضافتها الى الانعام للملابسة الشبه **الا ما يتلى**
عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم
تحريمه **غير محلي الصيد** حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل
استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول **وانتم حرم** حال
مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم **ان الله يحكم ما يريد** من
تحليل وتحريم **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله** يعني مناسك الحج
جمع شعيرة وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه
لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله سبحانه وتعالى لقوله ومن
يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده **ولا**
الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء **ولا الهدي** ما اهدي الى الكعبة
جمع هدية كجدي جمع جدية السرج **ولا القلائد** اي ذوات القلائد من
الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد
انفسها والنهي عن احلالها مبالغة عن التعرض للهدي ونظيره قوله
تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي
من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له **ولا**
امين البيت الحرام قاصدين لزيارته **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**
اي يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في امين وليست
صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته
استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت

[margin: وكذلك الايفاء والعقد العهد]

[margin: للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب]

[margin: في الهدي]

فامر بقصده في حجاج اليمامة فاهم المسلمون ان يتعرضوا لهم فنزلت
كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى
هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المومنين وإذا حللتم
فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة
الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ
بما احل المحرم الحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم
شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل
وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون
وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر
ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان
تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي لا يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى
اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم اليا جعله منقولا من المتعدي الى
مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو
والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب
فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما
فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله تعالى
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله كقولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والمو
قوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته
والمتردية التي تردت من علو او في بير فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى
فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت ما اصطادته لم يحل الا ما
ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الا
مخصوصا بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمري
بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت

ذكاته م

منصوبة

منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هو جمع
والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام
بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج
الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة
وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا
لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترا
على الله سبحانه وتعالى ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد الصنم
او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه
وانما المراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم
نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم جمعة عرفة حجة الوداع يئس
الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه
الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم
واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر
والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية
والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت
لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان وهو عند الله لا غير فمن اضطر
متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان
تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في
مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا
او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه
باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة
وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوه ما احل لهم قل احل لكم الطيبات

من الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو

ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم
وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التا
ديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة
والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من
علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى
او مكتسب من العقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى او مما علمكم
الله ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف
بدعايه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم
وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال
اخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى
سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته
واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق
اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى
علي نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا
شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة
والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك والمحصنات من المومنات اي الحراير او العفايف وتخصيصهن
بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن
مهورهن وتقييد الحل بايتايها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل

المراد

المراد بايتايها التزامها محصنين اعفا بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا
ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا اذا
قمتم الى الصلاة اذا اردتم القيام الى الصلاة كقوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها
للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك
الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشي والقيام اليه
قصد له وظاهر الاية يوجب الوضو على كل قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا
والاجماع على خلافه لما روي انه عليه الصلاة والسلام صلى الخمس بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال
عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله
عليه الصلاة والسلام المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الما عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم
الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع
كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى
المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فايدة لان مطلق
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها
منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكان الايدي
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية مطلقا
واما دخولها في الحكم او في خروجها منه فلا دلالة لها عليه تقتضي خروجها والا
لم تكن غاية لقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى
الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤوسكم البا زايدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى
الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم
واختلف العلما في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا
باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو

وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا

قريب من الربع وعامله مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه
نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة
الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين
بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح
وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على
وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل
تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم
ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير
للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من
حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر
بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة
لذنوبكم نعمة عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم
تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح
للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة
واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه
الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في
انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور بخفياتها فيجازيكم
عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى

وغير محدود

الحمل

١٤١

عليهم

الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم على المشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا بما في قلوبكم
اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا
كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب
كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل
والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة
واجر فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد
ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه
صلى الله عليه وسلم بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا
كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم
كيدهم بان نزل عليهم صلاة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة
الى ما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربع
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا
بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده
فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال
من يمنعك مني قال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال
بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم
عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب

يقين

رخ

فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال

عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بالامر به روي
ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله سبحانه وتعالى
بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني
كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر
موسى عليه الصلاة والسلام ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا
به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما
عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونكثوا الميثاق
الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
وقال الله اني معكم بالنصر لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
منكم بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن
ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم
من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا
تنفعل بالآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية باتباع القاف واللين
يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول
لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا
مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا
التوراة وتركوا حظهم مما انزل الله عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها
فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى
المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة
منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا
منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم

وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية صح

قاسية

قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل
مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث
عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن
غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى
قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا الزمنا
من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين
اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد في الانجيل
ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير
منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه
الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد
بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما
واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم
سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الخير ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه ويهديهم بارادته او بتوفيقه الى
صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله سبحانه وتعالى ومؤدي اليه
لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا
بالاتحاد منهم وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم
ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك
على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من

لم يصرح به احد منهم ولكن صح
تهم

الشبهة في أمره والمعنى انه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوى او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير وعيسى المسيح كما قيل لاشياع ابي الزبير الخبيبون او المقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ والاسر واعترفتم بانه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن بالله ورسوله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونها خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بمبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليه الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف سنة ومايتي سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كان بينهما ستماية او خمسماية وتسع وتسعون سنة واربعة انبيا ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبيا وجعلكم

ملوكا

ملوكا اي جعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبيا بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله منهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وقيل فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتبها في اللوح ان تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقبا بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله سبحانه وتعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون من الله عز وجل بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار الى الصحرا فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه الصلاة والسلام وقوله كتب الله لكم او مما علماه

بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله صح

من عادة الله سبحانه وتعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى
عليه الصلاة والسلام في قهر أعدائه **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**
أي مؤمنين به ومصدقين لوعده **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا**
نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد **ما داموا فيها** بدل من أبدا بدل
البعض **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** قالوا
ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب
أنت وربك يعينك **قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي** قاله شكوى
بثه وحزنه إلى الله سبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون والرجلان
المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه
ويجوز أن يراد بأخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه
عطفا على نفسي أو على اسم إن ورفعه عطفا على الضمير في لا أملك أو على إن
واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي **فافرق بيننا
وبين القوم الفاسقين** بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه
أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم **قال فإنها** أي الأرض المقدسة
محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم **أربعين
سنة يتيهون في الأرض** عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتا
غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي
أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقي من بني إسرائيل
ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل إنه قبض في التيه ولما
احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله سبحانه وتعالى أمره بقتال
الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني إسرائيل
وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها
بل هلكوا في التيه وإنما قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا
أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلى المساء فإذا هم
بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع
بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي
يحملونه والأكثر على أن موسى وهارون كانا معهم في التيه إلا أنه كان

ذلك

ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات
هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا بعد ثلاثة أشهر
ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع **فلا تأس على القوم الفاسقين**
خاطب به موسى عليه السلام لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء
بذلك لفسقهم **واتل عليهم نبأ ابني آدم** قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه
وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل
لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها
فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل
ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف أي تلاوة متلبسة بالحق أو حال من الضمير
في اتل أو نبأ أي متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين **إذ قربا
قربانا** ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف مضاف أي اتل عليهم
نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله سبحانه
وتعالى من ذبيحة أو غيرها كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى وهو في الأصل
مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا
قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا **فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر** لأنه
سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى
أخس ما عنده **قال لأقتلنك** توعده بالقتل لفرط الحسد له على
تقبل قربانه ولذلك **قال إنما يتقبل الله من المتقين** في جوابه أي إنما أتيت
من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه إشارة إلى أن
الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه في تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار
المحسود محظوظا لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن
الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما
أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين** قيل كان
هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله سبحانه
وتعالى لأن الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما هو الأفضل قال عليه الصلاة
والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا
بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا

والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالبا اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثاني للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم
لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي
ونحوه المستبان ما قالا فعلي البادي ما لم يتعد المظلوم وقيل
معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في
موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية
اخيه وشقاوته بل قصد بهذا الكلام الي ان ذلك ان كان لا محالة
فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز
ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جايزة فطوعت له
نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقري
فطاوعت علي انه فاعل بمعنى فعل او علي ان قتل اخيه كانه دعاه الي الاقدام
عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل
وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي
انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني ادم
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم
القاه في الحفرة والضمير في يريه لله سبحانه وتعالى او للغراب وكيف حال من
الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه
مما يستقبح ان يري قال يا ويلتا اعجزت كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل
من يا المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الي ما اهتدي
اليه وقوله فاواري عطف علي اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ههنا
لو عجزت لواريت وقري بالسكون علي فانا اواري او علي تسكين المنصوب تخفيفا
فاصبح من النادمين علي قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله علي رقبته
سنة او اكثر علي ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه
منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فساله ادم عن اخيه فقال ما
كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرا منه ومكث بعد

ذلك

ذلك مائة سنة لم يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا
علي بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا
جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي
جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي
ابتدا الكتب ومنشاه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك او قطع الطريق فكانما قتل الناس
جميعا من حيث انه هتك حرمة الدما وسن القتل وجرا الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجمع سوا في استجلاب العذاب العظيم وغضب الله سبحانه
وتعالي ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقا حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك
بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيايها في القلوب ترهيبا عن
التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان
كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد
العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة
تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون
اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب
والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر
ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه علي العلة او المصدر
لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا
اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان
قتلوا واخذوا المال وللفقها خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او
يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى
ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الي بلد بحيث لا يتمكنوا
من القرار في موضع ان اقتصروا علي الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في
الاية علي هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب
عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثنا

مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله
غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاوليا يسقط بالتوبة وجوبه لا
جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة لاتسقط الحد وان اسقطت
العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا
في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول
الى الله سبحانه وتعالى والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في
الارض جميعا من صنوف الاموال ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه
فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه
لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور
شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك
او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والكلام
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما
قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم
السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفا للسببية دخل الخبر
لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشا لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة
اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع
دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار
فصاعدا وللعلما خلاف في ذلك لاحاديث فيه وقد استقصيت الكلام
فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود
ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه

الصلاة

لانفسهم

الصلاة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منهم جزاء بما كسبا نكالا من
الله والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي بعد سرقته
واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله
يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة
اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثر لان فيه حق المسروق منه الم
تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او
لكل احد يعذب من يشا ويغفر لمن يشا والله على كل شي قدير قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او
لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا
منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين
والبا متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا
عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر لمحذوف اي هم سماعون
والضمير للفريقين او للذين يسارعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد
او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول
محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم اخرين لم
ياتوك اي لجمع اخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا
في البغضا والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون
منك لاجلهم وللانها اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون
الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم
من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده
والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او
استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذا
وكذلك قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه فاحذروا اي فاحذروا قبول
ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان

منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا

عون

وا

مبتدا

ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون

ل

بلا فتاكم محمد بخلافه

امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقالوا له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم هو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب والكسائي في الثلاثة مواضع بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها

هدى يهدي الى الحق ونور يكشف عما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكومتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاثة باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس التي تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرا الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به فالتصدق فهو كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه

ما تم

حدة

سقوت

ع

بالقصاص اى فمن عفا عنه فهو ع

وقيل الجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره فأولئك
هم الظالمون وقفينا على آثارهم أي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي
إليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى
وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أو تعليقا به
وعطف وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه عليه في قراءة حمزة وعلى الأول
اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر
كقوله أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الفاسقون عن حكمه أو عن الإيمان إن كان مستهينا به والآية تدل على أن الإنجيل
مشتملة على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام
وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل فيه من إيجاب العمل
بأحكام التوراة فيه خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب بالحق أي القرآن مصدقا
لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الأولى للعهد والثانية
للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها
بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي هومن عليه وحوفظ من التحريف
والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى والحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما أنزل الله
أي بما أنزل إليك ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه إلى ما
يشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لا تنحرف أو حال من فاعله أي لا تتبع
أهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة وهي الطريق
إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرئ بفتح
الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح [illegible]
واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب والمعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام
لأجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر
وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الإلهية
أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرص
وحيازة لفضل السبق والتقدم إلى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الأمر

الامر

وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة صح

الأمر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وأن احكم بينهم بما
أنزل الله عطف على الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم أو الحق أي أنزلناه بالحق
وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم ولا تتبع أهواءهم واحذرهم
أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي أن يضلوك ويصرفوك عنه وأن
بصلته بدل منهم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم أو مفعول له أي احذرهم مخافة
أن يفتنوك روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن
بيننا وبين قوم خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن تولوا عن الحكم المنزل وأرادوا
غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم
الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره
قول لبيد • أو يرتبط بعض النفوس حمامها • وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون
في الكفر معتدون فيه أفحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في
الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني
قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به أهل
الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره
والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا
واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كحكام الجاهلية
يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون
ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت
لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون
الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الأحباب بعضهم أولياء بعض إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون
على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن
يتولهم منكم فإنه منهم أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم وهذا التشديد
في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالي لهم

على صح

قك

هلية

شهيتهم

فإنهم

كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روي ان عبادة ابن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود من القتل والاجلا او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما استظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدا ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى كانه قال عسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول الذين امنوا فان الاتيان بما توجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونه معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر سبع فرق فزارة قوم عيينة ابن حصين وغطفان قوم قرة ابن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة ابن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله بعلى اما لتضمن معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهد بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفار ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه

بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر

قيل هم اهل اليمن لما روي انه عم اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم

ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة

الحطم

مقتنعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة على المدح
يؤتون أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان ومسارعة
إليه وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح
له خاتمه واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور
والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد خلاف
الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله
فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلاً على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها
وأن صدقة التطوع تسمى زكاة
ومن يتول ... أولياءه أي فإن حزب الله هم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتولهم
فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشأنهم
وتشريفاً لهم بهذا الاسم وتعريضاً لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان
وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت
في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزواً ولعباً
إيماء إلى العلة وتنبيهاً على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن عم أهل الكتاب على قراءة
من جره وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب وإن عم أهل الكفر يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا وعلى أن النهي
عن موالاة من ليس على الحق رأساً سوى من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الكتاب الإلهي
كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي إن كنتم مؤمنين لأن
الإيمان حقاً يقتضي ذلك وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده وإذا ناديتم إلى
الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً أي اتخذوا الصلاة والمناداة وفيه دليل
على أن الأذان مشروع للصلاة روي أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار وأهله نيام فتطاير شرره في البيت فأحرقه وأهله ذلك بأنهم قوم
لا يعقلون فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه
قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه

كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه وقرئ تنقَمون بفتح القاف وهو لغة إلا أن
آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل الإيمان بالكتب المنزلة كلها
وأن أكثركم فاسقون عطف على أن آمنا وكان المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة
أي ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه
أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ما أي
وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم أو على علة محذوفة
والتقدير هل تنقمون إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم أو نصب بإضمار
فعل دل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء
والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم من الإنصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمن يؤمن به فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله
ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم ديناً شراً من دينكم قل هل
أنبئكم بشر من ذلك أي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتاً
عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت
ها هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على
التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
بدل من شر على حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر
من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم
الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات
ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل
مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت
شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا
وعُبِد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُد بمعنى صار معبوداً فيكون الراجع محذوفاً أي فيهم أو بينهم
ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عَبُد على أنه نعت كفطن ويقظ أو عُبُد على أنه
جمع كخدم أو أن أصله عبدة فحذفت التاء للإضافة عطفه على القردة
ومن قرأ وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله أولئك أي الملعونون شر
مكاناً جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكاناً
منصرفاً وأضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى

وقدح اليهود وان المراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى
المؤمنين في الشرارة والضلالة واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في يهود نافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا
لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه
ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم
وترى كثيرا منهم اي من اليهود او من المنافقين يسارعون في الاثم اي
الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة
الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم
واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على
الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا
يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الا
نسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم
ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقا
لت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك
يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده •

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير
كقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة
او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في
الاخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني
سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي

البخل

ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي المستحق
من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي
للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار
في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته
لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل
بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من
ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف
الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه
وسلم واشرك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما
انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون
طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذا
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا
تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
اي كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى
بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا
فانهم لما خالفوا احكام التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط
عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض
فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب وهتك المحارم
والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه
لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات
النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم
وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكافر لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل
اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بها لا بالايمان
بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزا
قهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزرع
او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط

على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض
ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء
ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوا عملهم وهو
المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف
مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته
فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة
فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما
قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب
العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم
من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم
مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى
نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله
من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به
مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما
يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان
يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب
الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة
له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق
بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون

رفع

رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في خبر ان والتقدير ان
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك •
كقوله • واني وقيار بها لغريب • وقوله
• والا فاعلموا انا وانتم • بغاة ما بقينا في شقاق •
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان
غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليها ومن
امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله
• نحن بما عندنا وانت بما عندك • راض والراي مختلف •
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو
عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان
ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع
بالابتدا وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء
جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا
وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا
كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم
ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا
او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا
لهم امور دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط
والجملة صفة رسلا والراجع محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما
جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا
للقتل وتنبيها على ان ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على
رؤوس الاي وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا
يكون يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي ويعقوب الا تكون بالرفع على ان ان المخففة من الثقيلة واصله

اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف

ان لا يكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في خبرها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او الفاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف فان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد الله مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وتقرير الله وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فاظلك بغيرهم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القايلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الموجودات اله الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور

رحيم

وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى

واجب يستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات

رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا كالرسل قبله خصه الله تعالى بالآيات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتي تلازمن الصدق او يصدقن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين انه لا تميز لهما من الحالات ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكاينة الفاسدة ثم تعجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالوهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل

عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم

والزبور على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود
فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما
حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا
عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه
من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون
تعجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون
الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى
موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف
اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل
اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة
للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم
وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم
وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب
عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء
كانها تفيض بنفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين
ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم

فكيف

فكيف اذا عرفوه كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين
شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم
القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام
الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او
جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام
من معنى الفعل اي واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته
فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال
اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم
الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في
الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي
طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ
عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل ثلاثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبكوا وامنوا والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله على
الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح
النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي
عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال
حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا
تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية
عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين
قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا

اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده

والطيب ورفضوا الدنيا ولبسوا المسوح وسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم
وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي
فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم
وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه
تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول
او العايد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق
على الحرام لو لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم
به مومنون لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم وهو ما يبدو من المرء
بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الامام الشافعي
رضي الله عنه وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب
ابو حنيفة رضي الله عنه وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر
او حال منه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه
بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث
ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم
عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من
فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره
واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا
خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى
غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر
وهو مد لكل مسكين عندنا او نصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان يطعموا عشرة مساكين طعاما
من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضين
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاثة كالالف
وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع
اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف

وهو

وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا
او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في
محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان
وشرط الشافعي رضي الله عنه فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى
او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن
لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام
وشرط فيه ابو حنيفة رضي الله عنه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات
والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي ذلك
المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا
تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان
تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته
اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او الواجب شكرها فان
مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام
سبق تفسيره في اوايل السورة رجس قذر تعاف منه العقول وافرد
لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او كانه قال انما تعاطي الخمر و
والميسر من عمل الشيطان لانه سبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالاجتناب
عنه واعلم انه سبحانه وتعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية
بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا من
عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب
عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من
المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على
انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما
في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن
وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها
كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد

الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية
وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا
به واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليكم فانما عليه البلاغ
وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا
ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا
على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها
روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر
فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان
في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره
او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء
وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين آمنوا
ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت في عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون
من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل
الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم
واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك
الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان

ما نهيا عنه او مخالفتهما صح

او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى صح

من

من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون
النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اي محرمون كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح
والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب
والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل
العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي
هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا
يكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا
ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره
ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب
الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد
روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه
فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين
ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق
الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له لا يوصف
ما لم يتم بها وانما تكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى
المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي
مثل ما قتل وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة
والهيئة عند مالك والشافعي رضي الله عنهما والقيمة عند ابي حنيفة رضي
الله عنه وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان يهدي
ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ
تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
بخبر مقدر [illegible] كان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء فان نون
لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه

جمع حرام

بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل او فجزاؤه مثل ما قتل صح

او رفعته

١٥٧

بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة
ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف
طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا
نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى
عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت
البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل الشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالجزاء
اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل
الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد
في الجاهلية محرما او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا
فينتقم الله منه فهو ممن ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة
عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر
على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء
وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر هو الطهور ماؤه
الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك
وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل
الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض
وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد
البر اي ما صيد فيها او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما
صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه
الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم
ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا
الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت
كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول
الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم

ومعادهم

ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر
قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه بما اعل في فعله ونصبه
على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها
والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وهو المناسب
لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ
حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار (قبل وقوعها) وجلب المنافع المترتبة عليها
دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد
تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ
عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق
لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق
وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في
نفي المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو
اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
وآثر الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء
والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما
يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم
جمع لفظه غير انه قلبت لامه فجعلت لفعا وقيل افعلاء حذفت لامه
جمع لشيء على ان اصله شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له

من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما فرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل يقول اذا شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر والناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا

ولا

١٥٨

ولا يهتدون الواو للحال اي حسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهد فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم

لا نشتري

ما شرع

والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال

فلا يكفي التقليد

بمنا مقسم عليه ظنا او ثمن اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لطمع **ولو كان ذا قربى** ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري **ولا نكتم شهادة الله** اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن **انا اذا لمن الاثمين** اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها **فان عثر** فان اطلع **على انهما استحقا اثما** اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف **فاخران** فشاهدان اخران **يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان** من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق على البنا للفاعل وهو الاوليان **الاوليان** الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر اخران او بدل منهما او من الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان **فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما** اصدق منها واولى ان تقبل **وما اعتدينا** وما تجاوزنا فيها الحق **انا اذا لمن الظالمين** الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اوليا الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي لامانته باليمين او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدا خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه انا من فضة فيه

الضمير في يقومان قرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من

ثلثماية مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالانا فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الانا في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة **ذلك** اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد **ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها** على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها **او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم** ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم **واتقوا الله واسمعوا** ما توصون به سمع اجابة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة **يوم يجمع الله الرسل** ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر **فيقول** اي للرسل **ماذا اجبتم** اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شي اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك **قالوا لا علم لنا** اي لا علم لنا بما لست تعلمه **انك انت علام الغيوب** فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك** بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر **اذ ايدتك** قويتك وهو

اليمين على

ظرف لنعمتي او حال منه وقري ايدتك بروح القدس بجبريل عليه الصلاة والسلام
او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية ويطهر من الاثام ويؤيده
قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كاينا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في
الطفولية والكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل
فانه رفع قبل التكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ
تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه
والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في ال عمران وقرا نافع
ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل
عنك يعني اليهود حين هموا في قتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جيت به الا سحر
وقرا حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام او ما هذا الا
جيت به الا سحر واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي
ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا امنا
واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب
باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام
معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على
ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسال ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام
من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه
ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم
مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد
ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل
منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
سبحانه وتعالى ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا
ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين
للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه
فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا

اي

علي سواد والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة

اي تكون في يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العايد ولذلك سمي
يوم العيد عيدا وقري تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة
العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك
اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقري لاولانا واخرانا
بمعنى الامة والطايفة واية منك صفة لها اي كاينة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي وارزقنا المايدة والشكر عليها وانت خير الرازقين خير من
يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة
الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يكون
مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به
ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمرا بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضى وصلى
وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا
فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما
ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم
الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي
كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المايدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل
كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار
والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفي طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل
منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا بري ولم يمرض ابدا ثم اوحى
الله الى عيسى ان اجعل مايدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعدهم الله
انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد

عطف على عيدا

ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة هنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال لاجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا اي اذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون الله اما المغايرة فيكون تنبيها على ان عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابدا له مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله سبحانه وتعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك

ورافعك

ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات فان قيل قوله انت ضمير الفصل وضمير الفصل انما يؤتى به لغرض الفصل بين كون ما بعده خبرا عما قبله لا صفة له وهذا انما يكون حيث احتمل ما بعده الامرين وهنا لا يحتمل الوصفية لان الضمير لا يوصف اجاب السبكي بانه لما حصل اللبس في المظهر حمل المضمر عليه لانه كناية عنه قال ويجوز ان يكون انت في قوله تعالى ان ترن انا اقل منك وقوله ولكن كانوا هم الظالمين وقرئ شاذا في هاتين الايتين برفع اقل والظالمين بناء على ان هذه الصيغة ضمير وان لها محلا من الاعراب والصحيح انه حرف لا محل له من الاعراب كالكاف في اولئك والتاء في انت وعليه القراءة المشهورة بنصب اقل والظالمين وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي الذي لا تثيب ولا تعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي هو من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم لانه غير اولي العقل

الغالب اليه [illegible]

ض

على الثواب والعقاب

ع

في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واها
نهم وتنزيهها عن المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلقونها ولا
للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة المايدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية

سورة الانعام مكية غير ست ايات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا اتل وهي
مائة وخمسة وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض اخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة
الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل
الظلمات والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد
الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث
النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية
وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة
الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد
النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم
حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على
العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون بنعمته ويكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها
ولا يكفروا او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا
البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون
عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى
ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به سبحانه وتعالى هو
الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى فان ادم الذي
هو اصل البشر خلق منه او خلق اباءكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا

اجل

اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها
وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن
ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف
به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير
واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق
اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة
فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية
الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله
المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله سبحانه وتعالى
والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير كقوله سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله
بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيها كقولك رميت الصيد في
الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى
انه سبحانه وتعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان
وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما
يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي
ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات
القران الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم
كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على
معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا
يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا
به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب
بهم في الدنيا او الاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم

اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اعمار الناس وهي
سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فايق في العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها
مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والالات ما يتمكنون بها
من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام
يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد
والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا
المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في
الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن
ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم
والمعنى انه سبحانه وتعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ
مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس مكتوبا في رق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير
لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص
كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا و
عنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هل لا انزل عليه معه ملك يكلمنا انه نبي
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي
الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع لما اقترحوه والخلل فيه والمعنى
ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت
بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب
وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه
ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك
ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية
فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك
الافراد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا عليهم مثل ما يلبسون
على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد وللبسنا

بالتشديد

بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال
استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف
اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي يعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل
سيروا في الارض فانظروا كيف ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك ههنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في اثار
الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت
قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم
ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة
ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة
وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيامة استيناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم
القيامة فيجازيكم على شرككم او في القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل
البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم
وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتدا او
الخبر فهم لا يؤمنون والفا للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان
بطلان العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر
اداهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على الله ما سكن
في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى
باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم لكل معلوم فلا يخفى عليه
شي ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ
وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وجره على الصفة لله
فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب وهو يطعم ولا

على المدح

يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم
بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر
السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على
قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع
اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ
اي يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف
على ان الضمير فيه لله سبحانه وتعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف
او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف
له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شي
قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله
فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة
والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم
قل اي شي اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود
والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله والشي يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة
قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني
وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان
الشهيد كان اكبر شي شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به اي بالقران
واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي
لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين
او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان
احكام القران تعم الموجودين وقت [نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم تبلغه] ائنكم لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بري مما تشركون يعني الاصنام

الذين

الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة
في التوراة والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من
اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملايكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب باياته كان كذبوا بالقران والمعجزات وسموها سحرا وانما
ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية
الافراط في الظلم على النفس انه ضمير الشان لا يفلح الظالمون فضلا
عن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرا
يعقوب يحشر ويقول باليا الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم
حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم [وهم]
ولكن لما لم ينفعوهم فكانها غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي
كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من
فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم [هم]
قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم
بالرفع على انها الاسم وان قالوا الخبر والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك [ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب ان الاسم صح]
والباقون باليا والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه
مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها
وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا
يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على
كذبهم في الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على
النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع
اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا
فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم
اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشي ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه

وفي اذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا
كل اية لا يومنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاوك
يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاوك يجادلونك وحتى هي
التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان
هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاوك
في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل
جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون
عنه وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وينأون عنه فلا يومنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم
ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون
على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار
عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البنا للفاعل من وقف
عليها وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون
من المومنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود
اي وانا لا اكذب او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم
المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما
حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى
الفا وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من
التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا
ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد
الظهور والوقوف لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا
الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن
الحبس للسوال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضا ربهم او جزائه
او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا

قال

او اسطارة

اي ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون عنه صح

على البنا للفاعل

قال لهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلا
الامر غاية الجلا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او
ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب
المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها
نوع من المجي قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا
فيها في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة
يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل
لاستحقاقهم على آصار الاثام الا سا ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لهو ولعب يلهي الناس ويشغلهم
عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا
حياتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب
ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة افلا تعقلون اي الامرين خير
وقرا نافع وابن عامر ويعقوب بالتا على خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين
على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل
وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ
ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك
من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن
الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي
تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس
بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايما بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الايات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم

منافعها

يكذبونك

لصادق

تأس

وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السما لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يومنوا ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهولا كالموتى لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزا وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلا وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طاير يطير بجناحيه في الهوى وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرى ولا طاير بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شي يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشي في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرى ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون

يعني

يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمات الجهل وظلمات العناد وظلمات التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعدي الفعل الى ثلاث مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعا كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شا ان يتفضل عليهم ولا يشا في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي من قبلك ومن زايدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباسا بالشدة والفقر والضرا الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباسا والضرا ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شي من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضرا والسرا وامتحانا لهم بالشدة والرخا الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران

وهو دليل واضح لنا على المعتزلة

وقرا نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايت وشبهه اذا كان قبل الرا همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الرا والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا

يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا

ووافقه يعقوب فيما هنا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا أعجبوا بما أوتوا
من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه سبحانه وتعالى أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون م
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم
يبق منهم أحد من دبره دبرًا ودبورًا إذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على إهلاكهم فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض
من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم
إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي
عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما
أخذ أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة
من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة
بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم
إن أتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة أو جهرة بتقدم أمارة
تؤذن بحلولها وقيل ليلا أو نهارًا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك أي ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب إلا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء
المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى
بهم فمن آمن وأصلح ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من
العذاب ولا هم يحزنون بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسًا لهم كأنه الطالب للوصول إليهم واستغنى
بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته أو خزائن رزقه
ولا أعلم الغيب ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا أقول لكم إني ملك أي من جنس الملائكة أو أقدر على ما تقدرون عليه
إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرى عن دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة
التي هي من كمالات البشر ردًا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه
قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم
أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة أفلا

تتفكرون

تتفكرون أي فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي
مما لا محيص عنه وأنذر به الضمير لما يوحى إلي الذين يخافون أن يحشروا
إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمنا كان
أو كافرًا مقرًا به أو مترددًا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين
باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
فإن المخوف هو الحشر على هذه الحالة لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا
أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روي أنهم
قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان لجلسنا إليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت فقال نعم طمعًا في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون فدعى
بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون
وجهه حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص
تنبيهًا على أنه ملاك الأمر ورتب النهي عليه إشعارًا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي
إبعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي
ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم
طمعًا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا
بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم
فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم وقيل
ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا
تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين
طمعًا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس
في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء
على أشراف الناس قريش بالسبق إلى الإيمان ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من
بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا
ونحن الأكابر والرؤساء [illegible] والضعفاء وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة
الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرًا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة

او للتعليل على ان فتنا تضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدا بالتسليم او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يودي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قراة نافع بالتاء وقرا نافع نصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويونث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي لتفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم

وانا

وانما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه على تحري الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة من ربي تنبيه على ما يجب اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقض الحق اي القضا الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به يعني من العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا من العقاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويويده انه قرئ مفاتيح والمعنى ان المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن تخصيص العلم بالغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثنا الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع على محل من ورقة او الابتدا

له: بعدما تبين ما لا يجوز اتباعه

العقلية

واصله

ان يوخذ وبمن ينبغي

للعطف

والحجر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فانه اصله قبض الشي بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم
فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على العادة ثم يبعثكم
يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ
المستيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم
ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار والله سبحانه وتعالى
مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم
من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه
وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم للحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة
فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد
كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على
عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة
توفاه بالالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ
بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم
الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه
لغيره وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلايق في مقدار حلب شاة
لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من
شدايدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من
الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب بالتخفيف والمعنى واحد
تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرى
بالكسر لين انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون
لين انجيتنا وقرا الكوفيون لين انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه

اشارة

اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون
ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في
عبادة الله سبحانه وتعالى فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان
يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من
تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم
وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا
فرقا متحزبين على اهوا شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة ❊ حتى اذا التبست نفضت لها يدي

ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن
وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل
نبا خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او الاخرة واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا بالتكذيب والاستهزا بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير على معنى الايات
لانها القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى
النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد
ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة
على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزا موضع التصديق والاستعظام
وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبايح اعمالهم واقوالهم الذين
يجالسونهم من حسابهم من شي مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم
ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها
وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز
عطفه على محل من شي لان من حسابهم يأباه ولا على شي لذلك ولان من لا تزاد
بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حيا او كراهة لمسايتهم ويحتمل
ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم
بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لين كنا نقوم كلما استهزوا بالقران لم نستطع

ن

هنا

اي يجلس في المسجد ويطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي
بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة
الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا
حيث سخروا به وجعلوا عيدهم الذي جعل ميقات في عبادتهم زمان لهو ولعب
والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا
لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله
على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا
البعث وذكر به اي القرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى
الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد
باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى
وههنا الفداء وكل نصبه على المصدر لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا
بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك
والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم
قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا
ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله وانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن الى
المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف
ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته
او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا
عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوي رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه
الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر
ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده
وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى
الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل
هي زائدة وان اقيموا الصلاة واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة
الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان اسلم وان اقيموا روي ان عبد الرحمن

الفعل مسند الى ضميرها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به

انفعنا ؟

ن

ابن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاصنام فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى
الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق رضي الله عنه وتعظيما لشانه وانها
للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله
الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال
يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات
وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء في واتقوه او بمحذوف
دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول
لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين
تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياؤها وله الملك يوم
ينفخ في الصور كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم
الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية
واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه
تارخ [illegible] وقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل تارخ
وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه
او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر
وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي
اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه
قرئ أآزر تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب
بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال مبين
عن الحق ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو
حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت
السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت
اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او و
فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل
وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه
وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم
ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره

زا

العلم

زنه

عن الحق

لتهم

بطلانه والكوكب كالزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع
فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالا
فساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول
اوان بلوغه فلما افل غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان
الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي
الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه
وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من
اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم
الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا او استظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها
ومخصص يخصصها بما تراعيها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت
هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبد
في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته سبحانه وتعالى وقرا نافع
وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان
يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه من الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه
علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق
بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا
تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز بالقادر
الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه

كتابا

كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او
المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه
والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة
وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس
الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق
الشرك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله
فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني الى ... حجتنا اتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان
جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتينا ابراهيم حجة على قومه
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي
من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم عليه الصلاة
والسلام لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو
كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورين في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيصى بن اسحق ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم
وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو
ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو
من اسباط هارون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسماعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه
اللام كما ادخل على اليزيد في قوله

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله
ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن أخي ابراهيم وكلا فضلنا
على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم عطف على كلا أو نوحا أي فضلنا
كلا منهم أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم فإن
منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا أو
هدينا وهديناهم إلى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا إليه
ذلك هدى الله إشارة إلى ما دانوا إليه يهدي به من يشاء من عباده
دليل على أنه متفضل بالهداية ولو أشركوا أي ولو أشرك هؤلاء
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها
أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة أو
فصل الأمر على ما يقتضيه الأمر الحق والنبوة والرسالة أي بها
قوما ليسوا بها بكافرين وهم الأنبياء عليهم الصلوة والسلام المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الأنصار أو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو كل من آمن
به أو الفرس وقيل الملائكة أولئك الذين هدى الله يريد الأنبياء
عليهم الصلوة والسلام المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص
طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد
وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فإنها ليست هدى مضافا
إلى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة
والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن أثبتها
في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى
الوقف وأشبعها ابن عامر على أنها كناية المصدر قل لا أسألكم أي على
التبليغ أو القرآن عليه أجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من
النبيين وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه إن هو أي التبليغ أو
القرآن إلا ذكرى للعالمين إلا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق
قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد إذ
قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء حين أنكروا الوحي وبعثة الأنبياء
عليهم الصلوة والسلام وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو في

[هامش: فإن يكفر بها أي بهذه الثلاث هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها]

[هامش: وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي برواية ابن ذكوان على]

الحفظ

الحفظ على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود
وقالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن بدليل نقض كلامهم وإلزامهم بقوله
قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وإنما قرئ بالياء ابن كثير
وأبو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء
جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض وكتبوه في ورقات متفرقة
وإخفاء بعض لا يشتهونه روي أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى
هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم فيها أن الله يبغض السمين
وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لأنه كان من المشهورات الذائعة
عندهم ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى
منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين
كانوا أعلم منكم ونظيره إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي
هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله أي أنزله الله
والله أنزله أمره بأن يجيب عنهم إشعارا بأن الجواب ثم ذرهم في خوضهم
في باطلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة يلعبون حال من هم الأول
والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من مفعول أو فاعل يلعبون
أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول وهذا كتاب أنزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة أو الكتب
التي قبله ولتنذر أم القرى عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركات
ولتنذر أو علة لمحذوف أي ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وإنما سميت
مكة أم القرى بذلك لأنها قبلة أهل القرى وحجهم ومجتمعهم وأعظم
القرى شأنا وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها مكان أول بيت
وضع للناس وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أي ولينذر الكتاب ومن حولها
أهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلاتهم يحافظون فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف
يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان

[هامش: وقراءة الجمهور]

[هامش: متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب]

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم
انشأناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله فقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو
نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف
عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب
اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد
به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون
عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن بما كنتم تقولون على
الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم
عن اياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر
ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد
كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد او حال
من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او
صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه
شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل
والوصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى

لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه

وقع

وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب
على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد
تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد
به الشق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان
والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع
البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن
بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل
مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه
التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به
او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف
عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في
الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل
الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع
على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب بها
الاوقات ويكونا علمي الحسبان وهو مصدر حسب وقيل جمع حساب
كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم
بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذي جعل لكم النجوم
خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر
واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات
بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم
من نفس واحدة وهو ادم عليه الصلاة والسلام فمستقر ومستودع
اي فلكم الاستقرار في الاصلاب او فوق الارض والاستيداع في الارحام او تحت
الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف

ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات

بالفتح كان الحسبان بالكسر مصدر حسبه

في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع

على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة المفتنة بماء واحد كما في قوله سبحانه وتعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا كيف ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى

[هامش: او من النخل شيء من طلعها قنوان]

الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق كل خير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي جعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء وقرئ وحرفوا اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على المبتدأ والخبر محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو سبحانه وتعالى اولى بان يتعالى عنها او الثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى

[هامش: ثم] [هامش: ف] [هامش: بتدا]

الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا إله إلا هو خالق
كل شيء أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض
خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فإن من استجمع هذه الصفات
استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل أي وهو مع تلك الصفات متولي
أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم ورقيب
على أعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأبصار جمع بصر وهو
حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف لأنه ليس الإدراك مطلق الرؤية
ولا النفي في الآية عاما في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الأشخاص فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب
الامتناع وهو يدرك الأبصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير
فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار ويجوز أن يكون من باب اللف
أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير
فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا تدركه الحاسة ولا
ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس
كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصر بها فمن أبصر
أي أبصر الحق وآمن به فلنفسه أبصر لأن نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل
فعليها وباله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله سبحانه وتعالى
هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على
لسان الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال إلى حال وليقولوا درست وليقولوا
درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعليم وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر
ويعقوب درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت
ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا وجاز إضمارهم
بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أي عفون ودرس أي درس محمد
صلى الله عليه وسلم ودارسات أي قديمات أو ذات درس كـ
عيشة راضية ولنبينه واللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف

من الدرس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين وقرئ درست بضم الراء أبلغ في درست صح

والضمير

والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر
لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون به اتبع ما أوحي إليك من ربك بالتدين
به لا إله إلا هو اعتراض أكد به إيجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك
بمعنى منفردا في الألوهية وأعرض عن المشركين ولا تحتفل بأقوالهم ولا
تلتفت إلى رأيهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم
الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم إشراكهم ما أشركوا وهو
دليل على أنه سبحانه وتعالى لا يريد إيمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع
وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما أنت عليهم بوكيل تقوم بأمورهم
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها
بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق إلى الباطل بغير علم
على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوا
يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي أنه عليه الصلاة
والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون
إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا
لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية
راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر كذلك زينا لكل أمة عملهم
من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز
تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم والمشبه به تزيين
سب الله لهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة
والمجازاة عليه وأقسموا بالله جهد أيمانهم مصدر في موضع الحال والداعي
لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم
في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء
وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام إنكار
أنها أي الآية المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن
بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال
وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم
يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرأ ابن عامر
وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم

أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون صح

اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المومنين وقري ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البنا للمفعول والاسناد الي الافيدة ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملايكة فاتوا بابائنا او تاتي بالله والملايكة قبيلا وقبلا جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراة نافع وابن عامر وهو على الوجهين حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضا بالكفر الا ان يشا الله استثنا من اعم الاحوال اي لا يومنون في حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يومنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الي اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يومنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبيا عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الي شياطين الانس او بعض الجن الي بعض او بعض الانس الي بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شا ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وايحا الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحا او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افيدة الذين لا يومنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة

مصدر

لما اضطروا اليه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يوكد الفعل بالنون ولام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادني تامل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول والخطاب الامة لكل واحد على معنى انه الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك اي بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل لاحكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه

ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق وجهالا
رآرا وهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون
يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على
شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل
النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك
او استفهامية مرفوعة بالابتدا والخبر والجملة معلق عنها الفعل
المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر
او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون
الحرام فكلوا مما ذكر اسم الله عليه والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما
ذكر اسم غيره عليه او مات حتف انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان
بها يقتضي استباحة ما احله الله تعالى واجتناب ما حرمه وما لكم الا
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم
عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البنا للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البنا للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه
ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم
الحلال قراه الكوفيون بضم اليا والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم
بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية
عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه
لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله
عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز
ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون

الى

من قوله من يضلل الله ومن اضلله اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين صح

الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون
ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم
انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك
وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في الاشيا فيميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن
مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من
المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة
لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون
والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر وعمار وابي جهل وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه
اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل
التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر
مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما
يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم
اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي
ان ابا جهل قال تزاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا
نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت الله اعلم
حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب
والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من
عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها والله اعلم بالمكان الذي يضعها فيه
وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل
وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن
يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق
مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه افضل الصلاة .

قوله وحسن حذف الفاء لان كون الشرط وقع بلفظ الماضي
وقد ذكر الرضي على الكافية ان الجواب ههنا جواب
القسم وجواب الشرط محذوف

على تقديم المفعول الثاني اي في كل قرية اكابر مجرميها صح

والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يدخله الايمان وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم
يصّاعد يعني يتصاعد كانما يصّعد في السماء اي كما يضيق صدره
ويبعد قلبه عن الحق كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى
البيان الذي جاء به القران او الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان
صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته
مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون
ان القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه
وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام
دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار
تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها
وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او
نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب
بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم
واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس
انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس
اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث
وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر
على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل
مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله

شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصّعد يتصعد وقد قرئ به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد صح

بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم

قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله
عليم باحوال الثقلين واعمالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل
بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض
او قرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة
لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
يخرج من الملح دون العذب وتعلق قوم بظاهره وقالوا بعث الى كل من
الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله
ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان
وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحياة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم
وخطا رايهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على
انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل
حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم
يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان
مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او
لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم
او ظالما واهلها غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين
درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل
عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن
عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه
تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه على العباد وتاسيس
لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم
ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم
اخرين اي قرنا من بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من
البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم

بل لترحمه

اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ
التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام
ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى
اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على
الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه
مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا ياتي
منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة
الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان
جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي له العاقبة
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق
المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير
حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم
واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرا خلق من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي
انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها
ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه
لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا
الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الازكى
له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا
الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء بالكسر ايضا كالود
ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم
شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين على البناء
للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل
اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من
ضرورات الشعر كقوله فزججتها متمكنا زج القلوص ابي مزاده

وقرئ

وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان
التزيين من الشيطان وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما
فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم
وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى
ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي ضيق
لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم
من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام
عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما
قالوه تقول على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو
صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما
كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور
خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء
فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة
ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن
كثير في ميتة فنصب كغيرهم والتاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او
هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد
والخبر لذكورنا او الحال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا
من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه خالص بالرفع
والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او
مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة ما يعم
الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله
سبحانه وتعالى في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب
انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم يريد
بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن

زنا

مصدر صح

كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم
بان الله سبحانه وتعالى رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة
في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ
جنات معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات
على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل
في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد
منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا
يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وآتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر
بايتائها يوم حصادها ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم
ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
بالكسر وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات
اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج
من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول
كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة
او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال للمجموع
والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين
او صائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع

ماعز

من الكروم

وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله

ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ بفتح العين قل آلذكرين ذكر الضأن
وذكر المعز حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين ذكرا كان او انثى نبئوني
بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى
انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم
بانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف
كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم
حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ
انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس لذلك ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي
محرما اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان
يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء
لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله
او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به
صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع
الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول
شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحي
الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر
فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء
غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما

ام انثيهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين

بصير بالغاية وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك
وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها
الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير عليكم فعليكم
بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم وإذا قلتم فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى

في حكومة ونحوها

ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله أوفوا يعني ما
عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون تتعظون به وأن هذا صراطي مستقيما الاشارة الى ما ذكر في السورة
فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي
إن بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون
به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي وهذا
صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فان
مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان
ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى
الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم
وصاكم به قديما وحديثا وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف ثم اعظم من ذلك
انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام
به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه
افضل الصلاة والسلام او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع
اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي
على الذي هو احسن او على الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا
لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما
يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه
وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي
المشهور من الكتب حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا
ان هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي

وانه

وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف مثلها أو تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة

به

افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا
اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة
لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او
تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم
هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك

فهم

ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي
امره بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي
بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا
نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان

اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة

ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا

معربها

تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر
اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا
عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة

مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها

ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد
عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على
اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته
حينئذ وان كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم

خلت منها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا مع

اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم
الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا
فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا
كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم

وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة

او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية
السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا
من الله سبحانه وتعالى وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف
وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير
حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب
من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا مستقيما او مفعول
فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ
من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض
فاعل كاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال
من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني
او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة
او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة
والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول
والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام
امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم
له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار اي وكل
ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا
ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل
وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم في ما اتاكم
من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراد

كقوله ويهديكم صراطا

للانكار

وانه

سورة الاعراف مكية

وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة
وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على
انه سبحانه وتعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها
قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة
الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة
الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية الا ثماني ايات من قوله واسالهم
الى قوله واذ نتقنا الجبل كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآياتها مائتان
وست بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر
مبتدا محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن
انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك
حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام
بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل
العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على
الانذار وكذا اذا لم يخشهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر
عطفا على محل تنذر والرفع على العطف على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما
انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالى وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن
والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين
اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي
عليه افضل الصلاة والسلام وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا
اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا
بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين
نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لا لاجتماع حرفي
عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح

لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك

وفي التعبير مبالغة في غفلتهم وأمنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما
وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع فما كان دعواهم أي دعاؤهم
واستغاثتهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا
ظالمين إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن
الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما
أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون
لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أو على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه
بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى
علينا شيء من أحوالهم والوزن أي القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء
والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق
إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم
وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه
تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل
توزن الأشخاص لما روي أنه عليه الصلاة والسلام إنه ليأتي العظيم السمين يوم
القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن
الحق صفته أو خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه
حسناته أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد
الوزن فهو جمع موزون أو ميزان فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة
والثواب ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بتضييع الفطرة
السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا
يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الأرض أي مكناكم من
سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش أسبابا تعيشون
بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف
قليلا ما تشكرون فيما صنعت إليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي
خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة
خلق الكل وتصويره أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه

ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الإخبار فسجدوا إلا إبليس
لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك ألا تسجد أي أن تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه
قيل ما اضطرك إلى أن لا تسجد إذ أمرتك دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور
قال أنا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول
فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
أولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك
بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه
بقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة وباعتبار الصورة
كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار
الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن
له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان
إلى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء أو الجنة فما يكون لك
فما يصح أن تتكبر فيها وتعصي فإنها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على أن
التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره
لا لمجرد عصيانه فاخرج إنك من الصاغرين ممن أهانه الله لتكبره قال عليه
الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال أنظرني
إلى يوم يبعثون أمهلني إلى يوم القيامة ولا تمتني أو لا تعجل عقوبتي قال إنك
من المنظرين يقتضي الإجابة إلى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا
بقوله إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء
أجله فيه وفي إسعافه إليه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال
فبما أغويتني أي بعد أن أمهلتني لأجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب
إغوائك إياي بواسطتهم تسمية أو حملا على الغي أو تكليفا بما غويت لأجله
والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فإن اللام تصد عنه
وقيل الباء للقسم لأقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الإسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم

من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع
مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من
فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن
عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون
ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم
تيقظهم واحتياطهم وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما
متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر
متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما
من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه
يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام
على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف
ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي
الشجرة وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من اليا فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب
على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوسة الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع
ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت
في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة

مذموما

والقاء

والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على تفضيل
الملائكة على الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام وجوابه انه كان من
المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا
ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك
لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك
وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما
عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما
الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة
سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما
به من القسم فانهما ظنا ان لا احد يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما
عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان
اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقيل يخصفان
من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا
ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار
العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لادم وحواء وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا واخبر لهم عما قال لهم متفرقا
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين تنقضي آجالكم قال فيها

قرئ م

عيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد أنزلنا
عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله
وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد
الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله
ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء
اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا
ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله
وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه
خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك
اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من
الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم
عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال
من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته
وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي
امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون
بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم
وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف
العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فاعرض
عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء
لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم
الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي

فان المراد

فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جواب سؤالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها
آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد
اذا قام الدليل على خلافه مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن
النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل
امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته
مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل
وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخر
حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشاكم تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل
كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا
حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما
بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند
سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الانسان احسن
هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في
نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على
ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام

وها

ابتداء

ثم

ثيابكم لمواراة عورتكم ح

تبع للاختصاص وغيرهم للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال
وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها
والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم
او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل
عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته سبحانه وتعالى
والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر
وقت او لا يطلبون التقدم والتأخر لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان
اتيان الرسل امر جائز لا واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتأكيد
معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين
كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في
الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه
حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل
وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما
كنتم تدعون من دون الله اي الآلهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت
باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا
غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين
فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة في امم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا

او احد من الملائكة صح

كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا
اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا
او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم
ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم
واضلالهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما
لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما
كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم
ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في
الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها عن
الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء
لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب
الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو
البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم
وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش
ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه
وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات
اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة
والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف

نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم
بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا
التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله
وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا
ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه من الدنيا صار لهم
عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة
صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين
من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما
ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب
وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع على او منصوب ويبغونها
عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم
تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالاخرة
كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة
والنار ليمنع وصول اثر احداهما على الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب
اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الديك
العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون ظاهرا اكثر مما عرف من غيره رجال طائفة
من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله سبحانه و

فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام او الشهداء
رضي الله تعالى عنهم او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال
يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون
حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في
النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة
يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى
بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل
لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله
سبحانه وتعالى او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على
الاستئناف وتقدير دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان
الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من
الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم
البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به
واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من
عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه
دليل على انه سبحانه وتعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول

وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه
الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة صح

وقرئ نفضلناه على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولا او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك وقرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعاظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله سبحانه وتعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات في يومين ثم عمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة

ان يكون لنا شفعا اما لاحد الامرين او للامرين واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب استفهام الثاني ٥م

صفته لله بلا كيف والمعنى ان الرتع استوا على العرش ٥م

ثم

ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها فقسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين كقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير الملك فدبر الامر من السما الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفا دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعا وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصعود الى السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا لا تعتدوا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعا في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر بالتخفيف حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح البا مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت

يام

ولحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع ٥م

حملت واشتقاقه من القلة لان المقل الذي يستقله حملت سحابا ثقالا بالماء جمعه
لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ لبلد ميت لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به
الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل
فيه عود الضمير الى الماء واذا كان الضمير للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي
كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها
وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك
قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن
ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه
اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا
مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد
ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الا
يات فانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا
الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها
مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك
ابن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره
وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي
الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملا من قومه
اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق
مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي
كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدرا

باعتبار

باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى في الغاية لاني رسول من الله سبحانه
وتعالى ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات
لرسول او استئناف ونسقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو
ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبيا
قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على محض
النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته
وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للا
والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر
من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا
منها بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه
على ان التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وان المتقي
ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله تعالى فكذبوه فانجيناه
والذين معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
عشرة بنوه سام وحام ويافث وسبعة ممن امن به في الفلك متعلق به
بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى
عاد اخاهم عطفا على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد
به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فان هود بن عبد الله بن رباح بن
الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل
هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم
حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب
من قوم نوح ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من
اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل

كانه قال ولكني على هدى

نكار

وَلا تجافيهم حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقا بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي
لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا
فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم
من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا
آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم
انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والمعنى المجي في اجئتنا اما المجي من مكان
اعتزل به عن قومه او عن السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب
يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت
من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم
على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما
نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية
لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق
الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به
ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم
والابطال بانها اسما مخترعة لم ينزل الله بها من سلطان وضعفهما ظاهر
فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم
من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان

روي

روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا
عتوا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ
مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلا توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج
فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك
بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم
باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم
فعلم القينتين • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما •
• فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما •
حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن
اذا اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه
عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا
وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السود فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي
المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم ريح عقيم
فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله سبحانه
وتعالى فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد
وهو الما القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد
ابن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة
نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في الآية واضافة الناقة الى
الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك
كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر

وازاحة للعذر **فياخذكم عذاب اليم** جواب للنهي **واذكروا اذ جعلكم**
خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر **تتخذون من سهولها**
قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن
والاجر **وتنحتون الجبال بيوتا** وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع
وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال
او تنحتون بمعنى تتخذون **فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين**
قال الملا الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان **للذين استضعفوا**
لمن امن منهم اي للذين استضعفوهم واستذلوهم **اتعلمون ان صالحا**
مرسل من ربه قالوه على الاستهزا **قالوا انا بما ارسل به مومنون** عدلوا
به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك
فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر فلذلك
قال **قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون** على المقابلة
ووضعوا امنتم موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما **فعقروا**
الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان
برضاهم **وعتوا عن امر ربهم** واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح
عليه افضل الصلاة والسلام بقوله فذروها **وقالوا يا صالح ايتنا**
بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث
الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون
قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له
اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن
عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لتومنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة ومنع
الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم

فلبث

لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل لقومه وبدل البعض ان كان للذين صح

فلبثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البير
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاوا حتى تمتلي اوانيهم ويشربون
ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو
الى بطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فهلكوا **فتولى**
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم **ولوطا** اي وارسلنا لوطا
اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه **اتاتون**
الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح **ما سبقكم**
بها من احد من العالمين ما فعلها احد قبلكم قط والبا للتعدية ومن
الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف
مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانها اسوا
انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة
وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف
وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية
الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد
وبقا النوع لا قضا الوطر **بل انتم قوم مسرفون** اضراب عن الانكار الى
الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شي او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل
لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف **وما كان جواب قومه الا ان**

قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المومنين من قريتهم والاستهزا بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا
امراته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر
عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام
نزل الاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه
من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس
في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي
دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا ادم على
يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا
لنبوته فاوفوا الكيل اي الة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على
المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا المكيال
والميزان ويجوز ان يكون مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياهم ولا تنقصوهم
حقوقهم وانما قال اشياهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير
والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيا الا مكسوه ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبيا
واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل
والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه
ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط
الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا
اذا راوا احدا يسعى في شي منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن امن به وقيل كانوا

يقطعون

يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا
عليه او الايمان بالله من امن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم بما عطف
عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقا الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم
قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين من الامم قبلكم فاعتبروا وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به
وطايفة لم يومنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين
اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد
الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط
لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب
هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف
نعود فيها ونحن كارهون لها او تعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه
محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل عليه قد للتقريب من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا او انه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل
وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله قد افترينا وما يكون
لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه
دليل على ان الكفر بمشيته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما
لا يكون وسع ربنا كل شي علما اي احاط علمه بكل شي مما كان ومما يكون منا ومنكم
على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى
ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفا
تحين وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم
اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس

والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطا باللام فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في
دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا
فيها اي استوصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا
هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما
اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم
كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن
عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي
في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم وقرئ فكيف ايسى با
مالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبوس
والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم
بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء
اللحية وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا
منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي
وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل
المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر
بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من
ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم

افامنوا

افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين
خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه
بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على
قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى
ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم
واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا
نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند
مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به من قبل ولا حين جاءتهم
الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام
لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا
تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية
اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما
عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا
اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والا فعال
الداخلة عليها وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم
موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات
الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها
لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر
ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب

العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه
اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فقد جئتكم عليه وكان اصله
حقيق علي ان لا اقول كما قرا نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى
انه واجب على القول الحق ان اكون انا قايله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت
على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة
من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي
وطن ابايهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت
باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت
من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في
انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه
بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين خمسة وعشرين
الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه
فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظار
او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان ادم شديد الادمة
فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو
واشراف قومه على سبيل التشاور فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هنا
يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه
واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفق عليه
اراوهم فاشاروا الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجيه كما
قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجيهو على قراءة ابن كثير على الاصل
في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي
واما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة
حمزة ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل
في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجيه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان

الهمزة

ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه
وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل
الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استيناف به كانه جواب
سايل قال ما قالوا اذ جاءوا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار
وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم
لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب
لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى
مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد
ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم
ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما
الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا
رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية
وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع
عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي
السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه
حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة
في سرعة خرورهم وشدته قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب
بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص امنتم على الاخبار قبل ان اذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى

قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
بدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا
به فرعون صح

في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط
وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لا
صلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن
على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك وانا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم
استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا
وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ
الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم وقيل انه لم يقدر
عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر
موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى
مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول
الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه
عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا
ويذرك كقوله فاصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد
الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه
ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من
القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة
والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصر وتذكير لما

من

١٩٦

من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا
على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما
كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود
عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة و
عصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما
يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص
من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم
كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله وير غبوا
فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لا
جلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن
معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم
بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل
التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى
بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم
عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او
سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت لهم ما
يسوءهم وقرئ انما طيركم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا
يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصله
ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا
للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحله
الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي ايما شيء تحضرنا
تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها علينا وتشبه

عليها والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل هو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الما بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحرا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكلت ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا ينكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فكان ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ايات نصب على الحال مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل انها ايات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي

عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابنا من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة

فيه م — *متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او*

يحذرون م

ظا

بعيد وتهالكا كافة لهلاك قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل إن
هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم
الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون
من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام
بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان
وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار
لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا
وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا وهو
فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه
على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما استحقوا
بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون
واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم
سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من
آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة عظيمة أو محنة
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها
بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي
أنه عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل أن يأتيهم بعد هلاك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل
ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله
أن يزيد عليها عشرا وقيل أمر أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة
ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون
اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح في أمورهم أو كن
مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد ولا
تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط
كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام

من

من كل جهة تنبيه على أن سماع الكلام القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال
رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك
وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني
دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها
على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح
شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال
لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا أو
أن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى
الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه
لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة أن
المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى
رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام
لها وقرئ دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من
هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت إليك من الجرأة
والإقدام على السؤال من غير إذن وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل
معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى إني اصطفيتك
اخترتك على الناس أي على الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا
كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني أسفار
التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك
أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة روي أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الرؤية كان يوم عرفة والتوراة كان يوم النحر
وكتبنا له في الألواح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة
وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ
وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة وكانت

من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صما فلينها الله لموسى فقطعها بيده
او شققها باصابعه وكان فيه التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا
على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شي فانه بمعنى الا
شيا او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي با
حسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصار على
طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بوا
جباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن
مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتا سا
اوريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم
وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله
واورثنا القوم ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين
يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه
باعلايها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق
وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا
يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد
وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد
وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم الايات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر
اي ساصرف ذلك الصرف بسببها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اي ولقائهم الدار الاخرة او ما وعده الله في الدار الاخرة حبطت اعمالهم
لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم
موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط
حين هموا بالخروج من مصر واضافها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر
بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا

خاليا

خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري
لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه
بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو
فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار
اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلا
لهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى
والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشيا في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم
كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فيصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على بنا الفعل للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم
في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرا حمزة
والكسائي بالتاء ربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد
الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي ما فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون
ومن معه من المؤمنين وما نكرة موصوفة تفسر للمستكن في بئس والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه
اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم
وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم
بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين
روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت
فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شي وبقي سبع وكان فيه المواعظ والا
حكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان
اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا لذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن
ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت اليا اكتفا بالكسرة تخفيفا
كالمنادى المضاف الى اليا والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها

ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني فاستضعفوني صح

خمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وقاربوا قتلي فلا تشمت
بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت
بأخي ولأخي إن فرط في كفهم ضم إليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت
أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم
وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم
وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالإيمان
وبما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن
وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار أخيه أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة
وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه
حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه
أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة
بمعنى مفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل
والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار
وأوصل الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه
تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال إن لمن قعد أجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل
موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام
فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة
أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت
على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت
عليهم بالإنقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان

كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول صح

ذلك

ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين
مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن
هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في
العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع
المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فا
غفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها
بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي
الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر
من هاده يهيده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى
أملنا أنفسنا وأملنا إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه
على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فسأثبتها في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون
الكفر والمعاصي ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق
عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل
من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد الأمي
الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة ويضع عنهم
إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا من التكاليف الشاقة
كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله
فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع
ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته
يعني القرآن وإنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف

المقاين مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل
مع اتباع النبي فيكون اشارة الي اتباع الكتاب والسنة اوليك هم المفلحون
الفايزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعا موسي قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم مبعوثا
الي كافة الثقلين وساير الرسل الي اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك
السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه
كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو
وهو علي الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلي ساير الرسل من كتبه ووحيه
وقري وكلمته علي ارادة الجنس او القران او عيسي تعريضا لليهود وتنبيها علي
ان من لم يومن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الي الغيبة لاجراء هذه الصفات
الداعية الي الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل
رجا الاهتدا اثر الامرين تنبيها علي ان من صدقه ولم يتابعه في التزام شرعه
فهو يعد في خطط الضلالة ومن قوم موسي يعني من بني اسرايل امة يهدون
بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم
والمراد بها الثابتون علي الايمان القايمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر
اضدادهم علي ما هو عادة القران تنبيها علي ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل
الحق والباطل مستمر وقيل مومنوا اهل الكتاب وقيل قوم ورا الصين راهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم
قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه
يتضمن معني صير او حال وتانيثه للحمل علي الامة او القطعة امما بدل منه
ولذلك جمع او تمييز له علي ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي
عشرة قبيلة وقري بفتح الشين وكسرها واوحينا الي موسي اذ استسقاه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اي فضرب فانبجست
وحذفه للايما علي ان موسي لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن موثرا
يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوي
كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا

انفسهم

انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شيتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معني غير ان قوله فكلوا بالفا افاد
تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفا بذكره ثم او بدلالة
الحال عليه (وما تقدم) قوله وقولوا علي وادخلوا فلا اثر له في المعني لانه لا يوجب الترتيب وكذا
الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة علي
انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر
بالتا والبنا للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم
رجزا من السما بما كانوا يظلمون مضي تفسيره واسالهم للتقرير والتقريع
بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم
او وحي ليكون لك ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت
حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور علي شاطي البحر وقيل مدين
وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال
اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقري يعدون واصله
يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت وقد
نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والا
ضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويويد الاول ان قري يوم اسباتهم وقوله
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقري لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون علي البنا للمفعول (عل)
بمعني لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة علي وجه الما من
شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك
البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا
تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت عطف علي يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعني صلحاوهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتي
ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا
شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع

منهم أو سؤال الأغر عنه الوعظ ونفعه فكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن
الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طايفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم
ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسوال اي موعظتنا انها
عذر الى الله حتى لا ننسب الى التفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب
على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم
يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما
ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل
من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن
عامر بكسر البا وسكون الهمزة على انه بيس على فعل قلب الهمزة ياء كما قلبت
في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على
قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى
عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية
الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ
المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فا
صبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت
تاتي انسباهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث
وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل
من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء
يوذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ
اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام
بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب
الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله

كحذر فخفف عينه بنقل حركتها الى الفا كبئس ونافع بيس صح

فانعل

فا فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع
العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض
امما وفرقناهم بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة
قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل ومنهم ناس
دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا
عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به
ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح
في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ورثوا الكتاب التوراة
من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا
ياخذونه من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلام والجملة حال من الواو ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عايدين الى مثله
غير تايبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على الله تعالى وخروج
عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه
تقرير وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هولاء افلا
يعقلون فيعلمون ذلك ولا يستبدلوا الادنى المودي الى العقاب بالنعيم
المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتا على التلوين والذين يمسكون
بالكتاب واقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون
اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون
بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة
وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت
في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك

منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن لم يبلغ او وهم دون ذلك صح

تستغفر

انه افترا صح

او على ورثوا

ابوا ان

انهم يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما
فيها والا ليقعن عليكم خذوا اي على اضمار القول اي وقلنا خذوا وقائلين خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج
من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني
آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم
ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا
بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة
اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه بدليل او تقولوا عطف
على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام
الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره
ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث
رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى الميثاق
العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال
وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا وهو احد علماء بني اسرائيل
او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا
في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده
وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين وفي بعض علم كتب الله فانسلخ
منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه
ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة

قالوا

فالحوا حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار
من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض
مال الى الدنيا والى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه
واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب
الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول
المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على
ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة
كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه
يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له
بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان عند
التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين
والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة
للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم
الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم على حذف المخصوص بالذم
الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون
اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب
الآيات وظلم انفسهم او لا بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا
يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله
تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع
في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن
الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا

بآياتنا ه

وقرئ ساء مثل القوم ه

او سقطها عنها ه

خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا
يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون
بها الايات والمواعظ سماع تامل وتذكر اوليك كالانعام في عدم الفقه
والابصار للاعتبار والسماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة
الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من
المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اوليك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها
الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمايه واتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما
يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم
ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم
فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمايها منها كاللات من الله والعزى
من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد
اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين عن الحق
للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامور
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طايفة
بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا يزال من امتي طايفة على الحق الى ان ياتي
امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه
معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك
قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد
درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم
فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم
كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون

وروي انه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس
الله فقال قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو
الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من
الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها
وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى
ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من
الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب
اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم
قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده بعد القران
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع
والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو
متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم
لا يبادرون الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم
يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله
من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في
طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء
لقوله من يضلل الله وحمزة والكسايي بالجزم عطفا على محل فلا هادي
له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسالونك
عن الساعة عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره
ومنه رسى الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي
وقت وهو من اويت لان البعض اوى الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر
به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر
امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفا بها مستمر على غيره الى وقت
وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت
في السموات والارض عظمت على اهلها من الملايكة والثقلين لهولها وكانه
اشارة الى الحكمة في اخفايها لا تاتيكم الا بغتة فجاة على غفلة كقوله

عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي
ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه
فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك
عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة كأنك حفي بهم
بهم من حفي بالشيء اذا فرح فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه
كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي مكره لانه من الغيب الذي استأثر
الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه
الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته
احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر
وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله
اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان
يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من
نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن
اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما
ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها حملت اي جامعها حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الاذى
او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت
وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت منه فلما اثقلت صارت ذات
ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة
المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا ... عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله جعلا له شركا فيما آتاهما
فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني

الاصنام

بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها

ولدا سويا قد صلح بدنه

جعل اولادهما له شركا فيما آتى اولادهما فسموه صح

الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك
لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما
منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت
فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون
الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسها عربية
قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربع بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس
وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين
بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء
وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم
نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم
اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة
الدعاء من حيث انه مسوي بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم
فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات ولانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم عند دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تدعونهم
وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم
ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما
لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم
يثبت مثله ويبطشون بالضم هاهنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم
واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلوني
فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب
القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده فضلا
عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يوا

جهه

م وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم صح

خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم
من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما
يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وامر بالعرف المعروف
المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل
افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على
خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز
وشبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه
فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا
اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير
وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين
والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل
والاغراء وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون
عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي
ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير
الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القران
او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرا
او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من
ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا
القران بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب هكذا القران بصائر
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا
له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع

قراة

قراة القران الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران
مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراة
على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراة والدعا
وغيرهما او امر للماموم بالقراة سرا بعد فراغ الامام عن قراته كما هو مذهب الشافعي
رضي الله عنه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي متكلما
كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال
باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في
الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك
يعني ملائكة الملا الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا
بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه
الصلاة والسلام من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين
ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية

سورة الانفال مدنية وهي
ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال تعالى
اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي
به ما يشترطه الامام للمقتحم خطرا عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله
والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به وسبب نزوله
اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسمها المهاجرون منهم
او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان
ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال
قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا لكم وفئة
تنحازون اليها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا
قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه وعن
سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص ص
واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه
فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله
من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال

لي

التي السيف

رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ
يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها
ويسلونك الانفال اي يسلونك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الا
خلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم
مومنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه
الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والا
حسان انما المومنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت
اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المومن به او لاطمينان
النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى
ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا
صفة مصدر محذوف او مصدر موكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل منازل الجنة يرتقونها باعمالهم
ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده
ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره
هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة
مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول
صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا
من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة

المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم
تفلحوا بعدها ابدا وقد رات قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب
ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة
الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى
رجالهم ان يتنبوا حتى تتنبا نساوهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة
ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد
باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا
القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع
العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم
قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك
حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو
يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم
برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا
وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى
مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل عليك بالعير
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله

وعدك احدي الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير
عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما
يساقون الي الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الي الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تاهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايما
الي ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدي الطايفتين
علي اضمار اذكروا واحدي ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم
بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحي بها في هذه الحال
او باوامره للملايكة بالامداد وقري بكلمته ويقطع دابر الكافرين
ويستاصلهم والمعني انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله يريد اعلا الدين واظهار الحق وما يحصل لكم به فوز الدارين
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الي حمل
الرسول علي اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ
تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او علي
اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص عن القتال اخذوا يقولون
رب انصرنا علي عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام
نظر الي المشركين وهم الف والي الصحابة وهم ثلثماية فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك الي ان سقط رداوه فقال ابو بكر يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم
باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر علي
ارادة القول او اجرا استجاب مجري قال لان الاستجابة من القول
بالف من الملايكة مردفين متبعين المومنين او بعضهم بعضا من اردفته
اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين

اذا جيت بعده او متبعين بعضهم
بعضا او انفسهم المومنين من اردفته

كانوا فيها

بمعني

بمعني انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقته وقري بكسر الرا وضمها واصله
مرتدفين بمعني مترادفين فادغمت التا في الدال فالتقي ساكنان فحركت الرا
بالكسر علي الاصل او بالضم علي الاتباع وقري بالاف ليوافق ما في سورة
ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين
كانوا علي المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف
في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا
بشري الا بشارة لكم بالنصر ولتطمين به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملا
وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر
منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشاكم النعاس بدل ثاني من
اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من
معني الفعل او بجعل او باضمار اذكروا وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشي اذا غشيته
اياه والفاعل علي القراتين هو الله تعالي وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تعالي وهو مفعول له باعتبار المعني
فان قوله يغشاكم النعاس يتضمن معني تنعسون المغشي وان جعل علي
القراة الاخيرة فعل النعاس علي المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه
ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله
لولاها لم يغشهم كقوله
يهاب النوم ان يغشي عيونا ... تهابك فهو نفار شرود
وقري امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به من
الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من
تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في
كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام علي غير ما وناموا فاحتلم اكثرهم وقد
غلب المشركون علي الما فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد
غلبتم علي الما وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اوليا الله وفيكم
رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جري الوادي
واتخذوا الحياض علي عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضوا وتلبد
الرمل الذي بينهم وبين العدو حتي ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط علي قلوبكم بالوثوق علي لطف الله بهم ويثبت به الاقدام بالمطر

ئكة

كم

ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله
ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل

ي

٢٠٩

حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك
بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم
وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه
فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني
معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب
فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او اما على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان
تلقين للملائكة ما يثبتون به المؤمنين كانه قال قولوا لهم قولي هذا
فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم
كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب
او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا
الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعا
ديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم
وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير
للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم
الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم
او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم
او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة
ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب
الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع
على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا
عن ان يكونوا مثليكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض
المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول
اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا
وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد

الكر

الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او
منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر
القرب لما روي عن ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم ومتحرفا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء
من المولين الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الآن
خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين
معه باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن
الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما
طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال
له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء
فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه
فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على
التفاخر فيقول قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها
الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى
اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من
قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود
منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم وقيل انها نزلت في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم
يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن
فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة
الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم
اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر

وانتصاب م

ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلا
المومنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان
تستفتحوا فقد جاكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك
انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلا
الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا نعد لنصره ولن تغني عنكم ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيا من الاغنا او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المومنين بالنصر
والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المومنين
كان ذلك وقيل الاية خطاب للمومنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستاثره الرسول
فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو
ولن تغني عنكم حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
ايمانهم ويوكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة
الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل
الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القران
والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنا
فقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون
راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهايم الصم عن الحق
البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهايم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما
ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا
بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا
به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا
يقولون للنبي احي لنا قصيا انه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونومن بك
والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة
اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه

لمحاربته

عليه

عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جا فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول
واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة
وقيل ان دعاه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر
الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل
موته وقال لا تعجبن الجهول حليته وذاك ميت وثوبه قبر او مما يورثكم
الحياة الابدية في النعيم الدايم او من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب
بقايكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احيا عند
ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد
لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب له
وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين القلب بالموت او غيره او تصوير وتخييل
لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى بشقاوته وقرى بين المر
بالتشديد على حذف الهمزة والقا حركتها واجرا الوصل مجرى الوقف على
لغة من يشدد فيه الهمزة وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهرهم
والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في
الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى لا يحطمنكم واما صفة لفتنة
ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة
القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط • جاوا بمذق هل رايت الذيب قط •
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نهيا بعد الامر باتقا الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض
مكة تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا
اذلا في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من

على الراء

الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب صح

عاداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم **فآواكم** الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به من اعدائكم **وايدكم بنصره** على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات** من الغنايم **لعلكم تشكرون** هذه النعم **يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول** بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات وارتحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يجي رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياها **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو **وانتم تعلمون** انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن اثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يوديكم اليه **يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح **ويكفر عنكم سيئاتكم** ويسترها **ويغفر لكم** بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله **والله ذو الفضل العظيم** تنبيه على ان ما وعدهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم

عليه

عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل **واذ يمكر بك الذين كفروا** تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك **ليثبتوك** بالوثاق والحبس او بالاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقري ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك **او يقتلوك** بسيوفهم **او يخرجوك** من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال الشيخ بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال الشيخ صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه في مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار **ويمكرون ويمكر الله** برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا **والله خير الماكرين** لا يوبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم **واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** هو قول النضر ابن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ايتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان **ان هذا الا اساطير الاولين** ما سطره الاولون من القصص **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم**

هذا ايضا من كلامه ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر
ان هذا الا اساطير الاولين قال النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله
فقال ذلك والمعنى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة
على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين على
كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله
لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي
والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن
عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم
من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم
الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون
عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية
وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه
الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من
يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند
البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء
وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته
روي انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي
ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني

اليقين والجزم

الاسر

الاسر والقتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب
العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه
لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل
ذاتها تكون حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ
اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر
من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما
انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون
في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب ليميز الله من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله
اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا
سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر
على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله
وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله

سوى من استجاش من العرب

يرون

بالتماديهم من الجهاد والدعوة الى الاسلام والإخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان
بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة
يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله
مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم
النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي
فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه باق غير ان سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي
القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه
مفوض الى الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية
وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه كان عليه
الصلاة والسلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي
على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذو
القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى
عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني عبد المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم
ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل الخمس كان في
غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم
المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا

(في الهامش: رأي — العلمي)

عليا

وعلى عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول
والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى
الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل
على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم
والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى
البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا
تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من
القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني
الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة
وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل
ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو
تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم
وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم
ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة
فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي
الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله
مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة
شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات
الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على
المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ
يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان

(في الهامش: قان — لكم — له — للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيي المشارف للهلاك والحياة)

او ستعقب يعلم اي يقللهم في عينك في روياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم
في الامر اي امر القتال وتفرقت اراوكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم
انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضمير
مفعولا وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرويا
الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور
وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم
كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجيهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا
من عظائم تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل
كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الابصار
عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان
مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقا
على الوجه المحكي وهاهنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه
والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم
يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقا مما غلب في القتال
فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والظفر
والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شي عن ذكر الله وان يلتجي
اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه
لا ينفك عنه في شي من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الارا كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف
عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث
انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد
بها الحقيقة فان النصر لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاة
والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا
منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة

والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي
سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم
بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من
العرب فوافوها ولكن سقوا كاسات المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى
المومنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى و
اخلاص من حيث ان النهي عن الشي امر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا
له على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين
لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية
والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم
وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم
حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او
صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما
تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل
كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على
المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل
لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم
واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة نكص وكان يده في يد
الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه فقال اني ارى ما لا ترون
ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى
قوله اني اخاف الله اني يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون
الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله
الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان
يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الذين لم

قد

يطمئنوا على الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون أو المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا
لما لا يدلهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى
ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيا عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة ببدر وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة
أو حال الكفرة حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء
ويدل عليه يجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير
عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على
الضميرين وأدبارهم ظهورهم وأستاههم ولعل المراد تعميم الضرب
أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على
يضربون على إضمار القول أي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها
وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله ذلك الضرب والعذاب
بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة
بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم
بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى
ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لأجل العبيد دأب
آل فرعون والذين من قبلهم من قبل فرعون كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء إن الله قوي شديد
العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأنه
بسبب أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنقمة
حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة
الرسول ومن تبعه منهم والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات
والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير

الله

اي داب هو كمثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه

بعده

٢١٥

الله ما أنعم الله عليهم حتى يغيروا أحوالهم بل كما هو المعهود له وهو جري عادته
تعالى على تغييره حتى يغيروا أحوالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم
ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وأن
الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد
ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به
آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير
في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى
القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالظلم والمعاصي إن شر الدواب
عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا
يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون
والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض
للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة
فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة
أو المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو
نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم
في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم
من خلفهم من ورائهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ
بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد
من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ
إليهم فاطرح إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم
في الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو
في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه
أو من المنبوذ إليهم أو منهما على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر

عليه يستدعي تحقق المعطوف

بوا

هم

ن

هم

بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف
ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا ابن عامر
وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول
الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان
المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح
على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر
انه تعليل للنهي اي لا تحسبهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت الا انه تعليل على سبيل الاستيناف
ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت
فيمن افلت من المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار
ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه
السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه
بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى
فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا او جمع ربيط كفصيل
وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم
يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل
المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون
بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد
معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها قال السلم تاخذ منها
ما رضيت به * والحرب تاخذ من انفاسها جرع * وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وحيقه
انه هو السميع العليم لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب
لاتصال الاية بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان
يخدعوك فان حسبك الله وكافيك قال جرير

فان محسبك الله

* اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا *
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم
من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات
الله عليه وسلامه وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما
في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف
بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز
تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان
يفعل ما يريده وقيل الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا
وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله
* فحسبك والضحاك سيف مهند * اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا *
او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله
والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن
عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في
حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد
للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر تكن بالتاء في الاولين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بانهم
قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات
المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون
من الله الا الهوان والخذلان الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل
ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة

فانزل ابتلاء ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف
البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح
وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر
والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له
اسرى وقرا البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض
الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او
بسبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار
المضاف كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ٭ ونار توقد في الليل نارا ٭

والله عزيز يغلب اوليايه على اعدايه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخص
بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير
بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي انه عليه السلام
اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار
فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر
وان الله اغناك عن الفدا مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من
اخويهما فنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا
فنزلت فدخل عمر على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول
الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية
دليل على ان الانبيا يجتهدون وانه قد يكون خطا ولكن لا يقرون
عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو

ان

ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح
لهم بالنهي عنه وان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم فيما اخذتم
من الفدا عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك انه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما
غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنايم وقيل امسكوا عن الغنايم فنزلت
والفا للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم
تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفايدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه
بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا
واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما
اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرا ابو عمرو من الاسارى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا
روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل
ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها
اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد
الله ولعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك فقال اخبرني به ربي
قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك لرسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني
الله ذلك خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا الى المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض
ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين
آمنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدايهم اولئك

انتظر به

بعضهم اوليا بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث وقرا حمزة من ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اوليا بعض في الميراث او المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او المؤازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القران واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شي عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة التوبة مدنية

وقيل الا ايتين من قوله لقد جاكم رسول وهي اخر ما نزلت ولها اسما اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من

التوبة

التوبة للمؤمنين والمقشقشة من النفاق وهو التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وايها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براة من الله ورسوله اي هذه براة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براة مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضبا ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغا فوقف فقال هذا رغا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم

لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم

غير معجزي الله لا تفوتونه وان ممهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال
بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر
يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي
انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله بري
من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بري او
على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار
بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم
يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل
لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشي مما لابسه
من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذي
القعدة وذي الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي
بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم

واحبسوهم

فدعوهم

219

فدعوهم لا تتعرضوا لهم بشي من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة
لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وان احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك
جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده
لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامر اي الامر بانهم قوم لا يعلمون
ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم حتى يسمعوا ويتدبروا
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والا
ستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع حزة صدورهم او لان يفي الله
ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة العهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخير
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا تبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثنا او الجر على البدل او
الرفع على ان الاستثنا منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي تتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد
فاستقيموا على الوفا وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم فاستقيموا على الوفا وهو
كقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية
والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على
العهد او بقا حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

وخبرتماني انما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا هضبة وقليب

اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
الا قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش ... كال السقب من رال النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب
ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشي اذا
حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل
وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف
لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المودية الى عدم مراقبتهم عند الظفر

تعليلا للامر في فخلوهم لان الله غفور رحيم

لا يراعوا فيكم

حلفا وقيل

ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد
اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه
فيه وتأبى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا
عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا
بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا عن
سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة
على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا وما
دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول
عام في المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث
على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم فان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود
وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر
اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا
بذلك ائمة الكفر ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل
المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق
به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان
لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا
طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله
وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان اي لا اسلام وتشبث به من لم
يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق
بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية

بهم

بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت
على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع
الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما ذكر في قوله
واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام
بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته
الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم
اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا
اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه
قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر
عليهم والتمكن منهم من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني
بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها
اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية
من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب من كفره
وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما
اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين
والله عليم بما كان وبما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم
خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم
يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم والمراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان
عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على
جاهدوا وداخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة
يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين
ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة

المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب
بالتوحيد شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسول
وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روي أنه لما أسر العباس عيره المسلمون
بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي في القول فقال تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك
العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من
الشرك وفي النار هم خالدون لأجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء
الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم
تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتي
في الأرض المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته
ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول
لما علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى
الزكاة عليه ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة
التوقع قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بأنهم مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى
ولعل فما ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل
لا بد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج
كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار
أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك
بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكين في الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل

الله

بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم
تجتمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم
الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم
بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين
فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده
أجر عظيم يستحقرون دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة
قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا
ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن
استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم
فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة فإن
العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ
وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها
فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ
عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة
وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي
مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر
الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف
على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى
يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة
الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليه من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا
أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضي الله عنه أو
غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا

وقيل من العشيرة

فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجامه
وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شاهدا على تناهي شجاعته فقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا
مع المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا
من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي
الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب
او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة
الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم
يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف
او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا جاؤوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد
سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ
من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما
كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هولاء جاؤوا مسلمين
وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان
بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل
فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما
يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون
لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله

واولادنا

فقال ان هولاء

عنهما

عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد
في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما
نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن
الحج والعمرة لا الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد
عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه
اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش
فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس
من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال ان شاء
قيده بالمشيئة لتنقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك
وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر اي لا يؤمنون بهما كما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة
وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم
المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ
سائر الاديان او مبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون
حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه
عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى
مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه
او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او من الجزية بمعناه نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن انعام عليهم فان ابقاءهم
بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس قال تؤخذ الجزية
من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب
ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد
الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا
بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين
واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ

فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق

منهم الا من مشركي العرب لما روي الزهري انه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة
الاوثان الا من كان من العرب وعندنا لا تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها
في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير
غير الكسوب **وقالت اليهود عزير ابن الله** انما قاله بعضهم من متقدميهم او
ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر
من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا
فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم
والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف
به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه بالعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر **وقالت النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه
استحالة لان يكون ولد بلا اب او لانه يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والا
برص واحياء الموتى من لم يكن الها **ذلك قولهم بافواههم** اما تأكيد لنسبة
هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان **يضاهئون
قول الذين كفروا** اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه **من قبل** اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم
فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى
والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة
ضهيا على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض **قاتلهم الله** دعاء عليهم
بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم **انى يؤفكون** كيف
يصرفون عن الحق الى الباطل **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله** بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم
والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله **وما امروا** اي وما امر المتخذون او
المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ **الا ليعبدوا** ليطيعوا
الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر الله

بطاعته

بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله **لا اله الا هو** صفة ثانية او استيناف مقرر
للتوحيد **سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن ان يكون له شريك **يريدون ان يطفئوا
نور الله** حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن
او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بافواههم** بشركهم او تكذيبهم **ويأبى الله** لا
يرضى **الا ان يتم نوره** باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من
يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما
صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي **ولو كره الكافرون**
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه **هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله** كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره
ولذلك كرر **ولو كره المشركون** غير انه وضع المشركون موضع الكافرون
للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين
الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على
اهلها فيخذلهم **يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل** يأخذونها بالرشا في الاحكام سمي اخذ المال اكلا
لانه الغرض الاعظم منه **ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب** — الله دينه
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والر — هبان
فيكونون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين
من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزلت كبر على المسلمين فذكر
عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام
الكنز ما ادي زكاته فليس بكنز اي وعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الا
نفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه
فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده
الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره **فبشرهم بعذاب اليم** هو الكي بهما **يوم يحمى
عليها في نار جهنم** اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله

يحمى في النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل
الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا
عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب
والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن
ومؤخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال
كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي
مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب
الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق
السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل
مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والا
زمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم
دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما فلا
تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة
المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان يغزوا
في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه
الصلوة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي
القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر
كف عن الشي فان الجمع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان

انه

ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي
تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا اهل شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ
النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في
الكفر لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر اخر ضموه الى
كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائي وحفص
يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله يحلونه عاما
يحلون النسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه
عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف
الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان
تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة
الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت
زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم
واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم تباطاتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الا
ستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي
بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت
عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا
وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما
التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا الى ما
استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط
وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل
اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا
فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان
الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر

على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال إلا تنصروه فقد نصره
الله أي إن لم تنصروه فسينصره كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا ثاني
اثنين إذ لم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في
غيره وإسناد الإخراج إلى الكفار لأن همهم بإخراجه أو قتله تسبب لإذن الله
له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور
في الإعراب ونصبه على الحال إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض
إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه وهو أبو بكر رضي
الله عنه لا تحزن إن الله معنا بالعصمة والمعونة روي أن المشركين طلعوا
فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا
يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن إليها القلوب عليه على
النبي صلى الله عليه وسلم أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجا وأيده
بجنود لم تروها يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه على العدو
يوم بدر والأحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد أو دعوة الإ
سلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن أيدي الكفار إلى المدينة فإنه
المبدأ له أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه له ونصره
له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا
ثبات له ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في أمره وتدبيره
انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم أو
لكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا
ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال
نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما ذلكم خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون
الخير علمتم أنه خير أو إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبا

يعني الشرك أو دعوة الكفر

اعتبار ولذلك

دروا

فبادروا إليه لو كان عرضا قريبا أي لو كان ما دعوا إليه نفعا دنيويا قريبا سهل
المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم
الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله
أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا
استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله
اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من
المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون أنفسهم بإيقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أو حال من
فاعله والله يعلم إنهم لكاذبون في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج عفا
الله عنك كناية عن خطائه في الإذن فإن العفو من روادفه لم أذنت لهم
بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود
حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا
في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل إنما فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه للفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإن الخلص منهم
يبادرون إليه ولا يتكلفونه يتوقفون على الإذن فيه فضلا أن يستأذنوا
في التخلف عنه وأن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه إنما يستأذنك في التخلف الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الإيمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للإشعار بأن الباعث على الجهاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو أرادوا الخروج
لأعدوا له عدة أهبة بحذف التاء عند الإضافة كقوله فأخلفوك عدى الأمر
الذي وعدوا وعدة بكسر العين بإضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن
تثبطوا لأنه تعالى كره انبعاثهم أي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم
بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج
في قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو حكاية قول بعضهم
لبعض أو إذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين

وأنفسهم

بالخروج

وج

وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلوا عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم
شيئا الا خبالا الا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال
حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه
الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك
لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة
والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب
في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم
والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة
يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا
لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك
حتى جاء الحق بالنصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم
كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم
وبيان ما ثبطهم لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة لاعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة
الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار
بانه لا محالة متخلف اذن او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان
جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات
الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة
هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا
عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن
لاحاطة اسبابها بهم لوجودها ان تصبك في بعض غزواتك حسنة
ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة
كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تيقظوا

في التعود

بانصرافهم

بانصرافهم واستحمدوا الرأي في التخلف ويتولوا عن محدثهم ومجتمعهم له بذلك ثم
او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا
في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا
وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصواب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا
يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين
اللتين كل منهما حسنى العواقب الشهادة والنصر ونحن نتربص بكم ايضا
احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء
او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفايدته المبالغة
في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا
وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي
ونفي التقبل يحتمل امرين انه لا يؤخذ منهم وانه لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم
قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير
له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وما
منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان
تأنيثه غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلاة الا وهم
كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا
ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد
والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين
بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج
بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم انهم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر
قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات

تنتظرون بنا هم

تبعنا

النفقات صح

با

النظر

غيرانا أو مدخلا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من
دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا من تدخل
واندخل لولوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيا كالفرس
الجموح وقرئ يجمزون من الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك
بالضم وقرا ابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمتها فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق
قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه
يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنايم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نايب مناب الفا الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول من الغنايم او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على
ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيوتينا
الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيوتينا اكثر مما اتانا انا
الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا
لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انما الصدقات للفقرا والمسا
كين اي الزكوات لهولاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد
باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله اما السفينة
فكانت لمساكين وانه صلى الله عليه وسلم يسال المسكنة ويتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمولفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم
او اشراف قد يترقب باعطايهم ومراعاتهم اسلام نظرايهم وقد اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس لذلك وقيل اشرافا يتالفون على ان يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم
كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد
عد من يولف قلبه بشي منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم

لاقبلوا نحوه صح

منهم صح

المولفة

المولفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله تعالى واكثر اهله سقط
وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشي منها على ادا
النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى
الاسرى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير
معصية اذا لم يكن لهم وفا او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنيا لقوله
صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم
او لرجل اشتراه بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد
بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما
دلت عليه الاية الكريمة اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير
المستكن في للفقرا وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع
الاشيا في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة
التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد
وبه قال الايمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي
ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما
يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من
اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول
ما شينا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن
لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم
فسر ذلك بقوله يومن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويومن
للمومنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين
ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة
للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه

تنبيه على انه ليس بقبول قولكم جهلاً بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير صفة له او خبر ثاني والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه
والله يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم
والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضا بالطاعة
والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضايين او لان الكلام في ايذا الرسول
وارضائه او ان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا
مؤمنين صدقا الم يعلموا انه اي الشان وقرئ بالتا من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان
له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدايم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم
بما في قلوبهم وتهتك استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم
كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا
في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشي وقيل انه خبر في معنى الامر
وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزوا ان الله مخرج مبرز
او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرون من انزال السورة فيكم او ما تحذرون
اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب
المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات فاخبر الله به
نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شي من امرك وامر
اصحابك ولكن كنا في شي مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الا
ستهزا به والزاما للحجة عليهم ولا يعبا باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر
بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم عن
الايذا والاستهزا نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
او مقدمين على الايذا والاستهزا وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ باليا وبنا الفاعل

اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له

نهار هو الله وان تعف بالتا والبنا على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم
طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشي الواحد وقيل انه تكذيب في حلفهم بالله انهم
لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضا
ده
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد
كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دايرة
الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما
وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين
او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ
الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخرجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في
تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء
آثارهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالذين خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا
عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة
الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا
بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض
واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا
بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت
بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي من عادته ما يشابه ظلم الناس

ظلم
ام يكن

فالعقوبة بالاجرام ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عنه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله

فنزلت

فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هو كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض

عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عملهم اي
جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد
متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشد[يد]
الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم
سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل
من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
في الصدقات روي انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
ابن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة
وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امراتيه عن
نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق
تمرا وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على
صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى
عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي
عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في
الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزءون بهم ولهم عذاب اليم على
كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد التساوي بين الامرين في
عدم الافادة كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه
الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام

فهم

فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالف
حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعماية ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على
جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان من عدم مغفرتهم اليأس وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا
قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي
القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق
فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في
كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في
استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على
الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو
خلفه يقال اقام خلاف الحي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون
انتصابا به على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله ايثارا للدعة والحفظ على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين
الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا
في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا
وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف
هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك
والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك
الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منا
فقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج اي الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم
بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة
لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين

اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسا والصبيان وقري مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احيا الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عليه للدفن او الزيارة

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت صح

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولو الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولا ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت

طي

طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التا في الدال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقري المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلفوا في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفا ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسي فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفا او على المحسنين وهم البكاوون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فائضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنيا واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع

التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل صح

اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض صح

الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة
والانتظام في جملة الخوالف ايثارًا للدعة **وطبع الله على قلوبهم** حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة **فهم لا يعلمون** مغبته **يعتذرون اليكم** في التخلف **اذا رجعتم اليهم**
من هذه السفرة **قل لا تعتذروا** بالمعاذير الكاذبة لانه **لن نؤمن لكم** لن نصدق
لكم لانه **قد نبانا الله من اخباركم** اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو
ما في ضمايركم من الشر والفساد **وسيرى الله عملكم ورسوله** اتتوبون عن
الكفر او تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة **ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة** اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه
مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شي من ضمايرهم واعمالهم **فينبئكم
بما كنتم تعملون** بالتوبيخ والعقاب عليه **سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم** فلا تعاتبوهم **فاعرضوا عنهم** ولا توبخوهم **انهم رجس**
لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهولا ارجاس
لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة **وماواهم جهنم** من تمام
التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا
والاخرة او تعليل ثاني والمعني ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزا بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة **يحلفون لكم لترضوا
عنهم** بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم **فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم لا ينفعهم
اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا
على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضى
عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم **الاعراب**
اهل البدو **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخا
لطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة **واجدر الا يعلموا** واحق
بان لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله** من الشرايع فرايضها وسننها **والله
عليم** يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
عقابا وثوابا **ومن الاعراب من يتخذ** يعد **ما ينفق** يصرفه في سبيل الله ويتصدق
به **مغرما** غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما
ينفقه ريا او تقية **ويتربص بكم الدواير** دواير الزمان ونوبه لينقلب
الامر عليكم فيتخلص من الانفاق **عليهم دايرة السوء** اعتراض بالدعا عليهم بنحو

ما

ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون به والدايرة في الاصل مصدر او
اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسو بالفتح مصدر اضيف اليه
للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السو هنا وفي الفتح بضم السين
والله سميع لما يقولون عند الانفاق **عليم** بما يضمرون **ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله** سبب قربات وهي ثاني
مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** وسبب
صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولهذا
سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه
كما قاله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى لانه منصبه فله ان
يتفضل به على غيره **الا انها قربة لهم** شهادة من الله بصحة معتقدهم
وتصديق لرجايهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة
والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الرا **سيدخلهم الله في رحمته** وعد
لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله **ان الله غفور رحيم** لما
لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي
البجادين وقومه **والسابقون الاولون من المهاجرين** هم الذين صلوا الى
القبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة
العقبة الاولى كانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقري بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة **رضي الله عنهم** بقبول طا
عتهم وارتضا اعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوا من النعم الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها الانهار كما في
ساير المواضع **خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم** اي وممن
حول بلدتكم يعني المدينة **من الاعراب منافقون** وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على وممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته **مردوا على النفاق** ونظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله. انا ابن جلا وطلاع الثنايا. وعلى الاول
صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان
تمرنهم وتمهرهم في النفاق **لا تعلمهم** لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم

فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر
او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار
وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم
طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله صلى الله عليه فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل
الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيء هو التخلف وموا
فقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل
توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان
آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب المال المودي بهم الى مثله
وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم
بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم
بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها
قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم
والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد
به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعد
يته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من ياخذ
شيئا ليودي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فان
الله لا يخفى عليه شيء خيرا كان او شرا ورسوله والمومنون فانه تعالى لا يخفي
عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون

موخرون

موخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي و
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا
على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان
كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ
والله غفور رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما
راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امورهم الى الله فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا
مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير الواو
ضرارا مضارة للمومنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف
فبنوا مسجدا على قصد ان يومهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما
اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة
والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه
ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين
المومنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا وارصادا ترقبا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش
يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان
شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتو
سعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله
لقول ابي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
كقوله • لمن الديار بقنة الحجر • اقوين من حجج ومن شهر • احق ان تقوم
فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال
المذمومة طلبا لمرضات الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب
المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال
عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضا
قالوا نعم فقال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلا قالوا نعم قال
عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند
الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الاحجار الثلاثة ثم نتبع الماء فتلا رجال
يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله
ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة
ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد
وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط
في النار وانما وضع شفا الجرف وما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في
النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه
من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس
هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان
مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرئ
اسس بنيانه على الاضافة واسس واساس بالفتح والكسر جمع اس وتقوى
بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر
بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا
يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصفه بالمفرد واخبر عنه بقوله

[هامش: أتشكرون في الرخا قالوا نعم قال]

ريبة في قلوبهم اي نفاقا وشكا والمعنى ان بنيانهم هذا لا يزال سبب شكهم
وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم
وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث
لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في
النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء
وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحفص وحمزة وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على
البنا للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة
الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيل الله يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان ما لاجله الشرا وقيل يقاتلون
في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو
لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر
مؤكد لما دل عليه الشرا فانه في معنى الوعد في التوراة والانجيل والقرآن
مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير
لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان
يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين
العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء
والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم
شبهه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى
الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون
عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في
حكم الخصلة الواحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون

لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله
مفصل الفضايل وهذا مجملها ابتدا وقيل انه هنا للايذان بان التعداد قد تم
بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتدا تعداد اخر معطوف
عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المومنين يعني به هولاء الموصوفين بتلك
الفضايل ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى
ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج
لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا ثم قال اني استا
ذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيايهم فانه
طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن لك مغفرة
بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراة من قرا اباه او وعدها
ابراهيم ابوه بقوله وهو الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات
على الكفر او اوحي اليه بانه لن يومن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه
لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة
لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما
ليسميهم ضلالا ويواخذهم مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين
لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاوه وكانه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر من اسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل
غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الا
ستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم راسا
بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم

ولاية

الا منه ولاية ولا نصرة ليتوجهوا اليه ويتبروا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون
ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنا
فقين في التخلف او برايهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج
الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة
من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبيا والصالحين من عباده
الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في
عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم
والعايد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص بالياء لان تانيث القلوب
غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم
تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة
والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم روف رحيم وعلى الثلاثة
وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم لانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة
وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى
استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم
ليعدوا من جملة التايبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى لـ
ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا
وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هولاء الثلاثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
نهي عبر عنه بصيغة النفي للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال

روي ان ابا خيثمة كانت له زوجة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل
ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة
بانهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل
الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا
ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر
المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما
في حق الكفار فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة ولو علاقة سوطا ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا
يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى
اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم الا اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله
بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او جزاء احسن من اعمالهم وما كان
المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل
بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم
ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه
بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من
فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم
لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون عنه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة
يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر

ثم

[margin: شيء م]

[margin, صح: سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين]

ثم لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه في كتابي المرصاد تقريرا واعتراضا
وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون
الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة
الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا
ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف
ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو
قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والا
عانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء
ايكم زادته هذه ايمانا اي السورة وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره
زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في
قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر
بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون
يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او
الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر من الآيات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا
هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم
من احد اي يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم
يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن مجلسه حضرته مخافة الفضيحة صرف
الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد

[margin: ايكم م]

[margin: عليه و]

[margin: وان يرهم احد قاموا هو]

المكروه

شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي علي ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرءوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة علي الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي انه اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلي الله عليه وسلم ما نزل القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة والله اعلم

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجري المنقلبة من اليا تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الي ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله علي الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شي منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع علي ان الامر بالعكس او علي ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة علي انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الي رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله تعالي لم يجد رسولا يرسله الي الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم علي الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شي في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطي باليد واضافتها الي الصدق لتحققها والتنبيه علي انهم انما ينالونها بصدق القول والنية

قال

قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر علي ان الاشارة الي الرسول صلي الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلي الله عليه وسلم امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوي علي العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات علي ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيي بتحريك اسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد علي من زعم ان الهتهم تشفع عند الله لهم وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غيره اذ لا يشاركه احد في شي من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادني تفكر فينبهكم علي انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الي غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدا الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم علي العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه علي ان المقصود بالذات من الابدا والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالي يتولي اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدا والاعادة مجازاة الله المكلفين علي اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدا بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين علي القلب بتقديم اللام علي العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه

لعلها منقلبة

بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والا
كتساب منها وقدره منازل المقدر لكل واحد منهما منازل أو قدره
منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة
أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب
الأوقات من الأشهر والأيام في معاملتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك إلا
بالحق إلا ملتبساً بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات
لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأ
رض من أنواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه و
لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر إن الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها
ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا إليها
مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين
هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآ
يات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً وإما لتغا
الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين
من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له أولئك مأواهم
النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك
السبيل المؤدي إلى الجنة أو لإدراك الحقائق قال عليه الصلاة والسلام من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وإن
دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله
بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف
تجري من تحتهم الأنهار استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على
المعنى الأخير وقوله في جنات النعيم خبر أو حال آخر منه أو من الأنهار أو متعلق
بتجري أو بيهدي دعواهم فيها سبحانك اللهم أي دعاؤهم فيها اللهم إنا نسبحك
تسبيحاً وتحيتهم فيها سلام ما يحيي به بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم وآخر
دعواهم وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى
أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال

ثم حياهم

ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعالى
فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ
بها والحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه إليهم استعجالهم بالخير وضع
موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به
تعجيل لهم أو بأن المراد شراً استعجلوه كقوله تعالى فأمطر علينا حجارة من السماء
وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالاً كاستعجالهم
بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل دلت عليه
الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً وإذا
مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصاً فيه لجنبه ملقياً لجنبه أي مضطجعاً
أو قاعداً أو قائماً وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال والأصناف من
المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن
موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير
الشأن كما قال ونحر مشرق الصدر كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه إلى كشف
الضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في
الشهوات والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل
مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار
قد أو عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقاموا لأن يؤمنوا لفساد
استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد
النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه
بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم
فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه ثم جعلناكم
خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها
استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون أتعملون خيراً أو شراً فنعاملكم على مقتضى
أعمالكم وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائد
الدلالة على أن المعتبر في الجزاءات جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون

بنصب

ثم

ته

ائتنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده
من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله
بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم
الله فيلزمهم منه قل ما يكون لي اي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي
وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع
الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع
لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات
ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك
قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي
اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم
على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسله
غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما
تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار اربعين سنة من
قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق
للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد
عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع
واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به
من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه
ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاديا مما اضافوا اليه كناية او
تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب
بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا
ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان
شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفي الآخرة ان يكن بعث

بعث فكانهم

فكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار
النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم
عنده قل أتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او بهؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون
له تحقق في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي
منبهة على ان الذي يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء في
الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة
والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا
امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم
عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال
في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل
فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او
العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون
لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله
هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من المفاسد ما يصرف
عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر
في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين
حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون
رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما
دل على الفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء
الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكيدة ان رسلنا يكتبون ما
تمكرون للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا
عن ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم

ليتعجب من حالهم وينكر عليهم **بريح طيبة** لينة الهبوب **وفرحوا بها** بتلك الريح **جاءتها** جواب اذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها وهبت **ريح عاصفة** ذات عصف شديد الهبوب **وجاءهم الموج من كل مكان** يجي الموج منه **وظنوا انهم احيط بهم** اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو **دعوا الله مخلصين له الدين** من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم **لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** على ارادة القول او مفعول لانه من جملة القول **فلما انجاهم** اجابة لدعائهم **اذا هم يبغون في الارض** فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه **بغير الحق** مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق **يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم** فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم **متاع الحياة الدنيا** منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر موكد اي يتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر **ثم الينا مرجعكم** في القيامة **فننبئكم بما كنتم تعملون** بالجزاء عليه **انما مثل الحياة الدنيا** حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها **كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض** فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا **مما يأكل الناس والانعام** من الزروع والبقول والحشيش **حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت** بأصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت كانبتت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت **وظن اهلها انهم قادرون عليها** متمكنون من حصدها ورفع غلتها **اتاها امرنا** ضرب زرعها ما يجتاحه **ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا** شبيها بما حصد من اصله **كأن لم تغن** كأن لم يغن زرعها اي لم ينبت

محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل **بالامس** فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** فانهم المنتفعون به **والله يدعو الى دار السلام** دار السلامة من النقص والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة **ويهدي من يشاء** بالتوفيق **الى صراط مستقيم** هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده **للذين احسنوا الحسنى** المثوبة الحسنى **وزيادة** وما يزيد على المثوبة كقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء **ولا يرهق وجوههم** لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها** عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل والضعف او كأنما اغشيت وجوههم وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ محذوف خبره اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء وتقديره مقدر بمثلها **وترهقهم ذلة** وقرئ بالياء **ما لهم من الله من عاصم** ما من احد يعصمهم من سخط الله او من عنده كما يكون للمؤمنين **كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما** لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية

جزاء سيئة م

واولئك اصحاب النار صح

في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يعم العاصي
الكبير من اهل القبلة فلا يبقى ولهم فيه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم

عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه صح

وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها
الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان
الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل
الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا
عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في
ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه
وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو
اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل
وابدال ما منه والمعنى نختبر اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها
وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض

اي ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية ما اسلفت صح

وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم
على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد
وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان
من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع
والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع
كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون
الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا
تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فيه شيء من ذلك فذلكم الله ربكم
اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم
واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي

ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي كما حقت
الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله
وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابتداء
في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول
صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن
قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل
الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى عني الا ان يهديه

ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي صح

الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير
وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص
بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت
لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وعن نافع مثله

الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم صح

وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه
وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة
فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف
ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون
مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول
واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد
على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى
من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما
تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو
لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر

او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع
على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت
من الحقايق والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث
داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في
المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كاينا من رب
العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل
المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية
بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون
بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في
البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة
واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا
بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما
لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم
بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزا وساير ما يخالف
دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه
او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
او كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجوا تكذيبه قبل
ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة
اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها
او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من
يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به
ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما
يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم
فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزا عملي ولكم جزا عملكم حقا كان او باطلا
انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ

بعملكم

بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنه وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف
ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم
الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم
في تدبره وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد
تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير
ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل
نبوتك ولكن لا يصدقونك افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا
لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو
الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى
المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن
الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على
ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا
يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف
اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال
اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعا
رفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب
منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا
مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها
جهالات ادت بهم الى الردا والعذاب الدايم واما نرينك بعض
الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراكهم يوم بدر او نتوفينك قبل
ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب

تقدر على اسماعهم

رقوا

نريك فجوابه محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازٍ عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم وبين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به إن كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم إلا ما شاء الله أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم أو نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لأنه بمعنى أخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخير آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك أحق هو أحق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله

لقوله

لقوله ويستنبئونك وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فإنه فيه تعريض بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل إي وربي إنه لحق إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل الضمير للقرآن وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك أو التعدي على الغير ما في الأرض من خزائنها وأموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها أو لأنه يقال سر الشيء لخالصه من حيث إنها تخفى ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ألا إن لله ما في السموات والأرض تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب ألا إن وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون لقصور عقلهم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في الأخرى لأن القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة للحياة والموت قابلة لهما أبدا وإليه ترجعون بالموت أو النشور يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا وفائدة ذلك

مبين

لانهم

التكرير للتأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها
فليفرحوا وان الفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما فليفرحوا والرابطة
على ما قبلها والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله • واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي •
وعن يعقوب فلتفرحوا بالتا على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده
انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو
ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المومنون فهو خير
مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السما محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل
او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على
التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما
في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن
لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة
ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة تقرير لافترائهم
على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شي ظنهم يوم القيامة
ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ
بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل
على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال
الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا
تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير
في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراة تكون
لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من تبعيضية
او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له
او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا رقبا مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه
وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا

الكسائي

الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السما اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمراد منه البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه
مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع
على الابتدا والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع
الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثنا منقطعا والمراد بالكتاب المحفوظ

اللوح

الا ان اوليا الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون لفوات مامول والاية كمجمل فسر بقوله الذين
امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم
البشرى في الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما
يريهم من الرويا الصالحة وما يسنح لهم في المكاشفات وبشرى الملائكة عند
النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاوليا
او على الابتدا وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا
اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم
هذه الجملة والتي قبلها لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم
وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى
التعليل ويدل عليه انه قرئ بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة
لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزائمهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من
الملائكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح
احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل
على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا اي شركا على الحقيقة
وان كانوا يسمونها شركا ويجوز ان يكون شركا مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون
ظنهم انها شركا ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
معطوفة على من وقرئ تدعون بالتا والمعنى اي شي يتبع الذين تدعونهم شركا

من الملايكة والنبيين اي لانهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم
فيه كقوله اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيله فيكون الزاما
بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم ان
هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها
شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادات وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد
والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر
واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح
الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقا هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان
بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان
قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او لعندكم كانه قيل ان عندكم في
هذا من سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم
وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد
لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراوهم متاع في الدنيا
يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف
اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقا المويد ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق
مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت
به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركايكم ويويده
القراة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يوكد للفصل
وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركايكم وقيل انه منصوب
بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاكم وقد قري به وعن نافع فاجمعوا من
الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه اي على

وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة
مستورا واجعلوه مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني
وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون
بي وقرئ ثم افضوا الي بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج
الى الفضا ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم
من اجر يوجب لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري
ما ثوابي على الدعوة وتذكيري الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره
فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا
لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلايف من الهالكين به واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جري عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم بالبينات
المعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان
يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع
المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب
العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هولاء الرسل موسى وهارون
الى فرعون وملايه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا
قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترووا على
ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيلة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فايق في فنه
واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف
المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا
القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه
من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول

ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم
ان جعل السحر هذا الحكاية كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا
يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض
الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم
وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم وقرا حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو السحر بدل منه
او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو السحر او مبتدا خبره محذوف اي السحر
هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شي اتيتم ان
الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته
ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله
الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك فما امن لموسى اي في مبدا امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد
قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم
اسوابه او هو من ال فرعون وامراته اسية وخازنه وزوجته وما
شطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون
وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظما او على ان المراد بفرعون اله كما يقال
ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل
منه او مفعول الخوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف كان من الملا
بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر
والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبيا وقال موسى لما راى
تخوف المومنين به يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا
عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضا الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام
حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا
على الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا

ولان العالم صح

ما ان ما استفهامية مرفوعة بالابتدا وجئتم به خبرها والسحر ...

وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم صح

فتنة

فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين من كيدهم ومن شوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعا تنبيه على ان الداعي ينبغي له ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون بها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم
تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة
وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلاة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين بالنصرة
في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه روس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة
مما ينبغي ان يفعله كل واحد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب
الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة ما يتزين
به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحياة الدنيا وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي
متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للتعليل لان ايتا النعم على الكفر استدراج
وتثبيت على الضلال ولانهم جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس
المحو وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها
حتى لا تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعا
او دعا بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعا معترض قال قد
اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون لانه كان يومن فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كاين ولكن في وقته روي
انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن
ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقا الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر
حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا من فعل بمعنى فاعل كضعف وضاعف فاتبعهم

بعد

الدعوة

ولذلك

الا ترى

فادركهم يقال تبعه حتى اتبعه فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ عدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه
اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسراييل وانا من المسلمين وقرا حمزة
والكساي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لامنت
فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الان اتومن الان وقد
ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنوا اسراييل وقرا يعقوب ننجيك من انجاك وقرئ بالحاء اي نلقيك
بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح
او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من الذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزا البدن كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراك علامة
وهم بنوا اسراييل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك
حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا
على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مال امرك
ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على
ما كان عليه من عظم الشان وكبريا الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اية كساير الايات فان افراده اياك
بالالقا الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة
في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا
محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها ولقد بوانا بني اسراييل مبوا صدق منزلا صالحا وهو
الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا في امر دينهم حتى جاءهم الا من بعد ما قروا التوراة وعلموا
احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا بعد ما علموا صدقه بنعوته
ونظام معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون فيميز بالانجا والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقرؤن الكتاب

مرضيا

المحق عن المبطل صح

من

من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق
ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا
اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها
السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته
شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق
من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين
بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات
الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة
ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يومنون اذ لا يكذب كلامه
ولا ينتقض قضاوه ولو جاءتهم كل اية لان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق
ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى امنت قبل معاينة
العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها
ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان
تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثنا متصلا
لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويويده قراة الرفع على البدل ومتعناهم الى
حين الى اجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل
فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنى
الموعد غامت السما غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي بلدهم فهابوا
فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن
بعضها الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واخلصوا التوبة واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم
الجمعة ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان

التي اهلكناها صح

امارة صح

لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشا ايمانهم اجمعين
فان من شا ايمانه يومن لا محالة والتقييد بمشية الالجا خلاف الظاهر
افانت تكره الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا مومنين وترتيب
الاكراه على المشية بالفا وايلاوها حرف الاستفهام للانكار وتقديم
الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله
بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا
على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان
لنفس ان تومن الا باذن الله الا بارادته والطاعة له وتوفيقه فلا
تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان
فانه سببه وقرئ بالزاي وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون
لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايله واحكامه
لما على قلوبهم من الطبع ويويد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في
السموات والارض من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته
وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يومنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية
في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على
محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا
ومن امن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المومنين كذلك الانجا
او انجا كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب
لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا
فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو
اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم
ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المومنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من

المطرد

وان اقم

المطرد مع ان ويجوز ان يكون من المطرد وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية
بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر
ليدل عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سوا الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض والانتها عن القبايح
او في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من
المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته
او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزا للشرط وجواب
لسوال مقدر عن تبعة الدعا وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا
كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي
ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه
على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل
موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه
ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشا من عباده وهو
الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية
قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم رسوله او القران ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن
ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
من ربك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله
بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على
السراير اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق
مع فرعون

سورة هود مكية

وهي مائة وثلاث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا او خبر او كتاب خبر مبتدا محذوف احكمت
اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد
والنسخ فان المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل
او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او به

سورة هود عليه السلام مكية

يجعلها سورا او بالانزال نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه ثم وقرئ ثم فصلت
اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البنا للمتكلم وثم
للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة للكتاب
اخرى او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا
الله لئلا تعبدوا او بان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا للاغرا على التوحيد على الامر بالتبري عن عبادة الغير
كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله
نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم
عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان
المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا
الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا
حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم
بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها
مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي
فضل في دينه جزا فضله في الدنيا او في الاخرة وهو وعد للموحد التايب بخير
الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تُولوا
الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير
فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وهو تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم
يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون
ظهورهم وقرئ يثنوني بالتا واليا من اثنوني وهو بنا المبالغة وتثنون
واصله تثنونن وهو الكلا الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم
للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمز وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا
يطلع رسوله والمومنون عليه قيل انها نزلت في طايفة من المشركين قالوا اذا ارخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم
كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم

فكيف

كيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات
الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاوها
ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات
او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب
مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات
كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق
من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما
وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات
دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه
على الما قبل خلقهما لم يكن حايل بينهما الا انه كان موضوعا على متن
الما واستدل به على امكان الخلا وان الما اول حادث بعد العرش من اجرام هذا
العالم وقيل كان الما على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن
عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج
اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز
تعليق فعل البلوى لما فيه من العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والا
ستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار
الحسن والقبح والتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دايما في مراتب
العلم والعمل وان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى
ايكم اكمل علما وعملا ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره
الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة
الى القايل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى على اي ولين
قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من
قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولين اخرنا عنهم العذاب الموعود
الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزا ما يحبسه

ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم
خبرها عليها وحاق بهم وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
لأن استعجالهم كان استهزاء ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ولئن أعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه إنه ليئوس
قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغة في كفران
ما سلف له من النعمة ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم
وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات
عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطرا بالنعم مغترا بها فخور على الناس
مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الإذاقة والمس تنبيه على أن
ما يجده الناس في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة وأنه
يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ
الوصول إلا الذين صبروا إيمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر
كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان
محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ ما يوحى إليك وهو
ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما
يدعو إليه وقوعه لوجود الصارف عنه وهو عصمة الرسل عن
الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ما نحا وضائق به صدرك وعارض لك أحيانا
ضيق صدر بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا
إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا
فما لك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم
وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى
قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم
لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة
مفتريات مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم

على الضراء

المشركين

عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص
والأخبار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم
بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين كانوا
أيضا يتحدونهم وكان أمر الرسول متناولا لهم من حيث إنه يجب اتباعه عليهم في
كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذا رتب عليه قوله فاعلموا أنما أنزل بعلم
الله ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا
أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز
آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بالإعجاز عليه وفيه تهديد
وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام
راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل
خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم
إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه
نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق
فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها
نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة
الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله ونوف على البناء للمفعول ونوف
بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله

وإن أتاه كريم يوم مسغبة • يقول لا غائب مالي ولا حرم

وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من أجورهم والآية في أهل الرياء
وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار بمقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة
وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لأنهم لم يبق لهم
ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها
هو الإخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين

علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر
كقوله * ولا خارجا من في زور كلام * وبطل على الفعل أفمن كان على بينة من
ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار
ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن
كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي
وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله
ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق
او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول
على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او
للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب
بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة
دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن
التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة
الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن
ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم
في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين
او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم
بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد
كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا
معجزين الله ان يعاقبهم في الدنيا وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم

من

من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف
لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما
نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين
خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم
الا الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين
واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطما نوا
اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير
والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم
لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع
والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باعتبار وصفيه او تشبيه
الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف
الصفة على الصفة كقوله * فالصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف
والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا
افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله
بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب
لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك
بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع
رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه

باثنين صح

بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك
في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغا
ئبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة
بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت
عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي
الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة
وحذفها للاختصار او لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الا
هتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع
ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل
والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم
مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد
الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني
اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون
عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه
ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس
طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن
الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي
خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبون استبعادا او حتى اعلم ان
هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز
عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا
ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا
الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدرا
افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاوه دالا لتجانس الزاي في الجهر

واسناده

واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الروية من غير روية
بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت
بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى
والوعيد فان مناظرتك لا توثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شا
عاجلا او اجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا
ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل
جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد
ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال
الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان
ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم
ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم هو خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما
تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله تعالى
من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذا واصنع الفلك
باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة الة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى
عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم
ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق
فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية عن حال ماضية وكلما مر عليه
ملا من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في
برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت
نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجها[ل]
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب
الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه

عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع
الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام
وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدا
منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في
الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف
موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع
بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى
احمل اثنين من كل زوجين من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف
على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه
القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
ومن امن والمومنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاث سام وحام ويافث ونساؤهم
واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم وروي انه صلى الله عليه وسلم
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها
خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها من الدواب
والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي
صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها
ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قا
يلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق
النجم وانتصابهما بما قدرناه ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بها الله
او جملة من مبتدا او خبر اي اجراؤها بسم الله خبرا وصلة والخبر محذوف
وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او
الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم
اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها
بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة
ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم
اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل

اي بهم
محذوف دل عليه اركبوا اي اركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج
من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها
وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في
جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا على شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا
وان صح فلعله ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه
بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده
لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة
الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف
وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه
اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء
الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع
الاول لما اتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتحها هنا اتفاقا
على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في ساير
المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن
مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء اي
ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او الامكان من رحمهم الله وهم المومنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من
جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المومنين وهو السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة الا كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من
رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان
من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال
امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء
المومنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك
اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا
وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعا

٢٥٤

السورة والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البنا للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق عليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المومن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنسا تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل غير اي عمل عملا غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس بصواب كذلك وانما سمي نداه سوالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثنا من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السوال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسالنني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسالك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السوال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط انزل من السفينة بسلام منا من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المومنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم

منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتدا وخبرها من انبا الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانبا او هو الخبر ومن انبا متعلق به او حال من الها ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الها في نوحيها او الكاف في اليك اي وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف برجل منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركا وجعلها شفعا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السما عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمومنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول نقول والا لغو لان الاستثنا مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون

جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم صح

قومه صح

فلا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقا بان اشهد الله تعالى على براءته
من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا
عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا
اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقويا الاشدا ان
يضروه لم يبق لهم شبهة لان الهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن
من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم
الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس
الا لثقته بالله وتثبيطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه
بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غايته وسعكم لن تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم
لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما
يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على
الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم
بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على
الجواب بالفا ويؤيده القراة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذرني
ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون
منه ان ربي على كل شي حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ
مستول عليه فلا يمكن ان يضره شي ولما جا امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم
من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف
الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاهم والمراد به تنجيتهم من عذاب
الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا
رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة
كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراهم الطاغين وعنيد من عند
عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا

فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم

من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
اي جعلت اللعنة تابعة في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم
جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك
والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم
وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم
هود عطف بيان لعاد وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايما
الى ان استحقاقهم العذاب للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم
صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض
هو كونكم منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من
التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها
وامركم بها وقيل هو من العمرى اي اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد
انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب الرحمة مجيب لداعيه
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين
فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاونا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد
اباونا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على
الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من
ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة
فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني
بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي
غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال
وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل
في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب
عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها
فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الا
ربعا والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب

فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا غير مكذوب

فيه على المجاز وكان الواعد قال له اوفي لك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد
غير كذب على انه مصدر كالمجلود فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو
هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح
على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب
يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شي والغالب عليه واخذ
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في
سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرا حفص
ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين ونونه [illegible]
بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ونونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي
في جميع القران وابن كثير ونافع وابو عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمو
د ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة
قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى
ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما
ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي او
وعليكم سلام رفعه اجابه باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي سلم وكذلك
في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان
جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما تاخر عنه والجار
محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت
الفرس اذا عرقت بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه
لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريد
به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار
قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا
ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل
وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها
كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ... ولم يعد حقا ثديها ان تحلما

ومنه

وقرئ بفتح الحاء

ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب
نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره
ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق
او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما
عطف به بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اي
يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد
الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل
من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة
كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة
على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع
وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين
وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب
يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين
عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشات وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت
نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان
فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم
ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا
على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل
جوابه المحذوف مثل اجترا على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به
قائم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام
من المسيء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع

الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط
ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا
الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق
بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد
من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون
لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية
والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم
وعدم كفائتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة
في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته
من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب
من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على انه حال وهن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو الافضل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك
الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا
تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه
اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي
الى ركن شديد الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ
او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ

يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرار
نهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت
لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل
حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى
للوط الا امراتك استثناء من قوله باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات
بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير
وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فانه
خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها فان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى
جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه
الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة
الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب
جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او
امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة
المامورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء
حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا
عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة
من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي
مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه
نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا

كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض في الصوبه مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند
ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانه بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم
وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي
امتك منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد
اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل
بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان
تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها
بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة
وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم
الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى
دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا
قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره
من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات
والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض
مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد
التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالا
يمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصا

لحات

ما من ظالم

الطاعة

الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا
عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما
انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم
تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلاة فلذلك جمعوا
وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلواتك
تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء
في اموالنا وقرئ فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن
التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنا
نير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم
والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك قال يا قوم ارأيتم ان كنت على
بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا
حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف
تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه
لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو
كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا
قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف وهذه الاجوبة الثلاثة
على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما
ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها
حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية
واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته

منه

ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه

ان اصلاح ما استطعت لحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب
الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز
في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما
ياتي ويذر من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال بشراشره وحسم اطماع الكفار
واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداواتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول
من المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ
مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ... حمامة في غصون ذات اوقال

وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما
اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها
على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه
ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا
عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم
لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع
منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة الاستنباء قياسا على القضاء والفرق بين ولولا
رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب
وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج
يقابل الحجج بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه
لا في ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز

عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون على الله وتتقون على رهطي وهو يحتمل
الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله
في سورة الانعام والفا في فسوف تعلمون ثم للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما انتم
عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد
ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك
ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول
اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم
وارتقبوا فانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى المراقب
كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا
والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر
وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك
وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت
الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير
ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم
على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد
مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة
او المعجزات وسلطان مبين وهي المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها
ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له
على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين
يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر
بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة
واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده

عن من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون
برشيد مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم
القيامة إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم
فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة
الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي
وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية
كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره
رشد أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وأتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد
المرفود بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره
ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك
ذلك النبأ من أنباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من
تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عاف الأثر كالزرع المحصود
والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم
بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما أغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من
شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك
أو تخسير وكذلك ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل فيكون
محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى أي أهلها وقرئ إذ لأن المعنى
على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه
أجريت عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه
أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه أليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه
وهو مبالغة في التهديد والتحذير إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما
قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظة
لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته
لعلمه بأنه من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فإن من أنكر الآخرة وأحال
فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية
اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها ذلك إشارة إلى يوم القيامة
وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة

ثبات

على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك
يوم مشهود أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء
الظرف مجرى المفعول به كقوله * في محفل من نواصي الناس مشهود * أي كثير
شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم
وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك وما نؤخره أي اليوم إلا لأجل معدود إلا
لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل
كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأت أي الجزاء أو اليوم كقوله أن
تأتيهم الساعة على أن يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن
يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها
بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف إلا بإذنه أي إلا
بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهو في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر والمأذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى
الوعيد والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم
نفس أو للناس فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين
فيها ما دامت السموات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما
فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما
إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت أن المفهوم
لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله
تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وأن أهل الآخرة لا بد لهم
من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجري له

التشبيه الا ما شاء ربك استثنا من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق
الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثنا لان زوال الحكم عن
الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثنا الثاني فانهم مفارقون
عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتدا
كما ينتقض باعتبار الانتها وهولا وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من
شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم
لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وهاهنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الا
مرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من
العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال
بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقايه او من اصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي
اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثنا من الخلود على ما عرفت وقيل هو
من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف
الا الالفان القديمان والمعنى الا ما شا ربك من الزيادة التي لا اخر لها على
مدة بقا السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك عطا
غير مجذوذ غير منقطع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد
من الاستثنا في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد
وقرا حمزة والكساي وحفص سُعِدوا على البنا للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطا نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطا او الحال من الجنة فلا تك في
مرية شك بعد ما انزل اليك من مال امر الناس مما يعبد هولا من
عبادة هولا المشركين من انها ضلال مود الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك عاقبة سو عبادتهم او من حال ما يعبدونه في ان لا يضر ولا ينفع
ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية
اي هم واباوهم سوا في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون
شيا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباهم من ذلك فسيلحقهم

مثله

مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان
يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كا
بايهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص
حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفا
بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر
به قوم كما اختلف هولا في القران ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به
عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة
وان كلا وان كل المختلفين المومنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف
اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطية للقسم والثانية للتاكيد او
بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت
اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزا اعمالهم وقري لما بالتنوين اي جميعا
كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قري به انه بما يعملون
خبير فلا يفوت شي منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد
والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر
بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث
يبقى العقل مصونا عن الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل
والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها
وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب
معك اي تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم
وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم
انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي
الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس
واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ
ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المومنين

ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم صح

بالتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي
افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر
التا على لغة تميم وتركنوا على البنا للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله
من اوليا من انصار يمنعون العذاب عنكم ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم
الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياكم
وقد اوعدكم بالعذاب عليه واوجبه لكم ويجوز ان يكون منزلا منزلة
الفا لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم
انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا اقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية
وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة
الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشا
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان
الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة
ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة
الى قوله فاستقم كما امرت وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة
للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن الضمير
ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه
لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية
من الراي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه
ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية
اي ذوي ابقا على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي
المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا
ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا
اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا
فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين
كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو
الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف

علي

والواو للحال ح

زلفة

جمع ح

على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع اي واتبعوا جزا ما اترفوا
فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجا وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى
شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم
الفقها عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر
غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا
يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان
مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول
دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده
او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين
لا من احدهما وكلا وكل نبا نقص عليك من انبا الرسل نخبرك به ما نثبت به
فوادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص
وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على ادا الرسالة واحتمال اذى
الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك ما نثبت به فوادك من انبا الرسل وجاءك في هذه الحق السورة او الانبا
المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده
العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا
وانتظروا انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات
والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة
امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع على البنا للمفعول فاعبده وتوكل
عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي ما يستحقه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان
يوم القيمة من السعدا انشا الله تعالى سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك
اشارة الى ايات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة الظاهر

الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع

مع الشرك ح

بينا الدوا ير ح

سورة يوسف عليه السلام

الامر بها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماهم قالوا لكبرا المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطية للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او منفردا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحا نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحاينا اليك هذا القران يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن اليا تا التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها ها في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقري بالضم اجرا لها مجرى الاسما المونثة بالتا من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرويا لا من الروية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل روياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق

والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماوها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلا لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرويا كالروية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرويا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا فلا يالوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك بمثل هذه الرويا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتبا من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرويا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبيا وكلام الحكما وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجا من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في

منه افق م

قصصهم آيات قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن سأل
عن قصتهم والمراد باخوته وهم علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينه من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما
توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من
سريتين وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين بالاضافة لاختصاصه بالا
خوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما
فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضا
ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما
والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي
ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب
اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له
المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف
من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا
تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه
ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصب كالظرو
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل
عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف او الفراغ
من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم
فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان
احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في
غيابات الجب على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين
ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له
لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا استنزاله عن رأيه في

منهم

منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن
الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحرا
يرتع يتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق
والانتضال وقرأ ابن كثير بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر
والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف
وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الا
بتدا وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة
مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة
وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل
ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا والباقون بترك الهمزه
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام
موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في
غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبير بير بيت المقدس او بير
بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحرا اخذوا
يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما
عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه
ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي
اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما
بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها
يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان
مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان
ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من
حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في
تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا
لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال
لهم بمصر حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول

بأوحينا أنا صح

إليه أمره إيناسا او تطييبا للقلب وقيل وهم لا يشعرون متصل بالوحي وهم
لا يشعرون ذلك وجاءوا أباهم عشاء آخر النهار وقرئ عُشيا وهو تصغير
عشي وعُشى بالضم والقصر جمع أعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه
لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني أين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا
نستبق نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن
لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على
قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال
غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث
فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف
اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر
يوسف صاح وسأل قميصه فأخذه والقاه على وجهه فبكى حتى خضب وجهه بالدم
وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك
قال بل سولت لكم انفسكم أمرا اي سهلت لكم وهونت في أعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء
جميل اي فأمري صبر جميل اي فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى
فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف
وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين
الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فأرسلوا واردهم
الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فأدلى دلوه فأرسلها في الجب
ليملأها فتدلى يوسف بها فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة
لنفسه او لقومه كأنه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري
بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف وأسروه اي الوارد واصحابه
من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم
بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه
يوما فلم يجده فيها فأخبر اخوته فأتوا الرفقة فقالوا هذا غلامنا ابق منا
فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا
للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه
وفي

وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه
دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما
دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه في يوسف من
الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة
وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف
من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق منهم
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان
فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل
عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامرأته راعيل او زليخا أكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى
احسني تعهده عسى أن ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او
نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في
منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى
ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها ويعبر
المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل
كفعله لسنيه والله غالب على أمره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف
اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى
اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما

واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين صح

يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك
جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت
هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين
واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع
وعامر بالفتح وكسر الها كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت من هاء يهيء اذا تهيا وعلى
هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي الشان ربي احسن
مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فجزاؤه ان اخونه في
اهله وقيل الضمير لله اي خالقي احسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح
الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله
ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بالشيء امضاه والمراد بهمه ميل
الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح
الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها
جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف
يدل عليه وقيل راى جبريل تمثل له في صورة يعقوب عاضا على انامله وقيل
قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة
السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا
دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل
معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا
والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما
جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت
منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغرائه به انتقاما منه

الزنى

وما نافية

وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي
طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب
عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها صبيا في المهد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته
فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل
الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان
على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك
من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من
قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح لانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء
من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب
لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تاثيرا في النفس او لانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة
يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا
تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه
بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف
لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز
والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة
غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها وحبا نصب
على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما
سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره
او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت

للجهتين

رقة

اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكين عليه من الوسايد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكين والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب ترفها ولذلك نهي عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكانا ۞ وشربنا الحلال من قلله ۞ وقيل المتكا طعام يحز حزا كان القاطع يتكي عليه بالسكين وقري متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشي اذا بتكه ومتكا من تكا يتكا اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يري تلالا وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والها ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۞ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ۞

وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرية في باب الاستثنا فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقري حاشا الله بغير لام بمعني براة الله وحاشا لله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس بمشاركتهما في نفي الحال وقري بشر بالرفع على لغة تميم وبشري لعبد مشتري لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرايق والعصمة البالغة من خواص الملايكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه موضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمره به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلا وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا

في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني اي فهذا هو الذي لمتنني فيه

والصغير

والصغير بالضم من صغر بالضم صغرا وقري ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنفسعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرا يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي اثر عندي من مواتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والميل الصبوة الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقري اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفها بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سوا فاستجاب له ربه فاجابه الله دعاه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعا الملتجين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براة يوسف كشهادة الصبي وشق القميص وقطع النسا ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين وقري بعضهم بالتا على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينيذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبينا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرويا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رويا هم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه

اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه
منه كما هو طريقة الانبيا والنازلين منازلهم من العلما في الهداية والارشاد فقدم
ما يكون معجزة لهم من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير
ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس
من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت
ملة ابايي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار
انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك
جوز للخامل ، ، ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير
للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الا
نبيا ان نشرك بالله من شي اى شى كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا
بالوحي وعلى الناس وعلى ساير الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه
ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا
يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الايات ولكن
اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها
يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله
يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام
خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يقاومه ولا
يعادله غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر
الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشيا
باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها فكانكم
لا تعبدون الا الاسما المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه
الالهية عقل ولا نقل الهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها
ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيايه ان لا تعبدوا الا اياه
الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن
القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد
على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما تسمونها الهة وتعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين

منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره
ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه ويعود الى
ما كان عليه واما الاخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي
الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي
ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي
فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك
كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فا
ضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف
ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد في كشف الشدايد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب
الانبيا فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاثة الى التسع من
البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع
عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع
بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه
لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها
الملا افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرويا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرويا وهي
الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها وهي المجاوزة
وعبرت الرويا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل
فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن يعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرويا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلا
ط النبات كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه لاشيا مختلفة وما نحن بتاويل الا
حلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا

صاحبي

قبله صح

فقالا كذبنا فقال صح

ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها صح

من العبور صح

وحزم فاستعير للرويا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان صح

وانما التاويل للمنامات الصادقة فكانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر
يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة
وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها
اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي
الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه
يوسف وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه
جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي
في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون اعود الى الملك ومن عنده او
الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك
او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم
دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دابا اي على عادتكم المستمرة
وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر رباعيا وفعله اي تدابون دابا
وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل
وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العادة
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز
تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذر الزراعة
ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من
القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار
وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ
على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع
الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع
العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم

ذلك

ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على
عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن انما تانى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءته ويعلم
انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل
على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواضعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت
مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة
ولم يقل فسله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي
بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى
انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن
والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير
اذا القى مباركه ليناخ وقال

فحصحص في صم الصفا ثفناته ۞ وناء بسلمى نوءة ثم صمما

او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه
بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو
غائب عني او ظرف لمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على
الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء اي لا انزهها تنبيها على
انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت
رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع ولكن

رحمة ربي هي الى تصرف الاساة وقيل الاية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس
يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان
ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشا بالعصمة او يغفر للمستغفر
لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك
ايتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد
منه الرشد والدها قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين موتمن على
كل شي روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك
قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان فقال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه
بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع روياي منك فحكاها ونعت له البقرات و
والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذرا فولدت له
افراثيم وميشا قال اجعلني على خزاين الارض ولني امرها والارض ارض مصر
اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيه فلعله عليه السلام لما راى
انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما يعم فوايده وتجل عوايده وفيه دليل على جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة
الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك
مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوا منها حيث يشا ينزل من بلادها حيث
يهوي وقرا ابن كثير نشا بالنون نصيب برحمتنا من نشا في الدنيا والاخرة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا
يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجا اخوة يوسف روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون
المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم
والدنانير حتى لم يبق معهم شي منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
ثم بالعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي
رايك فاعتقهم ورد اليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد
فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم
له منكرون اي لم يعرفوه يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في
سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من

حاله

من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم
اصلحهم بعدتهم واوقر ركايبهم بما جاوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد
السفر وما يحمل من بلد الى بلد اخر وما تزف به المراة الى زوجها وقري بجهازهم
بالكسر قال ايتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا قال من انتم وما امركم لعلكم
عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا
عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم
قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة واتوني باخيكم
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر
حملا فسالوه حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم
الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم
وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا
تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزا قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد
في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى
وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت
نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام
منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك
تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه
بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل
ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ او يكتل لنفسه فينضم
اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة
حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقري خير حافظ
الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقري ردت بنقل
كسرة الدال المدغمة الى الرا نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
ردت الينا ما نطلب من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا
ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما

مكروه م

وانا له لحافظون م

لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم

حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الدليل على صدقنا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا
وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما
استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي
فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل استقلوا ما كيل
لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او نزداد اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه
وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال
لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني
ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ
المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك
او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي
اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب
الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول وكيل من طلب الموثق
واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة
عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك
في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين
وللنفس اثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات
الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت
به عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء
ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء
لافادة التسبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب
واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين
بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس

يعقوب

ونبغي بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغي

يعقوب قضاها استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته
من ان يعانوا قضاها اظهرها واوصى بها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله مع الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم
فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي
فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات عنده وقال اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال
من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة
في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما
تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله بامر يوسف او كانت تعمية السقاية والنداء عليها برضا من
بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير
القافلة وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله
عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به
ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون اي شيء ضاع عليكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع
الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء
به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل
على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم
ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم
وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق
او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله
واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام

من ثم لم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه

فهم

قوله

له

على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه صح

له او خبر من والفا لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي
خبر جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم
فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا
للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان
علمناه اياه او اوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لانه دينه
الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء
الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا
درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى
عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي
له العلم البالغ لغة وانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو
مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما
شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كانت في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم
يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة
التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه
انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها
باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله
اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا
شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله
فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فأتمم
احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه
انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع

في رحله

في رحله لمصلحته ورضاه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا
من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا
نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية
كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل
يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل
حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان
وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا
كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق
ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي بالخروج منها او بخلاص
اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور
جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو
يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غيظه فقال روبيل من هذا
ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا
بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم
ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف
واسأل القرية التي كنا فيها واهل العير التي اقبلنا فيها واصحاب العير
التي توجهنا فيها وكنا معهم وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت
اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق
يؤخذ بسرقته فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله
ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه
هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة

يعني مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة صح

ق

لما صادف منهم وقال يا اسفا علي يوسف اي يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف علي يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا اخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا تري الي يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفي وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكايه من الحزن كانت العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل علي جواز التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكا رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا اليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ علي اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعني مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده علي ملئه او بمعني فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها الي جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتا ولا تزال تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان علي النفي حتي تكون حرضا مريضا مشفيا علي الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعني النشر الي الله لا الي احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راي ملك الموت في المنام فساله عنه فقال هو حي وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت حتي يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تياسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس

من روح

من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شي من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الي مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجينا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضرا وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة علي ما يساويها واختلف في انها حرمة الصدقة تعم الانبيا او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزا والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي به ثواب الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتي كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا علي التوبة وشفقة عليهم لما راي من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن علي فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينيذ صبيانا طياشين قالوا اينك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقراه ابن كثير علي الايجاب قيل عرفوه بروايه وشمايله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضا وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر علي البليات او علي الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه علي ان المحسن من جمع بين التقوي والصبر قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطيين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ما الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعني لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بساير الايام او بقوله

يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين فانه
يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على التايب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرطنا
فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل
المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا
اي يصر وأتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسايكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت
العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح ما عبق من قميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا
لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك
لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي
ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقايه
فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه افرحه
بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب
نفسه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة
يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح
الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن
حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لاوقات الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان
عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قايما يدعوا
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال
ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان
صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستماية الف وخمسماية وبضعة وسبعين رجلا سوى

الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام
تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابايك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان
يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن
والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود كان عندهم يجري مجراها
وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته
والرفع موخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم
من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة (به)
اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من
صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح
والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شي في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان
يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزاينه فلما ادخله خزانة القرطاس قال
يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبريل قال اوما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض
الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرويا ومن ايضا
للتبعيض لانه لم يوت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه
على انه صفة المنادي او منادي براسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا
والاخرة يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابايي
او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة
ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه (لحين)
فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد
فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل
الى مصر ليكونوا شركا فيه ثم نقله موسى الى مدفن ابايه وكان عمره ماية وعشرين

سنه وولد له من راعيل افراثيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة
ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول صلى
الله عليه وسلم وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب
لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه
في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيهم ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى
على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق
استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا
وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر
جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من
آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع
وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات
ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض
بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون
الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله الا في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون
بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة
او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل
في اهل الكتاب افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم
وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد
للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة
بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه
او مبتدا خبره ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه
تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل
ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك
عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء
نبيا من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا
تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار
الحال او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء
حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل
غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا
حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم
بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي
وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبتهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل
اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر
وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة
هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير
الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي
والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني
للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان
المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين
يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني
الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة
ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه
هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد

مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون

في الدنيا

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب
يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
والقرآن والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب
عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتدا وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على
وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة
الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني
يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته على هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات
ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما
كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري
لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته
من الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها
ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته على خلق هذه الاشيا وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزا وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت
عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت
من رسا الشي اذا ثبت جمع راسية والتا للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة
وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والا
بيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما
بعد ما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل

على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات
بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة يصلح بعضها للزرع
دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون
وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها
ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع
الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم
وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على
الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص
قادر مختار وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب بالياء يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر
وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشا ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شي عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا
فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد
لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول
له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اي انبعث او نحشر
اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واو
لئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية
وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزا وقد خلت من
قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثا وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة
لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه
اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفا

العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح التاء على انها جمع مثلة كركبة
وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب
على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان
التايب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغاير المكفرة لمجتنب الكباير
او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن
شاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت
منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم
وهو الله تعالى لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الايات سواء وذلك
بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضايه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر
على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد
وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضايه عليهم بالكفر فقال
الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة
والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة
والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان
عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى
عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال
الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امراته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى
الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت
وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرا ابن كثير
هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف
بالياء في هذه الاربعة احرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين
ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغايب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير

العظيم

العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او
الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه
ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء مختفيا بالليل
وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قال سواء
منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها
مقررة لكمال علمه وشموله لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة
تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ
معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من
امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من
المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في
اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم
فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق
خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف
وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره
ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو
جمع ثقيلة وانما وصف السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد
وحده على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول
رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق السحاب

والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما
يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم
والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال
فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه
بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة
فقتلته ورمى عامر بغدة فمات في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال

وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية

المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه
تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل
بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ
بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل
واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو
الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية
في اربد وعامر ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله اجابة لدعوة رسوله
على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان
ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون
فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه
عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة
من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه
جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك
الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه
فيبسط كفيه ليشربه وقرئ يدعون بالياء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمومنون من

الثقلين

الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده منهم شاءوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة
بالمفعول له بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من
الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع
غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو
مصدر ويؤيده انه قد قرئ به والايصال وهو الدخول في الاصيل قل
من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك
اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل
افاتخذتم من دونه اولياء الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا ولا يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان
على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي
الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم
بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل
تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه
صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى
انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء
خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره

الخلق فضلا عما يقدر عليه

فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه
عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب
على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او السماء نفسها فان المبادي
منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع
فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع
بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر و
الكبر فاحتمل السيل زبدا رابيا عاليا ومما يوقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية

طلب حلية او متاع كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيانها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتدا
او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره
للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في
افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السما فتسيل به الاودية على قدر الحاجة و
المصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والابار وبالفلز الذي ينتفع
به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل
في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب
جفاء يجفاء اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ
جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض
ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا
للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم
الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما
وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا لبيان
مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شي افمن يعلم انما انزل

وماواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف صح

اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد
الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم
في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو
تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة
المؤمنين والايمان بجميع الانبيا ويندرج في ذلك مراعاة حقوق الناس ويخشون
ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم من قبل
ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم
طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية

لمن

لمن عرف به ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان
او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما
ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتدا
وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات
جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة
اي جنات عدن يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول

ازواجهم — بالضمير صح

معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم
وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة
زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او ابواب الفتوح والتحف

من ابواب صح

قائلين سلام عليكم بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم

بشارة بدوام السلامة صح

لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح
النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون
عهد الله يعني مقابل الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاقرار
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم
وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما
الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستو
جبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول

جنبه صح

الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن
العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم
ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل
آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا
بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا

عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على
وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره
طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب
كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم
يكفرون بالرحمن البليغ الرحمة التي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته
فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القران
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن
خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت
في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال
شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران او المبالغة في عناد الكفرة
وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض
تصدعت من خشية الله عند قراءته لكان هذا القران لانه الغاية في الاعجاز
والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا الريح
لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم
وهو وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب
عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات
الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك
قوله افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
قرؤوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه

[هامش: اوشققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته]

مسبب

مسبب عن العلم لان الميؤس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة با
هتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين امنوا
عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة تقرعهم وتقلقلهم
او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار
مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان
يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم
تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك
ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من
اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك
وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحد
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق
للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى
صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة
ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول
من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي
وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل
والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه

[هامش: داهية صم]

[هامش: على الخبر المقدر للمبتدأ اي افمن هو بهذه الصفة]

ومالهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون
صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قوله
صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة
اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى
الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين
آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن
سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن
واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن
الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرائعهم او يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا
اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده
وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم
فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ
ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه
مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه
وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه
حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب
ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي
يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد
ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك بشرا امثالك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية تقترح
عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل

وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك
غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك
قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا
تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم
يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين منها
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم
للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل
لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد
مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما
تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من الحزبين
حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر
الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة
الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس
وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبر
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها
ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم
التوراة وهو ابن سلام واصحابه واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله
تعالى اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ
الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده

بالكسر وعلم الكتاب لا على الاول يرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده بالجر والبنا للمفعول من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدا والله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة يختارونها فان المختار للشي يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه على انه مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه الى غيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم بانذار عشيرته اولا ولو انزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها المتشعبة والعلوم منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش وريش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب شي على مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجايه اياكم ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرايل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة

ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرا غير صلة للنعمة وذلك ان اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان

لهم

تكون

بالوعد ويعرض

اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد والجملة مقول القول محذوف او مفعول
تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته
محمود تحمده الملايكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم
حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف
على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذا
قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبيا
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم
انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبيا يمنعونهم
من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا
ايادي الانبيا التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرايع في افواههم لانهم
اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمين
الى شي قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام
في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة
الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا
ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول
له من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم

مقام المفعول به

وقيل جي بمن في خطاب الكفرة دون المومنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المومنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن
المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويوخركم الى اجل مسمى الى وقت
سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون

ون

بالنبوة دوننا ولو شا الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريد
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوة فاتونا بسلطان مبين يدل
على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا
ما جاوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت
لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشا من عباده سلموا
مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم
وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجايزات على بعض بمشية
تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات
ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشية
الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المومنون فلنتوكل
عليه في الصبر على معاندتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به

ومعاداتكم

انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في
ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده
وقرا ابو عمرو بالتخفيف هاهنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار
عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه
من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى
ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم لنهلكن

اى الى رسلهم

الظالمين على اضمار القول او اجرا الايحا مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان
المومنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم
القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او
القضا بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبيا وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم كلهم

سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب
كل جبار عنيد اي فنتح لهم فافلح المومنون وخاب كل عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين
كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها
في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك
ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف
تجرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب
ان يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة
وقبول ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات
وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت
عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو
هو المطر في سنتهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم
يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل
النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم
التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستانفة
لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح
حملته واسرعت الذهاب به وقرا نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب
ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله
والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة
لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا على شيء من اعمالهم لحبوطه فلا يرون
له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر
خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق

فكيف يسيغه م

ان يسقيهم م

عليه

عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم
بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك
كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يومن به ويعبد رجاء
لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم
يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش
ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما
ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء جمع ضعيف يريد به
ضعاف الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع
كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم
مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو
عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والا
عراب وتحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون
بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الا
تباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللناكم اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق
الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا
من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم

ص

الاتباع م

عون

وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والحساب
وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم
لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال
ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما
دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس
فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو
الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي
بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض
في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح
فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء
على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه وحذف
الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن
متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي
في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة
بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت
بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول
من شرك زيد للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه
او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمد
خلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا
بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة
طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا
وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب

اجراها

بها تجري جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على
الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها
والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي
ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لان عروقها
قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت
الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة
والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا فلا يزلون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم
اهوال القيامة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
في جسده فياتيه الملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن
نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق
عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين
من تثبيت بعضهم واضلال بعض اخرين ويفعل الله ما يشاء من غير اعتراض عليه الم
تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوا مكانه او بدلوا
نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها
كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب
رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا
يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر

كمثل شجرة

هشهم

الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ... صح

بمعنى

دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم و

أو على الظرف اي وقتي سر وعلانية

جميع

معاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقول جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يؤول اليه وروي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما

وغرتهم

الى الارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا ثم طيورا فقالوا لا طير
الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من
اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال
افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب
افئدة كآدر في ادور وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون
نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز
ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء
للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوي من هوي يهوى وتعديته بالى لتضمين معنى
النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما
نعلن فان سرنا كعلننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل
عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجا الى الله وما يخفى على الله من شيء
في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسماعيل واسحق روي انه
ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي
لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على
المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين
ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلاة معدلا

لها

نسبته الى

لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام
الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء
واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم
عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت
مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف
المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم لا يخفى
عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما
يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص فلا تقر في
اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون
هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم
طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق
وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل
خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم
القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى
الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن
بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل
ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا
بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون
على تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد
وثمود واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه

اراد بهما

وافعالهم

ابصارهم

في مساكنهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا او فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليايه من اعدايه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سياتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه يبدل الله ارضا من فضة وسموات وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضا لم يخط عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه

[هامش: فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد فاذا لم يخلف وعده صح]

[هامش: والنصب]

بالصفتين

بالصفتين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميرهم والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة من المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين مثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل وتلي وقرئ بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على

[هامش: غلاب صح]

[هامش: هم]

ما يدل عليه وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم
واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في
إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التي هي منتهى
كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى
جعلنا الله من الفائزين بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الإشارة إلى آيات السورة
والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أي آيات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة
وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثماني
لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة
تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل على الماضي في تحققه
(هامش: لكن لما كان المترقب في إخبار الله تعالى كالماضي صح)
أجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفس من الأمر له فرجة
كحل العقال ومعنى التقليل فيه الإيذان بأنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة
فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم
أهوال القيامة فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا
ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الأمل ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة
الأحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذا عاينوا
جزاءه والغرض إقناط الرسول من ارعوائهم وإيذانه بأنهم من أهل الخذلان وأن
نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه إلزام للحجة وتحذير عن إيثار
التنعم وما يؤدي إليه طول الأمل وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب
معلوم أجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى صفة جملة واقعة صفة لقرية
والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله إلا لها منذرون لكن لما شابهت صورة
الحال أدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من أمة أجلها
وما يستأخرون أي وما يستأخرون عنه وتذكير الضمير للحمل على المعنى
وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم

على

على التهكم ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قوله إنك لمجنون ونظيره ذلك قول
فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون والمعنى إنك لتقول قول المجا
نين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر أي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب
مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك
ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو
للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت من الصادقين في دعواك (هامش: الأمم المكذبة صح)
ما ننزل الملائكة إلا بالحق بالياء المسندة إلى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا
بالحق إلا تنزيلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في أن تأتيكم
بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فإن منكم
ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان وقيل الحق الوحي أو العذاب وما كانوا
إذا منظرين إذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر أي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله
وإنا له لحافظون أي من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل إليه بدوام الحفظ له
كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد أرسلنا
من قبلك في شيع الأولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه إذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به
يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام وما للحال لا تدخل
المضارع إلا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك
نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط
والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أنه تعالى يوجده
الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فإن الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو
حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب
المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج
ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع إليه ولا يتعين
أن يكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها
مفسرة للمعنى الأول بل يقويه وقد خلت سنة الأولين أي سنة الله فيهم

بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هولاء المقترحين بابا من السما فظلوا فيه
يعرجون يصعدون اليها ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين لما
يرون او تصعد الملايكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد
وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر
ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت
بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل بما خيل اليهم من السحر ولقد جعلنا
في السما بروجا اثني عشر مختلفة الهيات والخواص على ما دل عليه الرصد
والتجربة مع بساطة السما وزيناها بالاشكال والهيات البهية للناظرين
المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها
من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها
ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع
اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا
من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها سبب
اخر وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها وابناها
فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شي
موزون مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمته او مستحسن مناسب من قولهم
كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة
وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز
على التشبيه بشمايل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاستدلال بجعل الارض
ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزا في الوضع محدثة فيها
انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك

ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من...

على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم
عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شي الا عندنا
خزاينه اي وما من شي الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد
منه فضرب الخزاين مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله الا بقدر معلوم حده الحكمة
وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات على بعض
الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل
شبه الريح التي جاءت بخير من انشا سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك
بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فانزلنا من السما ما فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما
انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين
في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما
يدل على حركة الهوا في بعض الاوقات في بعض الجهات على وجه ينتفع به
الناس فان طبيعة الما تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص
وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول
الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
لا يخفى علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته
دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول
فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت
وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزا وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر
والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان
ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشيا يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شي
ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر
وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود

من يقاع القدرة

بمعنى الملقحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح

من ح

من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصالا اي كائن من حمإ **مسنون** مصور من سنة الوجه او مصبوب متصور كالجواهر المذابة يصب من القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره **خلقناه من قبل من نار السموم** من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء **واذ قال ربك** واذكر وقت قوله **اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته** عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه **ونفخت فيه من روحي** حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء **فقعوا له** فاسقطوا له **ساجدين** امر من وقع يقع **فسجد الملائكة كلهم اجمعون** اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا **الا ابليس** ان جعل منقطعا اتصل به قوله **ابى ان يكون مع الساجدين** اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد **قال يا ابليس ما لك الا تكون** اي غرض لك في ان لا تكون **مع الساجدين** لادم **قال لم اكن لاسجد** اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد **لبشر** جسماني كثيف وانا ملك روحاني **خلقته من صلصال من حمإ مسنون** وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف **قال فاخرج منها** من السماء او الجنة او زمر الملائكة **فانك رجيم** مطرود من الخير والكرامة فان

من قبل خلق الانسان

ملائكة

يا ابليس

من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته **وان عليك اللعنة** هذا الطرد والابعاد **الى يوم الدين** فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل **قال رب فانظرني** فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم **الى يوم يبعثون** اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد البعث فاجابه الى الاول دون الثاني **قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال **قال رب بما اغويتني** الباء للقسم وما مصدرية وجوابه **لازينن لهم في الارض** والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب **ولاغوينهم اجمعين** ولاحملنهم اجمعين على الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله **قال هذا صراط علي** حق علي ان اراعيه **مستقيم** لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف **ان عبادي ليس لك**

عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير
الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى
تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط
ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم
لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل
فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان
فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب
مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم
من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف
الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرا الوصل
مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان
غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
من ماء غير آسن الاية وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم
العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع
الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم
آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة
بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي
رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد
على درجات الجنة او مراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل
ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالا

من ضميره

من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكونا متقابلين حالا من المستقر في على سرر
لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها
وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد
وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما
يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما
قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم
امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل انا
نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه
وقرا حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار
لان يبشر به من مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي
اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية وقرا نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع
استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك
بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو
قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه قادر على ان
يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال
علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو
عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال
فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة
ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة
لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدءوا بها

وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط إلا آل لوط إن كان استثناء من قوم كان منقطعاً إذ القوم مقيد بالإجرام وإن كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلاً والقوم والإرسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين وكان المعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله إنا لمنجوهم أجمعين أي مما يعذب به القوم وهو استئناف إذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن إذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله إلا امرأته استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم اعتراضاً وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففاً قدرنا إنها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وإنما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجري مجرى قلنا لأن التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم إياه إلى أنفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك به فأسر بأهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال:

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع أدبارهم وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدي وامضوا إلى حيث وتؤمرون إلى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا إليه أي أوحينا إليه مقضياً ولذلك عدي بإلى ذلك الأمر مبهم يفسره أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للأمر وتعظيم وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم

حتى

حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم يستبشرون بأضياف لوط طمعاً فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي أو هو الهوان أو ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم أحداً وتمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها إن في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالإهلاك وإنهما يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثاً إليهما فكان ذكر أحدهما منبهاً على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لأنهما مما يؤتم به ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحاً ومن كذب واحداً من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يراد بالمرسلين صالحاً ومن معه من المؤمنين والحجر وادٍ بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها أو ما نصب لهم

من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام او نقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسابهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلايم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو الذي يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل لليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق

بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه المقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القران عضين هم اهل الكتاب حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله وقوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القران عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزءين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واوما الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن عبد

المطلب فهي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفيك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام والله اعلم

سورة النحل مكية

سورة النحل مكية غير ثلاث في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا اي بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح

او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بفعل يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اذ لم تكن تنقلوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهي لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس

ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
ويجري بغيره او على او مصونا بهما واستشهد به على حرمة لحومها ولا دليل فيه
اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا
ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له
من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لا يخطر
على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى
الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل تقصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل
عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها
جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان
يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم
اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة
للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء لكم منه
شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به
وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه
لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال الشاعر
يعلفها اللحم اذا عز الشجر • والخيل في اطعامها اللحم ضرر •
فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي
العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على
التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم
ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس
الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع
وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها
فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها
ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على

مفعول له يكون علة لتركبوها او مصدر في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين بها صح

اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والقوى
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار يتقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع وتقدير او لحكمه وفيه ايذان بالجواب
عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك
ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر
فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة
ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما
ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع وهو الذي سخر
البحر جعلها بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا
منه لحما طريا هو السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد
فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك
به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب
عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان
الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا
منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن
من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من
فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقوموا
بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه
جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا
رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق
فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال كانت سكونها

اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شا او لما خلقن له بايجاده

على وجهها تتاوت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كا
لأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها
انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة
الله وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل
عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة
ومشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب
وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق
انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على
خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق
لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة
شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم
او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان
يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس
لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك
فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام
بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة
تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين يدعون
من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون
بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق
وبين من لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك

ان

ان اثبت لهم صفات الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة
الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات
لا تعتريها الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود
والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون
ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم
والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه
على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة
الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان
لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن
بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون
حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف
وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت
الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في
موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده او اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين
وانما سموه منزلا على التهكم او على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه
والسائلون له هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم
في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو
حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين
من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فأتى الله بنيانهم من القواعد
فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى
الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح

القايل بعضهم والوافدون عليهم او المسلمون

تخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي اضافة الى
نفسه استهزا او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون
فيهم تعادون المومنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني
فان مشاقة المومنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبيا والعلما
والذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم
اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الذين
تتوفاهم الملائكة وقرا حمزة بالياء بادغام التا الثانية في التا وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا
السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا العذاب ما كنا نعمل من سوء قايلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول
الدال على الاستسلام بلى فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون
فهو مجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى الاية استيناف ورجوع الى
شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا
نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون
الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبيس مثوى
المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المومنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد المقتسمين قالوا
ما قالوا واذا جا المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها
وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا
وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت
لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع

ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزا يجزيهم وهو يويد الوجه
الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين
بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم
لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل
ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب المستاصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم
ما اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم
ومعاصيهم فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزا سيئات اعمالهم على حذف المضاف
او تسمية الجزا باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من
دونه من شي نحن ولا اباونا ولا حرمنا من دونه من شي انما قالوا ذلك
استهزا او منعا للبعث والتكليف متمسكين بان ما شا الله يجب وما لم يشا
يمتنع فما الفايدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شا الله صدورها عنهم ولشا
خلافه ملجا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه
على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا
حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح
للحق وهو لا يوثر في هدي من شا الله هداه لكنه يودي اليه على سبيل
التوسط وما شا الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
له ثم بين ان البعثة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداه وزيادة
الضلال لمن اراد ضلاله كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه
ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى
الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد
هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في

حم

المودية اليه

امر جرت به السنة

الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم
فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى به من حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البنا للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا عليه مصدر مؤكد لنفسه وهو
ما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في
وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم لانه من مواجب الحكمة التي
جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه
ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي
يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له
من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف
له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشيا
ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرين ظلمهم قريش
فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة والمحبوسون المعذبون بمكة
بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس
وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل
لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال
له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك
في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار لو علموا ذلك لوافقوا

في الله

[illegible]

اي لو علموا ان الله يجمع لهم الحسنيين خير الدارين لوافقوهم اي المهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو

في

في اظهار دينهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى
الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد
لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد
ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب
او علما الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل على انه تعالى
لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا
الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال
ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي
هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لم يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل
يقول بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا
اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او
صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال
من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان
الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا
لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله
اليك مما امروا به ونهوا عنه وعما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص
بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم
يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا
السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا او الذين مكروا
احتالوا لرسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم
الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة
من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في
انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها
فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح

تخوف الرحل منها تامكا قردا ٭ كما تخوف عود النبعة السفن ٭
فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعاني كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى
ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنايع فما بالهم
لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة
بيانها يتفيأ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن
اليمين والشمائل عن ايمانها وعن شمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من
يمين الانسان وشماله ولعل توحيد وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد
الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير
في قوله ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال
سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب وسجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحطاطها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب
منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون
بالواو لان من جملتها من يعقل ولان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين
والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع
والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له من الارض وعند الزوال
تبتدي من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والا
نقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض
وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سما
والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في
الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد به ما
يعمهما من العقلاء وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان
من حيث اجتمع القبيلان اولى من تغليب العقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم والجملة حال
من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر

فان الظلال في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي صح

او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر فوق عباده صح

عن

عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على
ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي
اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله
واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالوهية او للتنبيه
على ان الوحدة من لوازم الالوهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي
فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين
اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب
منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء
دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في
الدعا والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
وهم كفارهم ليكفروا وغيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين
كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان تكون من للتبعيض على
ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا باشراكهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا
على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفا للجواب
ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان
العايد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من
قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون

الرفع بالابتدا او النصب على العطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار
وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشي واحد لكنه لا يبعد
تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه
صار او دام النهار كله مسودا من الكابة والحيا من الناس واسوداد الوجه
كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المراة يتوارى من
القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه
محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه
فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا سا ما يحكمون حيث
يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالاخرة
مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقا الذكور
استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما
اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة تمشي بشوم ظلمهم وعن
ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لا
عمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس
واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبيا عليهم السلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركا في الرياسة والاستخفاف بالرسل وارذال الا
موال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله
كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة
للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون
مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرا نافع بكسر الراء على
انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب
الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من
قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين

فهو

فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم
او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او اتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي
زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هولاء اليوم يغريهم ويغويهم بهم
وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا
للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان
على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر
بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر
الضمير ووحده ها هنا للفظ وانثه في سورة المومنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق
والناس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون
جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر
وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض
اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشيا الماكولة
المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله
ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي
يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما
ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية
بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير
الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء
البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا
انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في الاخلاط والالبان واعداد

احداثها

معارها ومجاريها والاسباب الوالدة والقوى المصرفة فيها كل وقت على ما يليق
به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي قدرته ورحمته ومن الاولى تبعيضية
لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض
لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدي منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم
او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا
صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة
بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد و
التخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا
استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف
صفته تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف
الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا
كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة
على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع
من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها
وقذف في قلوبها وقرئ النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون
مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل يذكر من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في
كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي
ما تبنيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي
ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا
من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة
الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس عليك ذللا جمع ذلول وهي
حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي

اي

اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه صح

مفسرة ح

لتعمل فيه ح

صوابه بضم الراء

اي وانت ذلل منقادة الى ما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل
الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه
لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها عسلا ثم يقيء ادخارا
للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طيبة حلوة صغيرة متفرقة
على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها
كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود
بحسب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض
البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون الا والعسل جزء
منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان
رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران
او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر
اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا
انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم
باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه
الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس
وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية
في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب النشيط
ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر
حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم
غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم
على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فانما يردون رزقهم عليهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك
سواء في ان الله رزقهم فالجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون
واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته

فانتهى

بع

نهم

في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساويهم
فيه أفبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم
بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه
الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ
ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او بنات فان الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم
عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى
الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او
لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله
ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه اذ لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فيما لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز
ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك
فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس
على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون
وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم
كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا
لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا
يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل
يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر
المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع
الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع

التسوية

التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز
من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله
قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة لتطابق
عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل
يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال
وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على
البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه
بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
ومن هو منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع
الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى
مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به
علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما
امر الساعة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي
يبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير
او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر
على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع
لما قبلها وحمزة بكسرها والميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة
تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم

بمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما
انعم عليكم طورا بعد طور فتشكرونه الم يروا الى الطير قراءة ابن عامر وحمزة
ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما
خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السما في الهوا المتباعد من
الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة
فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها
في الهوا على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة
من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب
المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها
من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها
تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم يوم وقت ترحالكم
ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر والنزول وقرا الحجازيان
يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف
للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من
جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها
لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله
جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به
حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف
والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه
وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك

البلاغ

البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت
الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها
وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وبقولهم انها بشفاعة الهتنا
او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في
النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام
الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها
يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا
عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع
عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبيا عليهم
السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب
يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى
الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركا او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين
في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم
بالتكذيب في انهم شركا الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم
لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الاصنام به حينئذ او انهم حملوهم
على الكفر والزموهم اياه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
والقوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق
العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان كل نبي بعثه منهم
وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك
الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شي من امور الدين

على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع
وانما حرمان المحروم في تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل
بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
كالجبري المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض
الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا
كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع
بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الا
فراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والا
ستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية
ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط
هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القرآن للخير والشر
هذه الاية لصدق عليه انه تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر
والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله
يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلايمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان بعد ايمان البيعة او
مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال
المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد
قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام انكاثا طاقات نكث
فتلها وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى
صيرت والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد
ابن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا
بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي لا

يكونوا

لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم
واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون
جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم
وقلتهم او لكثرة منابذتهم وشكته وقوة كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة
في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداهم انما يبلوكم الله
به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونكم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة
قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر
بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام
ولكن الله يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح
بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة
الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان
زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا
بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا
تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشرطون لهم على الا
رتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما
يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل
للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم
على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكليف باحسن ما كانوا يعملون بما
يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم على
ما عاده من المباح بينه من الموعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه
حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان
معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم

البخل والتبذير

للتحزب والتحو صارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غيرها صح

على الاسلام صح

يج

رتداد

اد

في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص
وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور
على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب
على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان على ان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل عن ابن مسعود
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن
اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك
امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم
منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه
والذين هم به مشركون بالله او بسبب الشيطان واذا بدلنا آية مكان
آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما
ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه
وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو
عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء
ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل وهو اعتراض لتوبيخ
الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل
اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله
روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم
حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله
مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التنزيل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة
ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا
ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى
وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا
وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت

[هامش: اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلاة صح]

بالتخفيف

بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن
الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل
وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب
بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ
من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء واللسان اعجمي غير بين وهذا
القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال
طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو
ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادي تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك
اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع
ان العلوم الكثيرة التي لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة
متطاولة فكيف يعلم ذلك جميع من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره
عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه
الكلمات الركيكة دليل على عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبههم
ورد طعنهم في القرآن فيه ثم قلب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين
كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في
قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين
لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره
محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون
من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح
بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب

[هامش: الرجل صح]
[هامش: الامر عليهم فقال صح]

عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه ويقول ما لك ان عادوا فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها الخوف

يأتيها

يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

[margin: فانه استعار الرداء للمعروف]

لانه يصون عرض صاحبه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء السيف محمد صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد ووقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحليل والتحريم باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية وسياق الكلام يقتضي وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما دل عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام او معمول لا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من

[margin: بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام]

فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء ليعم الافترا على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله

وليس من الله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد •

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مومنا وكان ساير الناس كفارا او قيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به لان الناس كانوا يومونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قايما باوامره حنيفا مايلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله واتيناه في الدنيا حسنة بان حببه للناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة

بعد

بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة وقد مثل به قال والله لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولين صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به بقوله واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او المومنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي

لا بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة

سورة بني اسرائيل

بات وأحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله
وان كادوا ليستفزونك الى آخر ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة
ويمنع عن الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر
بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره
على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل
فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد
الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم
وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ لما روي انه
كان نائما في بيت ام هانئ بعد العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها
وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا
منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال
لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه
وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت
المقدس ثم عرج به الى السموات العلى حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص
الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة
السريعة في بدن النبي او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار

والاشجار

والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت
المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى
التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال
محمد عليه السلام البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت
اليك ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه
اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ
لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون
كقوله ولا تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او
بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم
من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا
يحمد الله تعالى على جميع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث
للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل
واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن جواب قسم
محذوف او قضينا اجراء للقضاء المبتوت مجرى القسم في الارض مرتين افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما
وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل
وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد
ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما
اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا
بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة عليهم على الذين
بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك
من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود
على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى

العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا
وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها
فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن
بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاربعة على
انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او
مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم بابل من
ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرا
بينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما
صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد
علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا
منهم فهدا عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا
مرة ثالثة الى عقوبتكم فعادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله
فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية محبسا
لا يقدرون الخروج منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي
ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا
اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه
السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا
عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي
رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب

على الباقين هذا في الدنيا
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

الاذا كان

استهزا القول

استهزا القول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار ايتين
يدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا اية
الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر
او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل القمر والشمس وتقدير
الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او وجعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحو
اية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها
شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع
تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب
معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما
عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين
والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه
طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر
الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا
هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار عمله فان الاعمال الاختيارية تحدث
في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف
وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله
عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا
اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة
مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا
تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل
وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم

الايتان

اوحال من مفعوله

فيلزمهم الحجة وفيه دليل على لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر
كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان
الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فدل على الطاعة من طريق
المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه لا
يفهم منه الا الامر بالقراة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب
عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي
كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا كقولهم امرت الشي فامر وامرته وامر
اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج
و[...] مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن (هو ايضا)
ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر امارة اي جعلناهم امرا وتخصيص المترفين
لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول
يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا من
القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير
لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما
نشا لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل
متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم
فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشا والضمير فيه لله حتى
يطابق المشهور وقيل الاية في المنافقين كانوا يراون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها
حقها من السعي وهو الاتيان بالاوامر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بارا
يهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مومن ايمانا صحيحا لا شرك
معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون الشرائط الثلاثة كان سعيهم
مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله على الطاعة كلا نمد كلا
من الفريقين والتنوين بدل من المضاف نمد بالعطا مرة بعد اخرى ونجعل

لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك هو قيامه

القوه

انفه مددا لسالفه هولا وهولا بدل من كلا من عطا ربك من معطاه متعلق بنمد
وما كان عطا ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا عن مومن ولا كافر تفضلا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها
بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول
والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم تقعد عن الشي اذا عجز عنه
مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمومنين والخذلان من
الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا
به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له
غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان
مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالا
حسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع
الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا
تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مونتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو
اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقا الساكنين وتنوينه في قراة
نافع وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به
منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من
سائر انواع الايذا قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير
والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو
في صف المشركين نهى عما يوذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجر (هما)
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التا
فيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل
لهما وتواضع جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة والمراد بجناحه كقوله واخفض

شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او تعجز من قولهم

جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جناية اولياء لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغة في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك

مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر والصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يضيقه وتوسعه بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما مصدر خاطأ او لغة او مصدر خاطأه وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأه في قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته ۞ وخرطومه من منقع الماء راسب ۞

وهو مبني عليه وقرئ خطأ بالفتح والمد وخطأ بفتح الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك والولي

للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك

من بر الرجل من بعد الرجل وقيل القول الميسور

دعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك

بحذف

طريقه

باحدى

خذة

بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي
الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة
بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان تتصرفوا فيه الا بالتي
هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه
الاستثنا واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره
ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او
مسئولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه لم نكثت تبكيتا له كما يقال
للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان
مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم
بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان
العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك
خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع
وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم
ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن
وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا
او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي
وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن
ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضا فاجراها
مجرى العقلا لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان
غلب في العقلا لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم
كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد
منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم
والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه
دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا

بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ
مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطئتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو
تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس
في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل
مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكتوبة في الواح موسى كان سيئة
يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناه وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على
انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك
مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز
ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة
والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث
كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك
من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره
للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد
بفعاله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة
الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم
نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قال
الملايكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم
البنون واتخذ من الملايكة اناثا بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم
وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض
الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بجعل الملايكة الذين هم اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا
المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا
القران ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى
واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وما يزيدهم
الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما يقولون ايها المشركون
وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما
نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول
ان يخاطب المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي

وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر

ذي العرش سبيلا جواب لقولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم
بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سبحانه ينزهه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية
البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء
لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح
الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما
حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات
القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن
فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا
عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد
ما نفى عنهم التفقه للدلائل المنصوبة في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي
منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران
معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ
واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم
مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا
على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان
يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين
هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذو نجوى يتناجون به
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع

وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله

بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران

الظا

الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذي
سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل
ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه
فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة
والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا
او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء
منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول
الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة
بالحياة وقبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون
اليك رؤوسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى
ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر
يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والا
ستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة
والجزاء بحمده حال منكم اي حامدين الله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور
كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين
يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد
الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم
اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم
على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا

او لمرة

عندكم

وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب

وينذرنا فتدرا وهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في
ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجلا
منهم فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
فيختار منهم للنبوة والولاية من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا
بما اوتي من الملك قيل اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وامته خير
الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول
للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس
او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر
الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير
فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا
ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
هولاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان
محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات وما صرفنا عن ارسال الايات
التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين
هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك
واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان منهم
من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات
المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار
او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او

فظلموا

فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات
القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة
والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ
الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق
به من قال انه كان في اليقظة فان الرؤيا لا تختص بالنوم او عام الحديبية حين راى
انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ
ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما
روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما
من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث فيهم
في ايامهم والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما
سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار
واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قادر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها النار ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت
به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة
او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت هي
بالشياطين وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما
يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع
الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه
اي اسجد له وهو طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول
اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني

نزل صح
نة
في المنام ومن قال انه كان صح
واستسخروا
بنك بهذا

لم كرمته علي

عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لئن اخرتني الى يوم القيامة كلام
مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا لاستاصلنهم
بالاغوا الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد
ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنبا
طا من قول الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقدير او تفرسا من خلقه
ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية
بينه وبين ما سولته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم
فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات
جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر
باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا
واستفزز واستخفف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك
بدعايك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك
ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا
خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون
تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم
واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم
وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك وشاركهم
في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي
والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه
بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة
والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والا
تكال على كرامة الابا وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب
ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين تخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوايهم قدرة وكفى
بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي
هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة
التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل
عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون

ماخوذا

ذهب

ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ
لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن
اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم
في كفران النعمة كقول ذي الرمة

عطا فتى تمكن في المعالي ❊ فاعرض في المكارم واستطالا ❊

وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفا
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من
قدر ان يهلككم بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف
بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب
تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات
في قدرته سوا لا معقل فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا
تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه
لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجيكم
الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشي الا قصفته
اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتا على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم
بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجا ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة
والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق
والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في
الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصايه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا
الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف
بهم الارض ولم يغرقهم الما ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة
والاستيلا او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملايكة او الخواص منهم
ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسالة موضع نظر

في البحر

به

والمسالة م

وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف
لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا في
لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا
علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او
مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب
كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم
على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اما
اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي
من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم
الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين
يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما
يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرا
الكتاب والمعنى ومن كان في هذه اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد
الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك
لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما
حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا
ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام
الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاشراك عن الذي

اوحينا

اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لا
تخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا
من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون
اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم
مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك
اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك
لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب ثم لا تجد لك وان
كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض
مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته
وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان
كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما
بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك
وهو لغة فيه قال

عفت الديار خلافهم فكانما * بسط الشواطب بينهن حصيرا *

سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك
سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله
واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا
اي تغييرا اقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه
السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا

وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك

ما تركب من الدال واللام كدلج ودلج ودلع ودلف وقيل الدلوك من الدلك
لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في
لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلاة العشا الاخيرة
وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرانا لانه ركن كما سميت ركوعا وسجودا
واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده
ملايكة الليل وملايكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضيا
والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان
يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال
ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة
المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه
واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به
نافلة لك وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقران نافلة
لك فريضة زايدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القايم فيه وكل من عرفه
وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة
انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره ان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او
الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى
بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة
ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعبا الرسالة واخراجه منه موديا وقري مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام
على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب

في كل مقام صح

امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه صح

وهلك

وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا
غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلثماية وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد واحد فيقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره
وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدوا الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل للتبعيض
والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفا وقرا البصريان ننزل
بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه
لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية
عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر وناء على القلب او
لانه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس
من روح الله قل كل يعمل على شاكلته كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين ويسالونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره
قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكاينة بكن من غير مادة وتولد من
اصل كاعضا جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السوال عن قدمه
وحدوثه وقيل مما استاثره بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل الروح
اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من
العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس ولا شيا من
احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته
الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر

ح

الهدى صح

خلق م

رف

موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وروي انه عليه السلام لما قال
لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما
اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم
لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي
لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصا
حف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون الاستثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة
في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي
لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان اتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر
الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في
اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد
صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا
القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس
فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا
لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام غيره من
المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض
مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من
عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها

تفجيرا

تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى
وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في
الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرها وحفص فيما عدا
الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن
او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوف لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة صح
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او
ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله
من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا كسائر
الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر
كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور
الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم
يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا
قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التنا
سب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول
اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا
بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف

قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم صح

يمشون على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما
يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات
والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما
خبت سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان
تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم
يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق
مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح
الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه
وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم
لو ذات سوار لطمتني وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة والدلالة
على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه
فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم
وكان الانسان قتورا بخيلا لان بنا امره على الحاجة والضنة بما يحتاج
اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة

اليهود

اليهود ان لا تعتدوا حكم مستأنف زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم عن فرعون او سلهم بحملك او سلهم
او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه
القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات
ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار
يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني
لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ
الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات
والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال
واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما
ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته
وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة
فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من
بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني
قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز
سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا
ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد
من الملايكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله
اراد نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في

قوله ويوم نبعث شهيدا وقرئ بالتشديد للكثرة نجومه فانه نزل في نيف وعشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتودة فانه ايسر للحفظ
واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل امنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه
لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا
به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل او راوا
نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم
اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما
لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلام على
فترة من الرسل وانزال القران عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف
الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند
انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية
الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص
الخرور به ويزيدهم خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا
انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو
للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق
والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء
في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
واو للتخيير والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في
اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام
اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب

واللغو

سماع القران

واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي
ان ابا بكر كان يخفت ويقول انا جي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يقول يجهر
ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر
ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية
ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة ليدفعها عنه بموالاته نفى عنه
ان يكون له ما يشاركه من جنسه او من غير جنسه اختيارا او اضطرارا او ما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل
الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك
نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على
ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك وعنه عليه السلام من قرا سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

روي انه عم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية

ابا بكر

تم الجزو الاول من تفسير القران العظيم تاليف مولانا شيخ الاسلام
والمسلمين عمدة العلماء المحققين فريد عصره ووحيد دهره
الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة العالم
الرباني والولي الصمداني ذي البلاغة الباهرة
والفصاحة الفاخرة مولانا العارف
بالله تعالى ناصر الدين البيضاوي
عفى الله عنه على يد العبد
الفقير الى الله محمد الكر...
غفر الله
له
ولمن
قرا
فيه
امين

سورة الكهف مكية الا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وهي مائة واحد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف في الدعوة الى جناب الحق المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوا بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر هاهنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته احبته فهو يتحسر على آثارهم

ويبخع

ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همدا *

او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره لي حتى عرفته فدفعتها اليه جميعها اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصاب الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا حتى تعارفوا وقال الثالث

اعمال باخع

فانصدع الجبل

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وهي مائة واحد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها
على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما
به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال
في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف في الدعوة الى جناب الحق المعاني كالعوج
في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد
بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب
على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف
فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ
قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف
المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه
من لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع
الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر
ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار
متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره
هو باستاسكه به الحكم ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى
لانهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم
من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى
المؤثر والاثر او بالله اذ لعلمه بالمجوز او بنسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم
الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها
من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى
غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج
من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم
والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم
لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا
كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه
لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم

ويبخع

ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث بهذا القران اسفا للتاسف عليهم او متاسفا عليهم والاسف فرط الحزن
والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال
ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها
لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه
بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو
القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله
كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما
على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات
متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع
انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل
او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا ۞ وصيدهم والقوم في الكهف همد

او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب
الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف
فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا
ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته
مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في
جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع
الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره لي حتى عرفته
فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل
حتى راوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة
فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت
ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي
نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف
الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها
اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث

فانصدع الجبل

لا ذلك ابوان شيخان كبيران وكان لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني
ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه
ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي
على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا
ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف
يعني فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف
فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو
وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير
بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا
واصل التهيئة احداث هيئة الشي فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليهم حجابا
يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول
كما حذف في قولهم بنى على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي
ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم
كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا
مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة
لبثهم احصى لما لبثوا امدا اضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا
حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا
تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصا بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال
وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي
وصبية امنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس
الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد
عن الحق مفرط في الظلم هولاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة
خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا ياتون هلا ياتون عليهم على عبادتهم بسلطان
بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوخذ الا به وهو دليل على ان ما لا دليل عليه من
الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا

بفتية

بنسبة الشرك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا
الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله
فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما نافية على انه يكون اخبارا
من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا
الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ
لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم
وقوة وثوقهم بفضل الله وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء مصدر
جاء شاذا كالمرجع فانه قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله
عليه السلام او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التا
في الزاي وقراة الكوفيين بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ
تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة
ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني
يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني
في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يوذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك
لان باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
مشرق السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها
على جانبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيوذي اجسادهم ويبلي
ثيابهم ذلك من ايات الله اي شانهم وايواوهم الى كهف كذلك واخبارك
قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من ايات الله من يهد الله بالتوفيق
فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان
امثال هذه الايات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار بها
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم
ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم
ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب
ويويده قراءة من قرا وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية

الاعتزال عن الشيء
والمجيء
راس صح
جانبيه
فيبقى
ما يليها صح
مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله
فقال انا احب احباء الله فناموا وانا
احرسكم اذ كلب صح

ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت
منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح
عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك
وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت
بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك
بعثناهم وكما انمناهم اية على كمال قدرتنا بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم
بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة
نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الاخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة
وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما
نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس
لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه
الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة وابو
عمرو وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف
وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس
فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم
برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في
التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور
انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل
المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم
اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فامنوا
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم

وبعثناهم

وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم
ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في
امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة من التحلل والتفتت
ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر
ابدانها فيردها اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم
يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية
حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم
اول مرة وقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك
المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعدما تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث
لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم
ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك
واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا
سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل
هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما
بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب
من قولهم رجم بالظن اي ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل

حافظا ابدانها

ثم ابدانها اليها

اومن المتنازعين صح

عليهما السلام وابانا الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
واتبع الاولين قوله رجما بالغيب من قولهم رجم بالظن وبان اثبت العلم بهم لطايفة
بعد ما حصر اقوال الطوايف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا
المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب
ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان
اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم
تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش
وشادنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم
واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب
والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا
غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحي
اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت يريد تفضيح المسؤول
عنه فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا نهي تاديب
من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي
القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا فاخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي بضعة
عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي لا تقولن لاجل شيء تعزم
عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيته قائلا ان
شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه
بفاعل مع ما تخلل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث
ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك
لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الاية
والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول
به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما
امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي

وقل

لاقرب رشدا صح

وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا واظهر دلالة على اني
نبي من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى
قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة
سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو
بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة
لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلاث مائة وقال بعضهم ثلاث مائة وتسع
سنين وقرا حمزة والكسائي ثلاث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد
ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد فان الاصل في العدد
اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث مائة قل الله اعلم بما
لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق
يخفى عليه ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك
خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه
لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع
على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر ثم نقل الى صيغة
الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في
قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور
وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت
للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى
امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا
ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم
لما دل اشتمال القران على قصة اهل الكهف من حيث انها من المغيبات بالا
ضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه
ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم
ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها
وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به
واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع اوقاتهم او في طرفي الليل والنهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان
غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه

رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته
بعن لتضمنه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد
نهي الرسول ان يزدري بفقراء المسلمين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى
طراوة زي الاغنيا تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف في المشهور ومن
المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش
وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعا غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه
خفي عليه صح
لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله
قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله
اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الا[يمان]
واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما
مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا
قلبه عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا
غافلين صح
له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من
ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر
محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن
ولا كفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته
فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيانا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله
فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة
ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار
مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها
والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن
عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيدا او واقع موقعه الظاهر

فان

فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول
استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتدا والثانية
للبيان وصفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو
جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن
الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما
غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة
ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكا واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن
رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه
قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى
الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما الى ما
حكاه الله وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد
ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل
محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته
بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به
وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين اتى اكله ولم
تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم
في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل
ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع
من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه وهو يحاوره
يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما
واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه
يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الضمير الجنة لان المراد ما هو جنته
وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة

التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول
يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال
ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته
واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي
بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما
اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية
وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله
واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره
اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم
من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا
ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك
في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه من التراب فان
من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه وتلاقت النونان
فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها
من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو
ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله
وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله
لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا
اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء
الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها
شرطية والجواب محذوف لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله
تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره عن النبي صلى الله عليه
وسلم من رأى شيئا فاعجبه وقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره لا قوة
الا بالله ان ترني انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان
يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول
ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على
جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل

لكن هو

محذوف اي امرا بانها وما فيها بمشية الله ان شا ابقاها وان شا ابادها صح

هو

هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال
السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال
نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق
فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك
امواله حسب ما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو
فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو واذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن
تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب
الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما
انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الا
وسقطت الكروم عليها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه من قبل شركه فتمنى لو لم يكن
مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما
سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه
القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام
الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له
وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر
فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع
منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه
وقيل اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية
وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه
الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء
ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه

رض

لتقدمه صح

تم

او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن
لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح
هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به
ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء
يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل
شيء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الانسان
في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخير التي
تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال
الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام
الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبها
ينال بها في الاخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر
يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منثورا ويجوز عطفه
على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند ربك يوم القيامة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من
سارت وترى الارض بارزة بادية من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها
وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه
ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد
فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على
ربك صفا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل
ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار
القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة
عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث
والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع
الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو
عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات

ما

من الاشيا والافنا ؟

مال هذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا
فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك
المحال وها هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس
او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال
الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من
العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استيناف
للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره
بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس
لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب
ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده واتباعه
وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله
شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه
يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للا
عتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم
بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم
للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرا وما كنت
على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافرين
وقرا حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم
ليمنعوكم من عذابي واضافته الى نفسه على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم
يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه

خصصتهم

في ضح

وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك
تلفاً اسم مكان أو مصدر من وبق يبق إذا هلك وقيل البين الوصل أي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فأيقنوا
أنهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفاً انصرافاً
أو مكاناً ينصرفون إليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس
يحتاجون إليه وكان الإنسان أكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلاً
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس أن يؤمنوا
من الإيمان إذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب وهو
الاستئصال فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو يأتيهم العذاب عذاب
الآخرة قبلاً عياناً وقرأ الكوفيون قُبُلاً وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع
وقرئ بفتحتين وهو أيضاً لغة يقال لقيته مقابلة وقِبَلاً وقُبُلاً وقبيلاً وانتصابه
على الحال من الضمير أو العذاب وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين للمؤمنين
والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره
ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا
لو شاء الله لأنزل ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما أنذروا وإنذارهم
أي والذي أنذروا به من العقاب هزواً استهزاء وقرئ هزْواً بالسكون وهو
ما يستهزأ به ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها فلم يتدبرها
ولم يتذكرها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما إنا
جعلنا على قلوبهم أكنة تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم
أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وإفراده للمعنى وفي آذانهم وقراً
يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً
تحقيقاً لا تقليداً لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون وإذاً كما عرفت جزاء وجواب
على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم فإن حرصه على إسلامهم يدل عليه وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله بل
لهم موعد وهو يوم بدر أو يوم القيامة لن يجدوا من دونه موئلاً منجى
يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود

وأضرابهم

(هامش: إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن تأتيهم سنة الأولين صح)

وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أهلكناهم أو مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد
من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب
والمراء وأنواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعداً لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا
يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب
عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وحفص بكسر اللام حملاً على ما شذ من مصادر يفعل
كالمرجع والمحيض وإذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن أفرائيم بن
يوسف عليهم السلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده
لا أبرح لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى أبلغ
مجمع البحرين من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح
سيري حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب
الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب
ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق
وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فإن موسى كان بحر
علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمِع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع أو أمضي حقباً أو أسير زماناً طويلاً والمعنى حتى يقع إما بلوغ
المجمع أو مضي الحقب أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات المجمع والحقب
الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى خطب الناس بعد هلاك
القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحداً أعلم منك
قال لا فأوحى الله إليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام
أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن
موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي
عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله
على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك أعلم مني فدلني عليه قال
أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال
تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت
فأخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما أي مجمع البحرين وبينهما ظرف
أضيف إليه على الاتساع أو بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى أن يطلبه
ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي أن موسى
رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ

(هامش: أي لإهلاكهم)

(هامش: على أن حتى أبلغ صح)

(هامش: أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك صح)

(هامش: أن موسى صح)

يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره
وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت
طريقه في البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين
قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل
لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسارا الليلة والغد الى الظهر
القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد
باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة يعني
الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني
نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ
ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال
وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى
والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه
الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من النقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب
او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال
في آخر كلامه او موسى في جوابه تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ
موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه
امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا
اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا
الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم
الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط
ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو
اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول
تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له
مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته
وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين

ان

مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه

ان يكون

ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا
وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون
تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال
انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد
كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها
مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي
لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق
الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد
والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد
واقعة بمشيئة الله قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئ
بك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على
الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان
خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد
للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت
شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا تذكير لما ذكره قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته
يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان
اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض
الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا
بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا
مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله
قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء
للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك

قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم وانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الكلام

الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام

ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا وقرا نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت من قبلي عذرا لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال

ان دهرا يلف شملي بجمل • لزمان يهم بالاحسان •

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لومه من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت

ابن

كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمها الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها ان اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله خيرا منه زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة

او الوقت صح

فاردت ان اعيبها عن قوله صح

لانه

ولدا صح

بالتخفيف

من كتب العلم وقيل

لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل كان لوح من ذهب مكتوب عليه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثاني خير والثالث ممزوج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سالوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والالة

يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن جو

فاتبع

فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرا حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك

عوق

اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في
اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او يجعل
او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد
احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره
وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم
اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى
الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما
ياجوج وماجوج وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين
بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه في
الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ها هنا مفعول به
وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرا حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجموهم وفي مصحف
ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث
ابن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان وقيل عربيان
من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث
مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا
يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون
الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا
وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم وقد ضمه من ضم السدين غير
حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني
بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما
حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع
اتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما
ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة

حذفها

الاعانة صح

حذفها في الترك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى
بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها
لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل
قال انفخوا اي في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار
بالاحماء قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه
قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال
الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ
حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا
بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس
حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما
الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار
فصب النحاس المذاب عليه فاختلط بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل
بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب
في تجاويفها قال هذا السد والاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده
فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة
بان شارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض
مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد
اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول
ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج
وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد
او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده
ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في
غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا
لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم
قد يستطيع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب

امر صح

بل

اي قال للعملة انفخوا صح

اتوني لاضمر مفعول صح

النحو صح

عباده

بعضهم صح

يده

سمع صح

الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملايكة والمسيح من دوني اوليا معبودين نافعيهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا واسمه مفعوليه وقرى افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السوال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اوليك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلايله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقايه بالبعث على ما هو عليه او لقا عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك اي الامر ذلك وقوله جزاوهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاوهم به او جزا وهم بدله وجهنم خبره او جزا وهم خبر وجهنم عطف بيان للخبر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشي كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جينا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلالة القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرى ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرون وما اوتيتم من العلم الا قليلا نزلت

بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك

انا

قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقا ربه يامل حسن لقايه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يراييه او يطلب منه اجراه روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراها عند مضجعه كان له نور في مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرا سورة الكهف كلها من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كانت له نورا من الارض الى السما

سورة مريم عليها السلام

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الها لان الفات اسما التهجي ياات وابن عامر وحمزة اليا والكساي وابو بكر كليهما ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمت ربك او مبتدا محذوف خبره اي فيما يتلى عليكم ذكرها وقرى ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه ندا خفيا لان الاخفا والجهر عند الله سيان والاخفا اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للندا والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنايه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقري وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلاث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا

ونافع بين بين وابن كثير وحفص وعاصم يظهرون دال الهجا عند الذال والباقون يدغمونها

وقيل تسع وتسعون

ايضاحا للمقصود والتفي باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد
يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو
توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا
فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب
من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا
يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير من وراي
بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اي خفت فعل الموالي
او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين
بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت
امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال
قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من
ال يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء
والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبيا لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة
فانه كان حبرا ويرث من ال يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا
زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث من ال يعقوب على
الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من ال يعقوب على
انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه
المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل
له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي
الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتما
ثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش
ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي
غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل
والاصل عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت
الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وانما استعجب الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق
ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك
اي الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة

وقرا حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر

الي

الى مبهم يفسره هو علي هين ويويد الاول قراءة من قرا وهو علي هين اي الامر كما
قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج
فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس
بشيء قال رب اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال ايتك
الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر
الليالي ههنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام
الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب
من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب
لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله
كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية
وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التوراة بقوة
بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التوراة
وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة
منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم وزكاة
وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه
ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا
بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه
من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم ويوم يموت من
عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة واذكر
في الكتاب القران مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم
بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم
قصتها او بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمنك اذ لم تكرمني فتكون بدلا
لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت
متضمن معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها
اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها

وقرا حمزة والكسائي خلقناك

جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتانس بكلامه ولعله
ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية
عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز
ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا فاني اتعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك
قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما لاكون سببا
في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله تعالى ۞ ويؤيده قراءة
ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا
على الخير مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم
يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما يطلق
فيها اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف
قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه
للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
اي ونفعل ذلك لنجعله اية او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على
لنهب على طريقة الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال
قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا
تعلق به قضاء في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان
يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة
في جوفها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل سنة وقيل ثمانية اشهر
ولم يعش مولود وضع لثمانية وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث
عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
فاعتزلت وهو في بطنها كقوله ۞ تدوس بنا الجماجم والتريبا ۞ والجار
والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل
اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص
به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا
الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان
وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياته ما يسكن

روعتها

روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت
وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا
حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو
الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر
ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل
كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح
من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة
الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي
مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه
تساقط عليك من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
بالتاء للنخلة وبالياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة
لا راس لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على
براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن يراها
على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل
وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب
عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من عصير الرطب وعصيره
وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر
وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس
سكنت اليه عن النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين
من البشر احدا فان ترى ادميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج
لتاخ بين الهمز وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ
به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبر
بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة
وامرها بذلك لكراهة المجادلة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة
اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي بديعا منكرا من فري الجلد
يا اخت هارون يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في
طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل

ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر هم

اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع

ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها راسا

نكم

والاكتفا بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به اي ولدها قومها راجعة

موم حل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا من صلاحها او شتموها
به يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه
على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى ان كلموه ليجيبكم
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد في المهد صبيا كلم عاقلا
وكان زايدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دايمة
كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه
اول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته اتاني الكتاب الانجيل وجعلني
نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق
في قضايه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا
اينما كنت واوصاني امرني بالصلوة والزكوة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس
عن الرذايل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقري بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر
والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي
يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف لل
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدايه فانه لما جعل جنس
السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اي الذي تقدم نعته هو
عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه
الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه ثم عكس
الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان
كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقري
قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت
اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقري بالتاء على الخطاب ما كان لله ان
يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها
عن شبه الخلق في الحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره
في سورة ال عمران وقرا الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولانه وقيل انه معطوف

سيا

حيثما كنت

بان العذاب

على الصلاة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد
الى السما وملكية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم من شهود يوم عظيم هوله وجزاؤه وحسابه وهو يوم القيامة او من
وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم
الملايكة والانبيا والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجيب
معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما
بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يوميذ
وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا
انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه
ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسي على اساءته
والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان
الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا
يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم
اي انذرهم غافلين غير مومنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث
الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك او نتوفى الارض
ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق
لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه
الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا
نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا
وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيا في جلب نفع ودفع
ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق
وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما
يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم

ولا تحق الا لمن له الاستغنا التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشي لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملايكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستعصاه على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سو عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفا العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقا همته في الربانية او لانه ملاكها او من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته فنبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لين لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يوذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعا التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني

وادعو

وادعو ربي واعبده وحده عسى الا اكون بدعا ربي شقيا خايبا ضايع السعي مثلكم في دعا الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبيا او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقا بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والريا او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل على تقدير ان تكون من للتبعيض هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشيا في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان

[Margin notes: ما يفعل — للعاصي — همته في الربانية او لانه ملاكها من حيث انه نتيجة — من الكفرة — لانهما — بانه اسن من موسى — حال منه — تك]

الانبيا ابا الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في
الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس
من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا
من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه
اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم
الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من
ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من للتبعيض لان المنعم عليهم
اعم من الانبيا واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا
خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن
ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية
وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى
عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته
واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو
الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي عليه السلام
اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد
وقري يتلى باليا لان التانيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء
بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف بالسكون اضاعوا
الصلاة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح
الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من
بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا لقوله فمن يلق
* خيرا يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما *
او جزاء غي لقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك
يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول
من ادخل ولا يظلمون شيا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيا
على المصدر وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم

جنات

جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقري
بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى
الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب
اي وعدها اياهم وهي غايبة عنهم او وهم غايبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب
انه كان وعده ماتيا الذي هو الجنة يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا
اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملايكة عليهم او تسليم بعضهم
على بعض على الاستثنا المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون
لغوا سواه كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتايب *
او على ان معناه الدعا بالسلامة واهلها اغنيا عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فايدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط
بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودوامه ودروره تلك الجنة
التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث
مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها
لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله لما سيل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى
اليه فابطا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما حتى قال المشركون ودعه
ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله
على ما تقتضيه حكمته وقري وما يتنزل باليا والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما
خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان
الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك
نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك
عن ترك الله وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه
وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة
الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة
فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا للاعمال تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا

من الاب

اي علم الجنة

اي الله

نزل

وما ننزل

الخاشعين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والأرض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العاملين فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح انه لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان القول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظما باليا ففتته وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا ولينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون على الركب لما عداهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد به تمييز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبني كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا عليه وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا

وروى عن ابن ذكوان اذا مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر

مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة
حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم
بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما
سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز
عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر
من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه
من الري الذي هو النعمة وابو بكر رئيا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من
الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس
باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه
على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا رأوا
ما يوعدون غاية المد وقيل هو متصل بقوله قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما غاية له
اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو
غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه
من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر
على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث
ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه
لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان
قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه
منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيده الله في ضلاله
ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى
عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقوله سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع
به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها

النعيم

الدائم

النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب كما اشار اليه بقوله وخير مردا
والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي
ابلغ في حره ابلغ منه في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا
وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا
حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت فقال فاني
اذا مت بعثت قال نعم قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة
هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع
ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة
شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى
ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ذلك ام اتخذ عند الرحمن عهدا
او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد
هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله
بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره
لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني
لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو
وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده
بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد
ويأتينا يوم القيامة لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى
ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله
آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء
عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم
ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة
انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم
ذلا او بضد لهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها نيرانهم او
جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده
لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه

اللام وهم ضد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كلّ هذا
الرأي كلّا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي يجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا
لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب
الشهوات والمراد تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم
على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم
بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم
انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا اياما
محصورة وانفاسا معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي
غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن ولعله لان مساق
هذا الكلام لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك لكرامتهم وانعامهم ونسوق
المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد
المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان
والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله ولا
تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا
امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي
الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون
الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين
الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم
والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة
الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع
والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وحمزة
وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل
والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير

لكونه

لكونه ادا والمعنى ان هذه الكلمة لعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم
تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا
للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء
الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا وفاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من
دعا بمعنى سمى المتعدي لمفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى
الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية
للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها
ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من
في السموات والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي
اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الاصل لقد احصاهم
حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم
عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم
القيامة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه
ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها عن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يوضع له المحبة في الارض والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين
حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود في القيامة
حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل
فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن
يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين اي الصائرين
الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق
من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم
من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز
الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض

تخويف للكفرة وتبشير للمؤمنين على انذارهم

سورة طه

والركان لما له المدعوّون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر
حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبيا المذ
كورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه

مكية وهي مائة واربع وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطا وحده ابو عمرو
لاستعلايه واما لهما الباقون وهما من اسما الحروف وقيل معناه يا رجل على
لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والا
ستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول
بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله
طأ فقلبت همزته ها او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه
الامر وضم اليه ها السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف
مبدلة من الهمزة والها كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف
وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك
القران لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مأول بالسورة او القران والقران فيه واقع
موقع العايد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية او اسمية
باضمار مبتدا او طايفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران لتتعب
بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة
التهجد والقيام على ساق والشقا شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر
وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد
وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى
به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثنا المنقطع ولا يجوز ان يكون
بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا
يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول
له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل
لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتاثر بالانذار او لمن علم الله
انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى
او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى
فان الشي لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما

بعده الى قوله له الاسما الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته
على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا
تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش
فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير
حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن على العرش استوى
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك
على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم
عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سوا فقال وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعايه فاعلم انه غني
عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان
شرع الذكر والدعا والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر
ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم لما ظهر بذلك
انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله
لا اله الا هو له الاسما الحسنى ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له
والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين
اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال
والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من
هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملايكة النازلين معه
وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع
الرحمن على المدح دون الابتدا ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية
من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسما الله تعالى على سائر
الاسما في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث
موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعبا النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدايد فان هذه السورة من اوايل ما نزل اذ راى نارا
ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما الصلاة
والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له
ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
اذ راى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني انست نارا
ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي اتيكم منها

محذوف

وقرا حمزة لاهله امكثوا ههنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل

بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق
او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مايلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما
مترقبا بني الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم
لهم بانّ ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها
او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان
يقرب منه فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضا تتقد في شجرة خضرا نودي يا موسى
اني انا ربك فتحها ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسرها الباقون باضمار القول او اجرا
النداء مجراه وتكرير الضمير للتاكيد والتحقيق قيل لانه لما نودي قال من المتكلم
قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه
كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضا وهو اشارة الى انه عليه السلام
تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس
المشترك فانتقش فيه بغير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك
لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه
فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال
انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين
طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى
من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي
واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما
يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة
التي هي كمال العمل واقم الصلاة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة
التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل
لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثنا او لذكري خاصة
لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة
او لذكر صلاتي لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها
فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول اقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية
كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول
انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به
او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا
اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية او باخفيها على المعنى الاخير ولا

يصدنك

اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك اهـ

يصدنك عنها عن تصديق الساعة او الصلاة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد
موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك هاهنا تنبيها على
ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها كقوله لا ارينك
ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان
صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات
المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصدك
وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك
حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس و
والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصيّ على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد
عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي واخبط بها
الورق على رؤوس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب
اخرى حاجات اخر مثل انه كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته
وعرض الزند على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشا
وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه الصلاة والسلام
فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها
بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة
مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقا وتطول
بطول البير وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها
وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا
ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض
الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت
حية صفرا بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا
الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين
وقيل كانت في فخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال
خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب
منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير
تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده

يهش صح

منقول صح

بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيدها
تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما
قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها **واضمم يدك**
الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر
استعارة من جناحي الطاير سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران **تخرج بيضا**
كانها مشعة **من غير سوء** من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوءة عن
العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه **اية اخرى** معجزة ثانية وهي حال من
ضمير تخرج كبيضا او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك **لنريك من**
اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه اية او القصة اي دللنا
بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا
حال منها **اذهب الى فرعون** بما رايت من الايتين وادعه الى العبادة **انه طغى** عصى
وتكبر **قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري** لما امره الله بخطب عظيم وامر
جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه ليحمل اعباءه والصبر على مشاقه والتلقي
لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفايدة
لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان
في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته
ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك
وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى
اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال
العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل
احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه
لم يسئل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل
يفقهوا قولي جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة
احلل **واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي** يعينني على ما كلفتني واشتقاق
الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجا لان
الامير يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير
من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها

في

في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة
او حال او لي وزيرا وهارون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين
كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هارون او مبتدا خبره **اشدد**
به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب
الامر **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** فان التعاون يهيج الرغبات ويودي الى تكاثر
الخيرات وتزايدها **انك كنت بنا بصيرا** عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا
وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني به **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى** اي مسؤولك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول **ولقد مننا عليك مرة**
اخرى انعمنا عليك في وقت اخر **اذ اوحينا الى امك** بالالهام او في المنام او على
لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم **ما يوحى** ما لا يعلم
الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به **ان**
اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول **فاقذفيه**
في اليم والقذف يقال للالقا وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء
البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز
مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضماير كلها
لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة ولان
الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا
ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر
فدفعه الما اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته
اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه
حبا شديدا كما قال **والقيت عليك محبة مني** اي محبة كاينة مني قد زرعتها
في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من راك فلذلك احبك فرعون ويجوز
ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ
ان اليم القاه بساحله وهو شاطيه لان الما يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول
الساحل بجنب فوهة نهره **ولتصنع على عيني** ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك والافك
والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار
فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على

انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت
متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
اخته متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل
ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك
كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها
وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من
الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على
انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة
فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله
ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى
الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك
واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخرا او على مقدار من
السن يوحى فيه الى الانبيا يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة
من قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي
ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما
تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى
وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هارون ان يتلقى موسى وقيل
سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان
يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس
وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع الا بالموت
لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما
انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والايس متكلف والفائدة في ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم

ولذلك

ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام
الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او
خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط
في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته
وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة
اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال ما يصرف
شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سامعا
مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل
الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون
ذكورهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص
المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدرج في الدعوة
قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى
الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها
لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت باية قال
او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة
الجنة على من اتبع الهدى المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير
النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع
وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين
وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهارون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له
رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته
وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون
به وقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ

فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهادا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها

فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اي
ام من خلق السموات والارض وانزل لكم من
السماء ماء

لانتفاعكم

لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه اياه وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل... على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم المكان والزمان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعد وعدكم يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان فيه ضمير القوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم

مكانا سوى

كعادة الملوك

لئن هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا
واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون
وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا
في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل على خبر المبتدا وقيل اصله انه
هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا
ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة
واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل
المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم
وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما
بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا
عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده
والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا
مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم
حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى
فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا قال بل
القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا
من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان
يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي
متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخيل سعي

او الامر القاؤك او القاؤنا

حبالهم

ربع

حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت فخيل اليه انها تسعى تتحرك وقرا ابن عامر وروح تخيل بالتاء
على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال
وقرئ يخيل بالياء بمعنى يخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا
من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير
لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر
ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك
ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق
العويد الذي في يمينك فانه اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا
تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء
المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرا
ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على
انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد
ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة
والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة
الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به
الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول
لتنكير المضاف كقول العجاج * يوم ترى النفوس ما اعدت * في سعي دنيا
طالما قد مدت * كانه قيل انما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين
اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر
وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا
لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هارون
وموسى قدم هارون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى
في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون
وذكر هارون على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم
فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع قبل ان
آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم
الذي علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم

على اسناده الى الله ويخيل

بذكر او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان ما في يمينك

افتعلوا

لم

ذكم

من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو
العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لأقطعنها مختلفات
وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن
المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا
يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد
به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شي وقيل رب موسى
الذي امنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه
اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحياة الدنيا انما تصنع ما تهواه او
تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد
لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة
المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا
ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى
جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه من يات ربه مجرما بان يموت على كفره
وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن ياته
مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل
فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر
والمعاصي والايات الثلاث يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتدا كلام من
الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا
فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في
البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما
وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا
وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف
به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا
ومعى جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف
دركا حال من المامور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد

تخاف

محذوف وقرا حمزة لا تخف على جواب الامر ولا تخشى استئناف اي وانت
لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا
او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان
موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم وقيل ويؤيده القراة به والبا للتعدية وقيل البا مزيدة والمعنى
فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير له
لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته
ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل
هو الله او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون
قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم
بعد ما انجاهم من البحر واهلك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد
النبي عليه السلام بما فعل بابائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه
وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما
عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا
عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه وقرا
حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء ولا تطغوا فيه فيما
رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع
عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب
اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع
في الهاوية وقرا الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار
لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام
على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة
يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم
وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الا
نكار لانه اهم قال موسى هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى
يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى
امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم

او حلالاته

وقرئ ووعدتكم وواعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب

وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثني عشر
الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعا الي عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم
ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا علي الدين بعد ذهابه عشرين ليلة
وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب
كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن
المترقب بلفظ الواقع علي عادته فان اصل وقوع الشي ان يكون في علمه ومقتضي مشيته
والسامري منسوب الي قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان
وقيل من اهل باجرما واسمه موسي بن ظفر وكان منافقا فرجع موسي الي قومه بعد ما
استوفي الاربعين واخذ التوراة غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها هدي ونور افطال عليكم
العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم
غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم
اياي بالثبات علي الايمان بالله والقيام علي ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت
وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد
الاربعين وهو لا يناسب الترتيب علي الترديد ولا علي الشق الذي يليه ولا
جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا
ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة
والكسائي بالضم وثلاثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشي ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند
الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر علي الساحل بعد اغراقهم فاخذوه
ولعلهم سموها اوزارا لانها اثام فان الغنايم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين
وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك القي السامري
اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري
انما اخلف موسي ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالراي ان نحفر
حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار من
تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به
اول ما راه هذا الهكم واله موسي فنسي اي فنسيه موسي وذهب يطلبه عند الطور

او

او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون
الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب
وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولا يقدر علي انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع
موسي او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهموا ذلك
وبادر الي تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني
واطيعوا امري في الثبات علي الدين قالوا لن نبرح عليه علي العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتي يرجع الينا موسي وهذا الجواب يويد الوجه الاول قال يا هارون
اي قال له موسي لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن اي
تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة
كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان من الام والجمهور علي
انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه
من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل
شي فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين
بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني
في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الي ان ترجع اليهم فتدارك
الامر برايك قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك
اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشي اذا طلبه قال
بصرت بما لم يبصروا به وقرا حمزة والكسائي بالتاء علي الخطاب اي علمت ما لم
تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني
محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبريل عليه السلام
جاءك علي فرس الحياة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من
فرعون وكان جبريل يغذوه حتي استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول
من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق علي المقبوض كضرب الامير
وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع
ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
انه جبريل او اراد ان ينبه علي الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به
الي الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتي حيي وكذلك

كان اخاه

ك

سولت لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحياة عقوبة على ما
فعلت ان تقول لا مساس خوفا ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك
فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحش النافر وقرئ لا مساس
كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفه الله وينجزه
لك بعد ما عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف
الوعد اياه وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعود
اذ اوجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ
بكسر الظا على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه
او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم
لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بالضم الشين في اليم نسفا
فلا يصادف منه شي والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين
به لمن له ادنى نظر انما الهكم الله المستحق للعبادة الذي لا اله الا هو اذ لا
احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شي علما وسع علمه كل ما
يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا
في الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه ... وانما انتصب
على التمييز في المشهور لانه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين
صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك
من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة
في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك
من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه
عن الذكر وهو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم
القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها
في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره
او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في
اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه
ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام
في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير فيه للوزر

في الاخرة صح

اشكل

اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرا ابو
عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة
على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ
في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر
المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوا الوان العين وابغضها
الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة
العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى
تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا
يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم
عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم
بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا
يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسالونك عن الجبال
عن مآل امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا
يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها
او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على
ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا كان اجزاءها على صف واحد لا
ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي
وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار
المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتوء
اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت
على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على
صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له
مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خضعت لهيبته
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد
فسر بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم

طريقة صح

مستويا صح

الهمس

لا شفاعة صح

المفاعيل اي الامن اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن
ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول
الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من
الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا
يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما
فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي
القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك
القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون
اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال
والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض
الصالحات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما منه بنقصان او جزاء ظلم
وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات
المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه
من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فتصير التقوى
لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها
ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله
في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل
ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا
تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي
من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال
عليه على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه
وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي
اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه يقال تقدم
الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة

على

على ان اساس بني ادم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا
الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة
ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم
يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب
الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني
ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب
لانه اخطا ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان
كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نبي ولم
يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى
جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر
له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الابا عن
المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يخرجنكما
يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء
باستلزام شقايه شقاها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد
بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب
الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها
والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقايضها ليطرق
سمعه باصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه من حيث
انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان
عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى
الخلد وهو الخلود لانها سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا
يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة
فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به
او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم

من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر
بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق
له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت علي العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع
فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب
العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحوى او له ولابليس ولما
كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش
كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين
بواسطة الاخر ويويد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول
فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك
لان مجامع همه ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها
خائفا على انتقاصها بخلاف المومن الطالب للاخرة مع انه تعالى قد يضيق
بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت الذلة والمسكنة ولوا
نهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الايات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم
القيامة اعمى اعمى البصر او القلب ويويد الاول قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا وفخما لهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من اليا
وفرق ابو عمرو بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير
قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة
نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك
اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يومن بايات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي والنار بعد
ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار
زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم
مسند الى الله او الى الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي
اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم

يمشون

متكلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون اثار
هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل
والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة
الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهولاء الكفرة
وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم
لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب
واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان العذاب
لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز
عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته
وتوفيقه او نزهه عن الشرك وساير ما يضيفون اليه من النقايص حامدا له
على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس
يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في اخر النهار او العصر
وحده ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح
والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه فيه
بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت
العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا
واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الا
ختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
الاخير وجمعه باعتبار النصفين ولان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء
النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال
عند الله ما به ترضي نفسك وقرا الكسائي وابو بكر بالبنا للمفعول اي
يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا
له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون
حالا من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم
او ناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا
او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير
مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرا يعقوب بالفتح

وهي لغة كالجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم
بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه
او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما
رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر
اهلك بالصلاة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة
بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر
المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها
لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك ففرغ بالك
لامر الاخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى وروي انه عليه
السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية وقالوا لولا
ياتينا باية من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة
انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم
باتيانه بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة
المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق
للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا
ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه
المختصة بهذا الباب فقال اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى من التوراة
والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد
والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين
وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز
وتلك ليست كذلك بل مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرا نافع وابو عمرو وحفص
عن عاصم اولم تاتهم بالتاء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد عليه السلام او البينة والتذكير لانها في معنى
البرهان او المراد بها القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيامة
وقد قرئ على البناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما
يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي ومن اهتدى من الضلالة في الموضعين للاستفهام ومحلها
الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد

[هامش: المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى اي الشر والسوي وهو تصغيره صح]

فتكون

فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم
بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام
وعن النبي عليه السلام من قرا سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين
والانصار رضوان الله عليهم اجمعين سورة الانبياء مكية وهي مائة
واثنى عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى
واللام صلة لاقترب او تاكيد الاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم
اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة
معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير
ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر ينبههم
عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله
ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزؤون به ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك
لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن
التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انها خبر اخر للضمير
واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين
ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة
المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه
تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى
او مفعول لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة
لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق
كالقران سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا واستنباطا ما يهدم
امره ويظهر فساده للناس عامة قال ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا
كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض ولذلك اختير هاهنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة
والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى

عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكايته والابتدا باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقا نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيها ما يناسب قول الشعرا وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضا والعصا وابرا الاكمه واحيا الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاتهم أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقا عليهم اذ لو اتى به ولم يومنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المودي الى الفنا وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الما والهوا ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشي واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الموعد فانجيناهم ومن نشا يعني المومنين بهم ومن في ابقايه حكمة كمن سيومن

هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتومنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاوم الاجزا بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزا لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقايل ملك او من ثم من المومنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسالون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السوال من مقدمات العذاب او يقصدون للسوال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السما يا لثارات الانبيا فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتشبثوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل

يعني القران ح

مات

سوا

عواهم

اومن عندنا م

الزوجة والمراد الرد على النصارى إن كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب
المتقدم وقيل إن نافية والجملة كالنتيجة بل نقذف بالحق على الباطل إضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب بل من شأننا أن نغلب الحق الذي
من جملته الجد على الباطل الذي هو من عداد اللهو فيدمغه فيمحقه
وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة الرمي
والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح
تصويرا لإبطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلي لبني تميم ◦ وألحق بالحجاز فأستريحا ◦ ووجه بعده الحمل على المعنى
فإذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم
الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما
مصدرية أو موصولة أو موصوفة وله من في السموات والأرض خلقا وملكا
ومن عنده يعني الملائكة المنزلين لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك
وهو معطوف على من في السموات وإفراده للتعظيم أو لأنه أعم منه من وجه
أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والأرض أو مبتدأ خبره
لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون
منها وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف أو حال من ضمير
قبله أم اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لإنكار اتخاذهم من الأرض صفة
لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص
هم ينشرون الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن يلزم من ادعائهم لها الإلهية
فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم لو كان فيهما
آلهة إلا الله غير الله وصف بإلا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد
ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها ولا يجوز الرفع على البدل لأنه
متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا
لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه
القدرة وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط

بجميع

الشرطية صح

ينزهونه ويعظمونه دائما صح

على غير كما استثني بغير حملا عليها صح

بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده
بالألوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون
والضمير للآلهة أو للعباد أم اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما
لكفرهم واستفظاعا لأمرهم وتبكيتا وإظهارا لجهلهم أو ضما لإنكار ما
يكون لهم سندا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلا من العقل
على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم
من خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم
متابعة للأمر ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا
قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول بما
لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر
بالتوحيد والنهي عن الإشراك والتوحيد لما يتوقف على صحته بعثة الرسل
وإنزال الكتب صح الاستناد إلى النقل فيه ومن معي أمته ومن قبلي الأمم
المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم وقرئ بالتنوين والإعمال
وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد ونحوهما بل أكثرهم لا يعلمون
الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف
وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع
الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه
لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر
لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك بل عباد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله
كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق
إليهم وجعل القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين
على الله ما لم يقله وأنيب اللام عن الإضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير
الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه وهم بأمره
يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

لهم صح

وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء صح

بل هم عباد حيث إنهم مخلوقون وليسوا أولادا صح

٣٥٧

لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم
يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة
منه وهم من خشيته عظمته ومكانته مشفقون مرتعدون واصل الخشية
خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن
فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من
الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك
عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين
من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا
ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين
وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة
ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة فجعلت باختلاف كيفيتها
واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا
رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات
سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما
في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان
الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء
ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض
بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله والله
خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه
وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وحيا
على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا
يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لئلا تميد فحذف لا لامن
الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة
وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها
كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة
مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت

[هامش: ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة]

المعلوم

المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها معرضون عن احوالها
الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس
ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك
الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع
السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء
لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله شعر

فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا
ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود
من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا
به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد
او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن
هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص
لحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه
لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة
المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته
مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث
حين استعجل العذاب سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب
النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها
عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او يوم القيامة ان
كنتم صادقين يعنون النبي عليه السلام واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب

[هامش: وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء]

وحين منصوب بمفعول أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو
حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها
لما استعجلوا ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما
استعجلوا يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وإنما وضع الظاهر فيه موضع
الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة أو النار أو الساعة
بغتة فجأة مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم أو فتحيرهم
وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو للحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لأن الوعد بمعنى العدة أو الساعة ويجوز أن يكون للنار أو البغتة ولا هم ينظرون
يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني
جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه
إن أراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه
حتى إذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم
من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون من عندنا
والأمر أبان عن الأمر بالسؤال على الترتيب فإنه من المعرض الغافل عن الشيء
بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا
يصحبون استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على نصر نفسه ولا
يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم
العمر إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج
والتمتيع بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم
ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا
أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل
كاذب فقال أفلا يرون أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بتسليط
المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين أفهم الغالبون
رسول الله والمؤمنين قل إنما أنذركم بالوحي بما أوحي إلي ولا يسمع الصم الدعاء
بالوحي إلي وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي عليه السلام وقرئ بالياء على
أن فيه ضميره وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم

وعدم

وعدم انتفاعهم بما يسمعون إذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة أدنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس
وما في النفحة من معنى القلة فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال
على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين
لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل
يوزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة
ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من
الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه أو من الظلم وإن كان مثقال حبة من خردل أي
وإن كان العمل أو الظلم مثقال حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة أتينا
بها أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا
أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا بها
والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد
على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمة
الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع
وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان
الذين يخشون ربهم صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع بالغيب حال
من الفاعل أو المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير
الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير
خيره أنزلناه على محمد عليه الصلاة والسلام أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا
إبراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه رشد مثله
وأن له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهارون أو محمد عليه السلام
وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال إني وجهت وكنا به عالمين علمنا أنه
أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق وفيه إشارة إلى أنه فعله
تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه متعلق بآتينا
أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي أنتم
لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال صورة لا روح فيها لا
تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى والمعنى
أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة

قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السوال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم واباركم في
ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين
الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجيتنا بالحق
ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم ظنوا انهم انما قاله على
وجه الملاعبة فقالوا ابجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات
والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم
من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من
تحقق الشي وحققه وتالله وقري بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في
التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول
كالحطام من الجذ وهو القطع وقرا الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقري بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا
لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون
لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم
فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا ان يحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير
ويسالونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم
بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا
حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجراته على الالهة
الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة
لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له
ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا
فاتوا به على اعين الناس مرئيا منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب
على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له
قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم حين احضروه قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا

لان

لان غاظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه
مع الاستهزا والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما
كتبته بخط رشيق انت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم
جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض
او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا او خبر ولذلك وقف
على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية
للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا
على روسهم لقد علمت ما هولاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما
لا ينفعكم شيا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع
ولا تضر فانها ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر
منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان
المتافف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا الى المضادة لما عجزوا عن
المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها
ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا موزرا والقايل فيهم رجل من اكراد
فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة
لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا عليه سلاما
روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق
مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال
فسل ربك فقال حسبي من سوالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة
روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال
اني مقرب الى الهك على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار
بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذيها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم
وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر
عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر

ورجعوا عقولهم صح

بهذا السوال او بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين صح

فكيف تامرنا بسوالها وهو على ارادة القول صح

فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وانقلاب النار هوا طيبة ليس ببدع غير انه هكذا صح

خبر مبتدا محذوف صح

الانبيا بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب وروي
انه نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سال وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني
الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدي بهم يهدون الناس الى الحق
بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل
الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان
تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين
موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما او
نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبيا ونجيناه من القرية
سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواط وصفها بصفة اهلها او اسندها
اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين
فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من
الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه
بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاه فنجيناه واهله من
الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه
مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في
الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في
الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم
رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما
يدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها
والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كما كان ثم يترادان

ولعلهما

ابائهم صح

ثم فعل الخيرات صح

ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول
الشافعي بوجوب ضمان التلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك
قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حايطا وافسدته فقال
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند
ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجما
جبار وكلا آتينا حكما وعلما على ان خطا المجتهد لا يقدح فيه وقيل ان كل مجتهد
مصيب وهو مخالف مفهوم قوله تعالى ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه
في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال
او بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال
او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او بيسبحن والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتدا او العطف على الضمير
على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه
صنعة لبوس صنعة الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة
لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس
لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او اللبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتا للصنعة او اللبوس على تاويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه
في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل
اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عايد الى سليمان نافع له وفي
الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة
شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال
غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء
تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به بكرة
وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون
له في البحار ويخرجون نفايسه ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله
وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال
اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة لقوله يعملون له
ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا

بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي صح

دليل صح

ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها صح

مسيرة سنة صح

سار به صح

على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر بان مسني الضر
وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شايع في كل
ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه
بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا
في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله
وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض
في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع
ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افراثيم بن
يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة
فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلايي مدة رخايي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر بالشفا من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد
له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى
للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما
اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل
وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان
ذا حظ من الله او تكفل امته او ضعف عمل انبيا زمانه وثوابهم والكفل يجي
بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل هولاء من الصابرين على مشاق
التكاليف وشدايد النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الا
انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبيا فان صلاحهم معصوم عن
كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه
لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم
بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم
وغضب من ذلك وهو من بنا المغالبة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق
العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه
او لن نقضي الله عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن
نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في
مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرا يعقوب على البنا للمفعول وقرئ به
مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن

الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي عليه السلام ما من مكروب
يدعو بهذا الدعا الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه
الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم
غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المومنين من غموم دعوا الله فيها
بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف
الفم وقرا ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فا فحذفها اوقع من حذف حروف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع
المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافي لخوف اللبس وقيل هو ماض
مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر
والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فا
ستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد
عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين
من الانبيا كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخيرات ويدعو
نا
رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة وخايفين
العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دايمين الوجل والمعنى
انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام
يعني مريم فنفخنا فيها اي في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا
النفخ فيها من روحنا من الروح الذي بامرنا وحده او من جهة روحنا يعني جبريل
وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين فان من
تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد لله
او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان يكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبيا
تكونوا عليها
ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع
على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير
وتقطعوا امرهم بينهم صرف الكلام الى الغيبة التفاتا ينعى على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا را
جعون

فيجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه
فلا تضييع لسعيه واستعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطايه ونفي الجنس
للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما
وحرام على قرية ومتنع على اهلها غير متصور وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم
بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ وحرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة
انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء
وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم
او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر مبتدا محذوف
اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل
حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
متعلق بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع والهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى
التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هو الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت
بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذيب وقرئ بضم السين
واقترب الوعد الحق وهو يوم القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول
قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر
والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس
واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام
لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل
عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد
من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون

قوله

قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص فاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها
وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر
انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص
والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المواخذ
المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين
وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون
الاصنام وهم فيها لا يسمعون مما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة
الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم لا يرتفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا هذه الاية
ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون
حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها
والحسيس صوت يحس به وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في
غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر
النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة
تستقبلهم مهنئين هذا يومكم هذا يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم
او حال مقدرة من العائد المحذوف من يوعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم
وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل
الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع
او للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل
وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيده ما خلقناه مبتدا اعادة
مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود
بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية
وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا
او حال من ضمير الموصول المحذوف والمفعول المحذوف بفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف

من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون حس

متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا
او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر لفعله تاكيدا لنعيده اي نعيده
مثل الذي بدأناه او اول خلق ظرف لبدأنا او حالا من ضمير الموصول او منتصب
به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لا محالة ولقد
كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة
يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المومنين او الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار
والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الي البغية لقوم عابدين همهم
العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به
سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار
امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا واحد وذلك لان المقصود الاصلي
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشي والثانية لعكسه
فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته
بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم بما امرت به او حربي لكم
على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به
او في المعادات او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة
بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن
في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان
ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في
افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر
تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال
العذاب والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم
وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على
خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم
فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وعن رسول الله

على مقتضى الوحي المصدق بالحجة صح

صلي

سورة الحج

صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل
نبي ذكر اسمه في القران العظيم والكلام المجيد سورة الحج مكية الا ست
ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
تحريكها للاشيا على الاسناد المجازي او تحريك الاشيا فيها فاضيف اليها اضافة
معنوية بتقدير في واضافة المعنوية المصدر الى الظرف على اجرايه مجرى المفعول به
وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها
من اشراطها شي عظيم هايل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انه لا يومنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ وتذهل مبنيا للمفعول وتذهل
مبنيا للمفعول ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود
الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه
وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى
الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله
شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من
اريتك او رايتك قايما بنصب الناس ورفعه على انه نايب الفاعل وتانيثه
على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما
يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول
الملايكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه ويتبع
في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب
عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب
له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه على تقدير فشانه انه يضله
لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية
المكتوب او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير
بالحمل على ما يودي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه
مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء
خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب فان خلق ادم منه او الاغذية التي

[الهام]

واضرابه

وقرئ بالفتح صح

يتكون منها المني ثم من نطفة من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة
ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وناقصة او مصورة وغير مصورة لنبين
لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة
قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف
المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر
ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر
واقصاه آخره اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على
نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا
وينشؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر
من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على
الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل
جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ
الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم
والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان
الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والاية استدلال
ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال
المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات
وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج حسن
رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة
ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة
واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت
في نفسه الذي يتحقق به الاشياء وانه يحي الموتى والا لما احيى النطفة والارض
الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء
فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلها وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعها
وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا

من كل صنف ؟

ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي والاول في المقلدين والثاني
في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني
عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا
به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال
على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض
له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول
اي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من
الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم
والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر
والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال
ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال
ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالا
رتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو
الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من
ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعوا لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل
في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو
الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعوا من حيث انه بمعنى
يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له
مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او
مستانفة على ان يدعوا تكرير الاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر

ح وهذا

ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب
المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام
فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف
ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل
كل ما يفعله الممتلى غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع
اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا
ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرا
ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل
يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما
يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطوا نصر الله
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه
انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت
على الحق من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا
ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت عليه ان لا مراقب لاحواله ان الله على
كل شيء شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر
لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم
اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ
والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من
الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده
باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص
المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له
الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير
حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا
للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجد

المحق

ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد صح

بالمعنى

بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حُق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله
بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله
يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان فوجان مختصمان ولذلك
قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المومنون والكافرون
في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمومنون فقالت
اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن
احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم
تركتموه وكفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ
بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤوسهم
الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود
اي يوثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم
كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد
للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها
ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من
الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد
الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي النار البالغة في الاحراق
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال
المومنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة اذا البستها الحلي وقرئ
بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة
وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد
السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار
الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو
الهمزة الاولى وقرئ لولوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب
الثانية ياء ولوليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب
الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل
وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة

التوحيد وهدوا الي صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق
المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالي وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله والمسجد لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد
منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه علي الماضي وقيل هو حال من فاعل
كفروا وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف
علي اسم الله تعالي واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه
للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري علي عدم جواز بيع
دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالي الذين اخرجوا من ديارهم
وشري عمر رضي الله عنه دار السجن فيها من غير نكير وسوا خبر مقدم والجملة مفعول
ثاني لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص
علي انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقري العاكف بالجر علي انه بدل
من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقري بالفتح
من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالا
شراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابرهيم
مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباة وقيل اللام زايدة ومكان ظرف اي
واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الي السما ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه
بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه علي اسه القديم ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي
للطايفين والقايمين والركع السجود ان مفسرة لبوانا من حيث انه تضمن
معني تعبدنا لان التبوية من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة علي ان كل واحد منها مستقل
باقتضا ذلك كيف وقد اجتمعت وقري يشرك باليا واذن في الناس ناد فيهم
وقري آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها
الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النسا فيما
بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر به
في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقايم وقيام وقري بضم
الرا مخفف الجيم ومثقله ورجالي كعجالي وعلي كل ضامر اي وركبانا علي كل
بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة علي معناه

وقري

وقري ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق
عميق اي بعيد وقري معيق يقال بير بعيدة العمق والمعق بمعني ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع
مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها
وقيل كني بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها علي انه المقصود
مما يتقرب به الي الله تعالي في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر
علي ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
علي التقرب وتنبيها علي مقتضي الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة
وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الي مواساة الفقرا ومسا[واتهم]
وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البايس الذي اصابه بوس اي شدة
الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند
الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون [من البر] في حجهم وقيل مواجب الحج وقرا ابو بكر
بفتح الواو وتشديد الفا وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه
قرينة قضا التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول
بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه
ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين
ومن يعظم حرمات الله احكامه وساير ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق
بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام
والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا
ما يتلي عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل
به لغير الله فلا تحرموا منها الا ما حرمه الله كالبحيرة والسايبة فاجتنبوا
الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول
الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما حث
علي تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير
والسوايب وتعظيم الاوثان والافترا علي الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور [لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور] الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف

لما روي انه عم قال عدلت
شهادة الزور صح

فان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله
مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكأنما خر
من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان
الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب من السماء او للتنويع فان من
المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز
ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه
هلاكا يشبه احد الهلاكين وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا
غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها
من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة
بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها
منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها
وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول
لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها
منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين
جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي بالكسر
اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل
الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم
من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما
فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك
وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على
ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ بالنصب

دينية ينتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع فيه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع صح

الصلاة

الصلاة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة
كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها
مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة والبقرة عن سبعة صح
تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره
جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها
الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها عند ذبحها
بان تقولوا صح
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك
الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال
التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف
على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع والسائل
من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال
وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من
نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها
وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع
القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم
ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم
التي تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل
الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به
المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا
الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر غيره عليه فتوحدوه على الكبرياء
وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق
تسخيرها كيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله
يدافع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع
اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة

الله كفور لنعمة كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم
اذن للذين رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البنا للفاعل
وهو الله تعالى الذين يقاتلون المشركين والماذون فيه محذوف لدلالته عليه
وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التا اي الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب
انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يوذونهم
وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني
لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما
نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر
كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير
حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم · بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المومنين منهم على
الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت
بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس
اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد
ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او للمساجد خصت
تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم
وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شي الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر
الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل
ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه
فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هولاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه
وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو
اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته
كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة

ثم

ثم اخذتهم فكيف كان نكير استفهام انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة
هلاكا والعمارة خرابا وكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير
لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على
سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلق
بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة
عليها بان سقطت وبقيت الحيطان ماثلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على
اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خواها فلا محل لها
ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبير معطلة عطف على قرية اي وكم بير عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها
لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاليه خاوية على عروشها
خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببير بير في سفح جبل بحضرموت وبقصر
قصر مشرف على قلته كان لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه
اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك
فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي
والتذكير بحال من شاهد آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت
عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي
التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل
لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى
افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف
الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه
صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه
حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي

بالبيات من يوم بعده وهو من اهل قرية يحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في
الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها
من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى امليت
لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي
مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والا
قتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه
للمشركين وانما ذكر المومنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله
والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين
فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا
من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين
على انه حال مقدرة اوليك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو
الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبيا بني اسرائيل الذين
كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي عليه الصلاة والسلام علما امته بهم
فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبيا فقال
مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا
وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
يوحي اليه في المنام الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه
ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله
اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال الناس
حكيم فيما يفعله بهم وقيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه
على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم
فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه
الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد

وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولم يحيه

مؤمن

مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه
الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلا يتميز به الثابت على الايمان عن
المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته والقا
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي
عليه الصلاة والسلام وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز
السهو على الانبيا وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين
الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين
في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين
فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضا عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن
الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القران هو
الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقا هو الحق الصادر من الله لانه
مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت
له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم وهو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية
في شك منه من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها
بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او اشراطها او الموت بغتة فجاة
او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا
يقتلون فيه فيصيرون كالعقم او لان المقاتلين ابنا الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما
فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم
تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملايكة فيه او انه يوم القيامة
على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يوميذ لله
التنوين فيه منوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم يزول مريتهم يحكم
بينهم بالمجازاة والضمير يعم المومنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا
وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاوليك
لهم عذاب مهين وادخال الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة
المومنين بالجنات بفضل الله وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال
لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا

في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل
في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل
روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير
الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها
ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل بالعقوبة
ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما
سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر
حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى
مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه
على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على
تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن
ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة
الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله
سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده
فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته او بما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما
وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء
على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه في معنى الالهة
هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالهية وان الله هو العلي على
الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم
تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة استفهام تقرير ولذلك رفع
عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جيتك
فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق

خبير

على العقوبة

خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا له
وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال
منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع
بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته وذلك
يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية
تكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث
هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم ابواب
المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء
اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة
اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه
ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم
بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي
الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها
انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا
للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على
تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا
غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق
الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمتهم الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكفار
بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم
فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض
فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم
مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك على الله يسير ان الاحاطة به واثباته في اللوح
او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على
سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز
عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او الاستدلال

قرئ

المحفوظ

وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع
العذاب عنهم وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على
العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار
لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل
أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم
من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما
هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا وقعت خبرا
او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة
او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق
العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه استماع تدبر وتفكر إن الذين تدعون
من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع
الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع
صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر له
في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين
عليه فكيف اذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد
بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على
خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل
الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا
يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما
يسلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق
قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه
مناسبة إن الله لقوي على خلق الممكنات بأسرها عزيز عن اقلها مقهورة من اذلها

(هامش: او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب صح)

(هامش: لا يغلبه شيء والهتهم التي يعبدونها عاجزة)

الله

الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس
يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته في
الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة
يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب
ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك إن
الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها
ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات
لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها الذين آمنوا اركعوا
واسجدوا في صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا
وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له ساجدين
واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير
واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الا
خلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين
له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود
لقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
وجاهدوا في الله حق جهاده اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ
والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة
تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه
تنبيه على ان المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين
من حرج ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه
ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم
لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل
لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع
لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم
ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف
اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله
اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث

(هامش: فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله صح)

انه سبب حياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان
اولانا كثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين
من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا في القران والضمير لله ويدل
عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن
منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل
وفي هذا بيان تسميته اياكم المسلمين ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم
شهيدا عليكم لانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على
عصمته او بالطاعة من اطاع الله وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على
الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فتقربوا الى الله
تعالى بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله
وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم
ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية
والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى
وفيما بقي سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسعة عشرة اية بسم
الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا باماناتهم وقد تثبت المتوقع
كما ان لما تنفيه ويدل على ثباته اذا دخل على الماضي ولذلك يقرب من الحال ولما
كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش
عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا
على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن
الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون
من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم لما روي انه كان يصلي رافعا
بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو معرضون عما
لا يعنيهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة
اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه
واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا
وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم
للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد ما وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على انهم بلغوا

الغاية

الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما
توجب المروة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول
لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه والثاني على تقدير مضاف
والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي
او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري او انما
قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراده بعد
تعميم قوله لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم
فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون
الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لما يؤتمنون
عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا
ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد من الالتباس او لانها في الاصل مصدر
والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ
الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرار ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي
وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها
وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشانها اولئك الجامعون
لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين
يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما
لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى
وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون
انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة
السلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية
كالاولى والانسان ادم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا
من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه
والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر

سورة المؤمنين مكية

من الاجزاء

تقديره وفي هذا

او لفعل دل عليه غير ملومين

والذين هم عن اللغو معرضون

علا لعنهم من قول وفعل

او المعلوك او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات سبعا لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين

وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم ۞ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام به وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يكون منه ومن للتبعيض او للابتداء وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الا نعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

سفينة بر تحت خدي زمامها

فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم فـ

٢٧٤

ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباينا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ماكلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي
الهة غيره او من دعوي النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة
ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذاك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم
او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك
مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب
وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما
نبع الماء منه اخبرته امراته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي
باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها
فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال الله ما سلككم في سقر من كل
زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرا حفص بالتنوين اي من كل نوع
زوجين واثنين تاكيد وزيادة واهلك واهل بيتك او ومن امن معك الا من سبق عليه القول
منهم اي القول من الله باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام
حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين
ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا
شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم
بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من
القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل
رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره
بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به
ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن
دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر
اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او
ممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هي المخففة من والّلام هي الفارقة ثم انشانا
من بعدهم قرنا اخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح
وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم

وانا

وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملا
من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف
قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الاخرة بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم
ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم
في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة
وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون
حيث اذللتم انفسكم واذا جواب الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من
الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما
طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم او
فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول وحذف لدلالة خبر الثاني
عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات لما توعدون بعد التصديق او
الصحة لما توعدون اي بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك
كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل
وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا
حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى
لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح
بها كقوله هي النفس ما حملتها تحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان
ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض
وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا
فيما يدعيه من ارساله له او فيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم
اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة

اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبرها الاول

موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة
صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا بها واستدل
به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل
من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبهناهم
في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك
فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا من المصادر التي
تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي
عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم
قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها
الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الاجل ثم
ارسلنا رسلنا تترا متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من
الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابو عمرو وابن
كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها
كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل اليهم لان الارسال الذي
هو مبدا الامر منه والمجي الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في
الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر
بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا فبعدا
لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا بالآيات التسع
وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها
لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما
افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات
الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي
عليه الصلاة والسلام الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة
وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق
للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم
يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه
المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل

القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر
في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا
ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد وقومهما لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما
فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة
لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد
اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها
اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية
بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس
فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا
ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر
من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في
الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه
بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع
لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب
لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة
مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى
دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن
له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية
في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة
ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ
من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه
والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا
صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم
عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل
انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على

على الاستيناف وإن هذه أمتكم أمة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة
ونصب أمة على الحال وأنا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا
أمرهم بينهم فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم
منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أو لها
زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة
وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فإنه يتضمن معنى جعل
وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير
مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم
من الدين فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ في
غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا أيحسبون أنما نمدهم به ما نعطيهم
ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فإنه غير معاتب عليه
وإنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع لهم به فيما فيه
خيرهم وإكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا
فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم و
يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبني للمفعول
إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم

من خوف عذابه

المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما أعطوه من الصدقات
وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة أن لا يقبل منهم ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به أنهم إلى ربهم
راجعون لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم أولئك
يسارعون في الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها

يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل الخيرات

كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون إثباتا لهم ما نفي عن أضدادهم
وهم لها سابقون لأجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب
إلى الجنة أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
عاملون ولا نكلف نفسا إلا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف
به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح أو صحيفة

الأعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون
بزيادة عقاب أو نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة
غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ولهم أعمال
خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك
هم لها عاملون معتادون فعلها حتى إذا أخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحترقة إذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
مبتدأه والجملة بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب لا تجأروا اليوم فإنه مقدر بالقول
أي قيل لهم لا تجأروا إنكم منا لا تنصرون تعليل للنهي أي لا تجأروا فإنه
لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي
تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها
والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بأنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء
متعلقة بمستكبرين لأنه بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب
استماعه أو بقوله سامرا أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الأصل
مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر
بالفتح إما بمعنى القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه
والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على
المبالغة أفلم يدبروا القول أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح
مدلوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين من الرسول أو من الكتاب أو من الأمن
من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه
ورسله وأطاعوه أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم
مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء فهم له منكرون دعواه لأحد هذه
الوجوه إذ لا وجه له غيرها فإن إنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه
بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد أم يقولون
به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا وأثقبهم نظرا بل جاءهم بالحق
وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وإنما
قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة

عظمته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق أهواءهم بان كان في الواقع الهة
شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وقيل ولو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام
به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وصار شركا لجاء الله بالقيامة
واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك
والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على
اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم او وعظهم او صيتهم
او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن
ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا
على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته
ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى
غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم
فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي
خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم واعلم
انه سبحانه وتعالى الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان حصر اقسام ما
يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان
خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا في لجاج التمادي في طغيانهم افراطهم
في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى
روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت
فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم
فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي

انشأ

انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا
فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والا
ذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض
خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياده او اختلافهما افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا
تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب
المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم
قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا
انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل
إن هذا إلا أساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه
يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك جمع اسطار جمع سطر قل
لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون
استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما
لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال
سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادي نظر الى الاقرار بانه خالقها
قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء
قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على
الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك
سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام
فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا
به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت
كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور
الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم
لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان
معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على

لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما

وقيل صح

اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما
يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت
كل شي واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد
بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفا قل رب اما تريني ان الشرطية لا بد لامن
تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس ولان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراهم لقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة
ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعا وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط
والجزاء به فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نوخره علما
بان بعضهم او بعض اعقابهم يومنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد
لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر
او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في
مقابلتها لكن بحيث لم يود الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك
وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به
او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع
الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شي
من الاحوال لانه يخاف عليه حتى اذا جا احدهم الموت متعلق بيصفون وما
بينهما اعتراض لتاكيد الاغضا بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله
عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط
فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني
الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله
ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي

من الدنيا والاخرة

في شي
وتخصيص حال الصلاة وقراة
القران وحلول الاجل لانها احرى
الاحوال

تركته

تركته لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه الصلاة
والسلام اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره
والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة
عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى
يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع فيه الى حياة تكون في
الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراة بفتح الواو وبه وبكسر
الصاد يويد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم ينفعهم لزوال
التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلا الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم
ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لانه عند النفخة وذلك
بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه
موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون
لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم
القيامة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من
الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه
اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين
عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم
الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب
لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا
مودية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة
وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها
فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت
هوان فانها ليست مقام سوال من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون
في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين

الى الدنيا لما علم انه لا رجعة
يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع

بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافي
قوله واقبل بعضهم

فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا
فيقولون ربنا اخرجنا فيجابون اولم نعمركم فيقولون نعمل صالحا فيجابون
فيقولون الغاربنا ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا
زفير وشهيق وعوآء انه اي الشان وقري بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني
المومنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي
بالضم وهما مصدر اسخر زيدت فيهما اليا النسب للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزو المضموم من السخرة بمعني الانقياد والعبودية حتي انسوكم
ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزا بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون
استهزا بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم
بمجامع مراداتهم مخصوصين به ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي على
الامر للملك او لبعض روسا اهل النار قال كم لبثتم في الارض احياء او امواتا
في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة
لبثهم فيها بالنسبة الي خلودهم في النار او لانها كانت ايام السرور وقصارا
او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون
من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها
واحصايها او الملايكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقري
العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اي القدما
المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان لبثتم
الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم
عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم
تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب بفتح التا وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك
مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه
في حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم
الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك
وصفه بالكرم او لنسبته الي اكرم الاكرمين وقري بالرفع على انه صفة
الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لاله

لازمة له فان الباطل لا برهان به جي بها للتاكيد وبنا الحكم عليه
تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه
او اعتراض بين الشرط والجزا لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازاه مقدار
ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي الشان وقري بالفتح على التعليل او الخبر
اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المومنين وختمها بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومنين
بشرته الملايكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت
وعنه عليه الصلاة والسلام قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل
الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز
الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر
اتل او دونك او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن
كثير وابو عمرو لكثرة فرايضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها
وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم
وقري بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد
ويجوز ان يرفعا بالابتدا والخبر فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة والفا
لتضمنهما معني الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقريا بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا يا وانما قدم
الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه
ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص
بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي تغريب
الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد ماية وتغريب
عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او مردودا
وللعبد نصف ذلك والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة
في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عليه
الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن

اذ المراد بالمحض الذي يقتضي له من المسلم ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام في نكاح صحيح لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرا ابن
كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد علي فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو
من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل
فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون
حافة حول شي من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع
ما يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الي الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح
والمسافحة لا يرغب فيها الصلحا فان المشاكلة علة الالفة والتضام
والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية
لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن
لان الاية في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن
لينفقن عليهم من اكسابهن علي عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم
ذلك علي المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسو
المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه
بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعني النهي وقد قري به والحرمة علي ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامي منكم
فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك
فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطي فيؤول الي نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو
تابيد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالا
حصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهدا بقوله ثم لم ياتوا
باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق
ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية
والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والا
نثي وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النسا اغلب واشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الادا ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة

خلافا

خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه
واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا اي شهادة كانت
لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك علي استيفا الجلد
خلافا لابي حنيفة لان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا
للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوأ
مما بعده وأولئك هم الفاسقون وعند ابي حنيفة الي اخر عمره وأولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم
بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثنا
راجع الي اصل الحكم وهو اقتضا الشرط لهذا الامر ولا يلزمه سقوط الحد
به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام والاستحلال ومحل المستثني النصب
علي الاستثنا وقيل الي النهي ومحله الجر علي البدل من هم في لهم وقيل الي الا
خير ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور
رحيم علة الاستثنا والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم
نزلت في هلال بن امية راي رجلا علي فراشه وانفسهم بدل من شهدا او صفة
لهم علي ان الا بمعني غير فشهادة احدهم اربع شهادات بالله فالواجب شهادة
احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب علي المصدر وقد رفعه حمزة
والكسائي وحفص علي انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب
وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله علي انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام
تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هنا اللعان
الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه
فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له
فيه وثبوت حد الزنا علي المراة لقوله ويدرا عنها العذاب اي الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتدا
وما بعدها الخبر او بالعطف علي ان تشهد ونصبها حفص عطفا علي
اربع وقرا نافع ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله

تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاءوا
بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك
عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة وذلك انه عليه السلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم
عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد
انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج
فحمله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست
كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء الجيش
فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ مطيته راحلته فركبتها فقادها
حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الا
ربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي ورفاعة بن زيد وحسان
ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي
خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابي بكر
وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم الثواب العظيم
وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الله
الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه
وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدا به
بالمقرح به والذي يحنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان
جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح
مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات لقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل
فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان
يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم
كما يذبون عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه نزل
منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره
وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على ان لا يخلوا وقالوا هذا
افك مبين كما يقول المتيقن المطلع على الحال لولا جاءوا عليه باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول

تقريرا

تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب
الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع
الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم
والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من
بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل
وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من
القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب
وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة
من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم
في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب
العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك
وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح
لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى
نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة
ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك تعجب ممن
يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب
عليه مثله ثم كثر واستعمل لكل متعجب او تنزيه من ان تكون حرمة نبيه
فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون
تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله
كراهة ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع
ومحاسن الاداب كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في
تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون
يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم

في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضماير وانتم لا تعلمون
فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه وتعالى يعاقب على ما في القلوب
من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب
للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه قوله وان الله رءوف رحيم على حصول
فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان وقرا نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر باشاعة
الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر
ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم
بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويويد الاول
انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان
ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال
وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يوتوا على ان لا يوتوا او في ان يوتوا وقرئ
بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ من تعليل المقصود وليعفوا ما فرط
منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم
واحسانكم الى من اسا اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه
روي انه عليه الصلاة والسلام قراها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح
نفقته ان الذين يرمون المحصنات الغافلات عما قذفن به المومنات
بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمومنين كابن ابي لعنوا
في الدنيا والاخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل
هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي ولذلك
قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القران لم تجد اغلظ مما نزل
في افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
لا للعذاب لانه موصوف وقرا حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها
بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ

باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ح

يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين
الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على العقاب
والثواب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه
ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبايث يتزوجن الخباث
وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل
بيت النبي او الرسول وعايشة وصفوان مبرءون مما يقولون اذ لو صدق
لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات والاشارة الى الطيبين من الاقوال
والضمير في يقولون للافكين اي مبرءون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات
اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد
برا الله اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى من قول
اليهود فيه بالحجر ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه الايات
مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير
ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها تستاذنوا من
الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشي اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال
مستكشف انه هل يراد دخوله او يوذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف
الاستيحاش فان المستاذن مستوحش خايف ان لا يوذن له فاذا اذن استانس
او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ادخل
وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له
دخل والا رجع ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة
او على تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم مساء ثم دخل
فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي استاذن على امي قال
نعم قال انه ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال
لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا
ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا فلا
تدخلوها حتى يوذن لكم حتى ياتي من ياذن لكم فان المانع من الدخول ليس
الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك
الغير بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه

الذي

صباحا وحييتم مسا

فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع
واطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة وانفع
لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت
فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس
للمعاملة وذلك استثنا من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع
على عورات قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا
خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير
بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك
جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمومنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
ويحفظن فروجهن بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل
ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشيا كالثياب والخاتم فان في سترها
حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف وما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر
ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم
النظر الى شي منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على
جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابدا
ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة صح ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم صح وقلة توقع الفتنة
من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن ما
يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في
معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتستر عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم
او نسائهن يعني المومنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال

اوالنسا

او نسائهن وللعلما في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاما والعبيد
لما روي انه عليه الصلاة والسلام اتى فاطمة عليها السلام بعبد وهبه لها
وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ
راسها فقال عليه السلام انه ليس عليك باس وانما هو ابوك وغلامك
وقيل المراد بها الاما وعبد المراة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من
الرجال اي اولي الحاجة الى النسا وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي
المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون
شيا من امور النسا وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النسا لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع
او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفا بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال
وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى
الله جميعا ايها المومنون اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف
عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب
بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر لعلكم
تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين من
عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي
للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المودية الى بقا النوع بعد
الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاوليا
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما
واشعار بان المراة والعبد لا يستبد ان به اذ لو استبدا لما وجب على
الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان
او انثى بكرا او ثيبا قال

فان تنكحي انكح وان تتايمي ... وان كنت افتى منكم اتايم

وتخصيص الصالحين
لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح
والقيام بحقوقه ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع
من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل
الله غنية عن المال فانه غاد ورايح او وعد من الله بالاغنا لقوله عليه

الصلاة والسلام اطلبوا الغنى من هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة لقوله
تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع
عليم ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر
ما تقتضيه حكمته وليستعفف الذين لا يجدون وليجتهد في العفة
وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به
وبالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله
فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى
المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما
بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته
مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن
الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة
ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم
فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف
وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر
لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله
الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه
حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي
رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة
كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا وضرب
عليهن الضرائب فشكى بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي
بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء
كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله

الذين صح

ومعنى صح

كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا صح

بعد

٣٨٤

بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن
مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة
فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره
القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الآيات
التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص والكسائي
بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود وموعظة للمتقين يعني ما
وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض
النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات
كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا
المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى
ذو كرم او على تجوز بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب
وما يفيض عليها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس
الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان
النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء
هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك
اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها في توقف الادراك
عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها
بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها
فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة
والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من
فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى
المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن واضافته
الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب
وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة

ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم صح

نورها صح

المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلالي
كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء
فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب
همزته يا ويدل عليه قراة حمزة وابي بكر على الاصل وقراة ابي عمرو والكسائي
دري كشريب وقد قري به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتدا
ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذباله بزيتها وفي
ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا
نافع وابن عامر وحفص بالياء والبنا للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي
وابو بكر بالتا كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بحذف التا لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع
الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او
صحرا واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة
وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى
تشرق الشمس عليها دايما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في
مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد
يضيء بنفسه من غير انارته صفا الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت
عليه الايات المبينات في جلا مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة
المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم
بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق
تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المومن من المعارف والعلوم
بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويويده قراة ابي مثل نور المومن
او تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش
والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي
تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي
تدرك الحقايق الكلية والمفكرة وهي التي تولف المعقولات لتستنتج منها
علم ما لم يعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملكوت
المختصة بالاوليا والانبيا المعنية بقوله ولكن جعلناه نورا نهدي به
من نشا من عبادنا بالاشيا الخمسة المذكورة في الاية وهي المشكاة والزجاجة

والمصباح

حينا بعد حين صح

تحرقها او مقناة تغيب عنها دايما

نار لتلالئه وفرط وبيصه نور على نور متضاعف فان نور المصباح زاد في ... صح

والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها
الى الظاهر لا يدرك ما وراها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة
في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية وانارتها بما
تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية
والمعارف الالهية والمفكرة بالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة
المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها
عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين
والقوة القدسية كالزيت فانها لصفاوتها وشدة ذكايها تكاد تضي بالمعارف من غير
تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية
عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط
احساس الجزئيات بحيث تتمكن من استحضارها لتحصيل النظريات فتصير كالزجاجة
متلالية في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة
الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضي
لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان
العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره
من يشا لهذا النور الثاقب من يشا فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها
تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادنا للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا
والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد
لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بيوت او توقد
في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد
تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المومنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت
وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما
بعده وهو يسبح وفيها تكرير موكد لا بيذكر لان الصفة تلايمها وقيل المساجد
الثلاثة والتنكير للتعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال ينزهونه او يصلون
له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن
اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
وقرا ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال

جية

نبين منتفعة صح

لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد صح

وابو بكر

بايديهم عامه وقرئ بالتا مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا الى اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرا وقيل المراد بالتجارة الشرا فانه اصلها ومبداها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايما بانهم تجار واقام الصلاة عوض فيه الاضافة من التا المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكاة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر وتتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يوخذ بهم ويوتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزا ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشيا لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشا بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا احوالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ما يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمة في ديم يحسبه الظمان ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة فيها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او

للتقسيم

للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الاخرة في بحر لجي ذي لج اي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الما يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح *

والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق لاسبابها الذي له نور على نور ألم تر ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيده بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتها الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع ألم تر ان الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع

على نور هدى

وقرا نافع برواية ورش يولف غير مهموز صح

عظام تشبيه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتديا من السما من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون
من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد
من السما المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس
في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوي وقوي البرد هناك اجتمع
وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى
الاجزا البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا مفرطا فينعقد سحابا
وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب
الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها
واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد
يكاد سنا برقه ضوء برقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة
وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد
وتركيب يذهب على زيادة البا يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما
او بنقص احدهما وزيادة الاخر وبتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور
او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة
على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه
عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب
على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او
ما مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما
يتولد لا عن نطفة وقيل من ما متعلق بدابة وليس بصلة فمنهم من يمشي على بطنه
كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين
كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير
لتغليب العقلا والتعبير عن الاصناف بمن ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشا مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا
ومركبا على اختلاف الصور والاعضا والهيات والحركات والطبايع والقوى
والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شي قدير فيفعل

وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه

ما يشا

ما يشا لقد انزلنا ايات مبينات للحقايق بانواع الدلايل والله يهدي من
يشا بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام
الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق
دعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
في مغيرة بن وايل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول عليه الصلاة
والسلام واطعنا اي واطعنا لهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق
منهم من بعد ذلك من بعد قولهم هذا وما اوليك بالمومنين اشارة الى
القايلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تو من
قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي عليه الصلاة
والسلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة
على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجا فريق منهم الاعراض
اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه
وان يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه
يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض
كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان راوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اوليك هم الظالمون
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم
اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل
عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما
المدعو الى حكمه انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا واوليك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع
ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرى
قول بالرفع وليحكم على البنا للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على
معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرايض
والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من
عمره وقرا يعقوب وقالون عن نافع بلا يا وابو عمرو وابو بكر بسكون الها

من
له
لون
ها

وحفص بسكون القاف تشبيها لتقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم
المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على
الكذب طاعة معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة امثل منها
طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى
عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على
الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه تهتدوا الى الحق وما على
الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما
بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفا متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو
جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه
منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر
والشام بعد الجبابرة وقرا ابو بكر بضم التا وكسر اللام واذا ابتدا ضم الالف
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعدا وقرا ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا
منهم وكان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى
المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فا
ظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة
للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفا الراشدين اذ لم يجتمع الموعود
الموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه
في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من
الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد
ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول في ساير ما امركم به ولا يبعد
عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير

لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة منكم

لا طيعوا

امنا منهم

الامر

الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله
لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض لا تحسبن
يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين اي ولا
يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين مفعوليه او ولا يحسبنهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشي واحد فاكتفي بذكر الاثنين
عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات وماواهم
النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماواهم
النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير الماوى
الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع
الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة
فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد
به خطاب الرجال والنسا غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسما بنت ابي
مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل
وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله نهى اباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه
الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين
لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ
بالاحتلام لانه اقوى دلايله ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل
صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي
من قبل وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلاة العشا لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز
ان يكون مبتدا خبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان
ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان
وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استينافا ببيان

الاول

عطف عليه

الحرج به المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحمل والحيض اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بتكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد عن التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء استقذارا او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت خ

اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في الغزارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على ان بعض

لاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه
وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد
رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض

لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا صح

والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم
بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل
يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا
دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب
او لا تجعلوا دعاءه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه

ربه

مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا
قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال
وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه
ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن
امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول
لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في
الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في
الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر
بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم
الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد
علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه ويوم يرجع المنافقون
اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات
وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي سورة الفرقان مكية

وهي

وهي سبع وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه
على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من
بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا
يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما
سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه ن خ
او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم
رسول الله وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم
جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس
نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة
لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات
والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم
النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا
ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق
كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من
مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهياه
لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر
والتدبر واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك
او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر
الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون
متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة
اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم
ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا
جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه
اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه
بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه
واعانه عليه قوم اخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه

بجبارية وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤوا
ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو
بري منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير
الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على
البنا للمفعول لانه اي واصلها اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل
الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير
فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر
من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجز
عن اخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشيا مكنونة لا
يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما
فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم
ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم
الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش
كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم
على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو
باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق
الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له
جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون
له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون
وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه
ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو
الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال
الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة
خواص النبي عليه السلام والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشوا فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل
لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة لانه خير وابقى
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه

الجزم

الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم عن الحطام الدنيوية وظنوا ان
الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من
المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد
الله لك في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه با
عتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمراى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمراى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى
النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا
صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع
من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها
حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف
المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا
لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم
بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون
هلاكا وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع
كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت
ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب
والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة
والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على
خلودها او التمييز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده
الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها
جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي
الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله

يتمنى منهم كل طائفة بما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل
بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المراد لا يحصل الا في الجنة خالدين حال من احد
ضمايرهم كان على ربك وعدا مسؤولا الضمير في كان لما يشاءون والوعد الموعود
اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او مسؤولا سأله الناس في قولهم
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملايكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه
الالجا الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز
ويوم يحشرهم للجزا وقرئ بكسر الشين وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء
وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه
اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل
ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص
الملايكة وعزيرا والمسيح بقرينة السوال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تكلم
بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين
الخطاب وقرا ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع
وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود
بالسوال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف
صلة الضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملايكة وانبيا معصومون
او جمادات لا تقدر على شي او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق
بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ
من دونك من اوليا للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان
يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البنا للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان
واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اوليا ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة
لتاكيد النفي ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات
حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لالائك والتدبر في اياتك وهو نسبة
للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين
ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا
هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد او جمع بائر كعائذ و
عوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول

والمعنى

والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم الهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم
سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرا حفص بالتاء على خطاب
العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار
والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضا الجزا مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من
المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق الا رسلا انهم فحذف الموصوف
لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم
ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلا ومن ذلك ابتلا الفقرا بالاغنيا والمرسلين
بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضا والقدر
أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر
ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان
ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون
لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة
واصل اللقا الوصول الى الشي ومنه الروية فانها وصول الى المرئي والمراد به
الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الروية على الاول لولا هلا انزل علينا
الملايكة فيخبرنا بصدق محمد عليه السلام وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى
ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا
لها ما يتفق للافراد من الانبيا الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من
ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات
القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية
واللام جواب قسم محذوف وفي الاستغنا بجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم
وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها
يوم يرون الملايكة ملايكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ
تكرير او خبر وللمجرمين ... عام يعمهم وله حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من
تبيين او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل

لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت أخروا ما خاص ومنع
موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بانه هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها
ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقولون الكفرة حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او
هجوم مكروه او تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ
حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك
ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في
كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد
ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم
فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس
يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط في حقارته
وعدم نفعه بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي
كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا
قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الا
وقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة
وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصورة من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما
المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والا
والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا
روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع
وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة
تنزيلا في ذلك الغمام وهو الغمام بصحايف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ
ونزلت وانزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت
له لان كل ملك يبطل ملكه يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين
ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر وصفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان
يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة
وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان كنايات عن الغيظ والحسرة لانها

من

من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي
عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل (آلى صح)
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه
فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال
عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر
فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو
طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني
لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية
عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او
ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس (انس)
للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول
من الخذلان وقال الرسول محمد عليه السلام يومئذ او في الدنيا بثا شكا الى الله
يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه
وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر
فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب ان عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه
هجر واساطير الاولين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقود وفيه تخويف لقومه فان الانبياء اذا شكوا الى
الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا (الى طريق قهرهم صح)
لولا نزل عليه القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة
واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته
لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار (واليه)
بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك (انزلناه)
على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا

وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة واحدة لعيي بحفظه ولعله لم يستتب له فان ال
التلقف لا يتاتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد
تبصر وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون
عن معارضته ازداد ذلك قوة في قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد
حال يثبت به فواده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين
الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر
محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه
جملة واحدة السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا

ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة رح ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب صح

وقراناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين
واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل
في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في
جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال
عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك
في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى
جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب
او مرفوع او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه

على انه خبر مبتدا محذوف صح

هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقيره
مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا
وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالا
ضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه
اخاه هارون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته
في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم
تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء
بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم على التاكيد ب

بالنون

بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا
وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا
كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم
للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التخصيص والتعميم
فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في
جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل
القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا
فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البير الغير المطوية فانهارت فخسف بهم
وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي
فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بير بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار
وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها
من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ
او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت
مغربا فدعى عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا
وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بير وقرونا واهل اعصار قيل
القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا
تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا ا
الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ
ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار
عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا
ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او
لا يأملون نشورا كما يامله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون على اللغة التهامية
واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو
او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر
والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله

صحابة وهم على غاية الانكار تهكموا واستهزوا فلولاه لقالوا اهذا الذي زعم
انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها
بفرط اجتهاده في الدعا الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن
انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد
ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة
على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى
عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار
ام تحسب بل تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم
الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله
حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن
ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في
انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل والمعجزات
بل هم اضل سبيلا من البهايم لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها
عمن يسي اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهولا لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه من اساة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد
حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هولا ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هولا تودي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق
ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهولا مقصرون
يستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى
اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع
الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك
كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر ولذلك وصف به الجنة فقال

صنعه كيف مد الظل كيف بسطه
او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم

وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر

وظل

وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون
بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا
يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس
موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس
لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق
وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها
وقيل مد الظل لما بنى السما بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهتديه فانه
يتفاوت بتفاوتها ويتحرك بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان تنتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند
قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت
والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير الريح على التوحيد على ارادة الجنس نشرا
ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة
والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف
بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا
من السما ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء
والوقود لما يتوضا به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المومن
طهور انا احدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبعا احداهن بالتراب
وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جا للمفعول
كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الما به اشعارا
بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الما الطهور اهنى وانفع مما

الشعاع

تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا
اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع

المايه

فالطه مما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما وسائر الحيوانات تبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احيا الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه من اسقى وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف يا وهي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون يا ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن قسم ذلك بين عباده على ما شا وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانوا كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانوا وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعبا النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفها بالحجج اكبر من مجاهدة الاعدا بالسيف او لان

فالتهم

٢٥٦

مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزا كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الما بشرا يعني الذي خمر به طينة ادم او جعله جزا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسالكم عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شا الا فعل من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوره بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثنا منقطع لكن من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغنا عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحيا الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى

وادغم فيها اليا قبلها م

ودا

فيجري م

حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضا مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى م

غة

نهم

معناه م

فيه بوسعة ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل
عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر
فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشيا على تؤدة
وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدا او لمحذوف ان جعلته صفة للحي
او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فاسئل به خبيرا فاسئل
عما ذكر من الخلق والاستوا عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده
في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله فسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجي ما يرادفه في كتبهم
وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن
لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالبا لتضمنه معنى الاعتنا وقيل انه صلة
خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه
على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي
تامرناه يعني تامرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا
لم يسمعوه وهو قرأ حمزة والكسائي وقرأ الباقون يامرنا بالياء على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم نفورا اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل
في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل
فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ وقمرا منيرا اي ذا قمر

مضيا بالليل وقرئ وقمرا

وهي جمع قمرا ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم
مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي
للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله ويتفكر
في صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد
شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين
من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة والكسائي ان يذكر من
ذكر ولذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدا خبره اولئك
يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص

بمعنى تذكروه

والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا
هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا
شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذا والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه
فان المراد هو الاغضاء عن السفها وترك مقابلتهم في الكلام والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز

في الصلاة

وابعد من الريا وتاخير القيام للروي وهو جمع قايم او مصدر اجري مجراه
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم
لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا
ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم محذوف به
ترتبط الجملة باسم ان واحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة
تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتدا من الله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم
يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير
منع الواجب وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم اليا من اقتر وقرئ
بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به
لاستقامة الطرفين كما سمي سوا لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام
به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان
يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن
وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون الاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا
يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها يعني
حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف اي بلا يقتلون ولا يزنون
نفى عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم
واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة
باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك
يلق اثاما جزا اثم او اثاما باضمار الجزا وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم
ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق

لانه بمعناه كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وابو بكر ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي وعمل صالحا ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا مبصرين لما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذن واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ حمزة وابو عمرو وابو بكر وذريتنا بغير الف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا

بتركها والندم عليها صح

الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة صح

او

او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهو اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك

النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح صح

إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه فظلت أعناقهم لها خاضعين منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله صح وما يأتيهم من ذكر موعظة أو طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه إلى نبيه محدث مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير إلا كانوا عنه معرضين إلا جددوا إعراضا عنه وإصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا أي بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر عنه ضمنا في قوله فسيأتيهم أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة أنباء ما كانوا به يستهزئون من أنه كان حقا أو باطلا وكان حقيقا بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره أولم يروا إلى الأرض أولم ينظروا إلى عجائبها كم أنبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره وكل للإحاطة الأزواج وكم لكثرتها إن في ذلك أي في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد لآية على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان أكثرهم مؤمنين في علم الله تعالى وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام وإن ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن وإذ نادى ربك موسى مقدر باذكر أو ظرف لما بعده أن ائت أي ائت أو بأن ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم قوم فرعون بدل من الأول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك ألا يتقون استئناف أتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيبا له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات إليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وإن كانوا غيبا حينئذ إجراء لهم مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر

وتأمل

وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازديادا الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الأمر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار لقصته المبسوطة في مواضع فأخاف أن يقتلون به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة فإن ذلك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم وردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته إنا معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ❊ بسر ولا أرسلتهم برسول ❊

ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل به أو لأنه أراد أن كل واحد منا أن أرسل معنا بني إسرائيل أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام قال أي فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك ألم نربك فينا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم

خوف التكذيب ٢

كذلك

كأنه

والمهارم

في منازلنا ٢

ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين
ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه
به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فِعلتك بالكسر لانها قتلة
بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن
فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان
يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة
او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين
وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد
قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله
ان تضل احداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة
وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما امتن
وعده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه
على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان
عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة
تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك
وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي
ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او
النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف
بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها
وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار كان منه ومن ملائه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك
شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات
والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر
الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء
شيا محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير
احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر
الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغنا
بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته

قال

قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم
افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم
فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند
التامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اساله عن شيء ويجيبني عن
آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون
كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى
المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم
ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل
مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد
عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه
الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى
غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة
من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في
هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين
اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين
الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال
وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان
لك بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الما فانثعب
اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما راى
الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال ما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها
ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله
فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية
الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن
ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون
عليه في هذا الفن واماله ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر عليم

فائق في علم السحر

السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى
من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع
حثا على مبادرتهم كقول — لهم

تأبط شرا: هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع
ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق
الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر
والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا اذ على ما تقتضيه من الجواب والجزاء
وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد
ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط
اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه
عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او
افكهم تسمية للمافوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى
بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر
في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوه لم يتمالكوا انفسهم وكانوا
اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا
برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهارون
ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه
على ايديهما قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطاتم عليه
اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم امنوا على بصيرة وظهور حق
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وروح اامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال
ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان
له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان
الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب

الموت

الموت وذلك انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا
لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل
ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس
وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي — ان
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يد
الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرا نافع وابن
كثير ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم
حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم
الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه
عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين العساكر
ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقللهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت
مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم
لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا
لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون من عادتنا الحذر و
واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى
تحقق ما يدعو اليه المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرا ابن عامر
والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي
في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ بالدال حادرون
اي اقوياء قال: احب الصبي السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو
او قاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا
داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم يعني المنازل الحسنة التي كانت لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك
فيكون خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى
كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون
وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم
قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة

عوهم

وانا لجمع

من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل

رون

حادره

او مدججون في السلاح

والمجالس البهية

وقرئ فاتبعوهم

واحد

سيهديني طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون بين يدي موسى فقال امرت
بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم
او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان
كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل
سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم
مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه
واتل عليهم على مشركي العرب نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم
وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم
تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم
الجواب ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او
نفع والتجاوا الى التقليد قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الا
قدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم
عدو لي يريد انهم اعداء العابدين لهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق
ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو
الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح
واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى للقبول وافراد العدو
لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع
او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله
الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش
والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا

عن دعائكم صح

إيجاده

قال

وقوله

ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبداها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية
الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول
مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم
الخلق واستمرار الهداية والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الاول مبتدا
محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما
من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم
ينسب المرض اليه لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة
اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته
وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة
الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحصل
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا
وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان
يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا
لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله
كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي
حكما كمالا في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين
ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم
كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت
في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون
عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم
اليه وهو محمد عليه السلام واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر
معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين
طريق الحق وان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان
تقية من نمروذ ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار

ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اي اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العقاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلال متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جا

[هامش: قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله يستنطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله]

[هامش: كما للمؤمنين]

[هامش: في العادة]

[هامش: ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق صح]

في النظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسالكم عليه على ما انا عليه من النصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجري في الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنهم وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا

[هامش: لغته]

[هامش: الدعاء]

[هامش: بكثير]

٢٠٦

فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المومنين من قصدهم او شوم عملهم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو ثم اغرقنا بعد بعد انجايه
الباقين من قومه ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو
في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعا الى
معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان
الانبيا متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرين عن المطامع
الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا
يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الما وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين
متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله
بترك هذه الاشيا واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم
تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار
في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سوا
علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق
النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق
الاولين اي ما هذا الذي جيتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا الا خلقهم نحيا
ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق
بضمتين اي ما هذا الذي جيت به الا عادة الاولين وعادتهم وتحريهم
او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح
صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال صح

كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين صح

كذبت

كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما ههنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله
اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل
طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمرة او لان النخل انثى وطلع اناث النخل
الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر
من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على ساير اشجار الجنة او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي الانقياد للامر لامتثال الامر او
نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم
ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا
انما انت من المسحرين الذين سحروا واغلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرية
من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعايه كما اقترحوها
لها شرب نصيب من الما كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم
ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها
انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من
حلول العذاب وانه قريبا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم كذبت قوم
لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون
الذكران من العالمين اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن
قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث
او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون
ذلك بنسايهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث
زادوا على ساير الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك
او احقا بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لين لم تنته

بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين صح

عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب صح

لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايما بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان صح

يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالابعاد وهو ابلغ من ان يكون يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شومه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين وكان شعيب اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ايكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط فنعلاس بتكرير العين والا فنعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصا

دقين قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل عليكم مما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد عليه السلام فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد عليه السلام ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم متعلق بتكن حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة خبر كان ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون

تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين صح

للدلالة

اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما

والاعجمين صح

بآياته فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا أفبعذابنا يستعجلون
فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب
النظرة أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم
ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه
وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أنذروا أهلها إلزاما للحجة ذكرى
تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع على
أنها صفة منذرين بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر
محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الإنذار
وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشيطان على
الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح لهم أن ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
إنهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لأنه مشروط بمشاركة في صفاء
الذوات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين تهييج
لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين وأنذر عشيرتك الأقربين الأقرب
منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم
مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا
أراد أن ينحط ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض
على أن المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان فإن عصوك ولم يتبعوك
فقل إني بريء مما تعملون مما تعملونه أو من أعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على
قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ ابن عامر ونافع
فتوكل على الإبدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم إلى التهجد وتقلبك في الساجدين
وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك
الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود
والقعود إذا أممتهم وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته
وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه

بذكر الله
وصنعه

انه

إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل أفاك أثيم لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن
بين أن محمدا عليه السلام لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما أنه إنما يكون على
شرير كذاب كثير الإثم فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد
وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع وأكثرهم كاذبون
أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم
فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث الكلمة
يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد فإنه
أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد تطابق كلها وقد فسر الأكثر بالكل لقوله
كل أفاك والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم
فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا فيختطفون
منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم
كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور
فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون وأتباع محمد عليه السلام ليسوا
كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون
لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل
والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون
ولعله لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت
به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن
لهما ومضادة حال الرسول لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد
وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله
كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون
ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا
هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لهم اهجوهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد
عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما
في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون
أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلا أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه

يقول لحسان قل وروح القدس
معك وعن كعب بن مالك انه عم

وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد عليه الصلاة والسلام

سورة النمل

سورة النمل وهي ثلاث واربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة
الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو يبينه
للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او
القران وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران
كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمومنين حالان من الايات
والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين
يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة
وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير
النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية
كانه قيل وهولاء الذين يومنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان
تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص
ان الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب
المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك
الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون
اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران لتوتاه
من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم
العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هي
حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم
شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني انست نارا اي اذكر
قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق
لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل
والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطا او آتيكم بشهاب قبس

شعلة

شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون
ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل
الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم
يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على
عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفيوا بها والصلا النار العظيمة فلما جاءها
نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية
او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان لا تفي التعويض بلا وقد او السين او سوف لانه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو
البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة
المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبيا وكفاتهم احيا وامواتا
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله موسى فيها وقيل المراد موسى والملايكة الحاضرون
وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار
الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع
كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته
يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره
والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد له ان يظهره يريد انا
القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله
بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار
وان الق عصاك ويدل عليه قوله ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله فلما راها تهتز
تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جان على لغة من
جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه
قوله يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون
حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم
عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني
غفور رحيم استثنا منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن
كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به
من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض بموسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم
بدل مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل

ولم يعقب لانه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب
اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على
ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع
ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب
في تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى
الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال
فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول
اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما
يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي
او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان
بان واستقصارا باعلى العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان
علما طايفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما
وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس
الفضل ولم يعتبرا دونهما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض
على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل
على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك
بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من
عظايم ما اوتيه والنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا
كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه كقولهم نطقت الحمامة
ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث
انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف
الاغراض بحيث يفهمها من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع

صوت

عطف بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعم كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد

او التسع

صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن
ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويرقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل
عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في
علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة السياسة والمراد
من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم
يوزعون يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل
واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من علو او لان المراد
قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي
قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم
مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه
ذلك مخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله
فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن
التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك هاهنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب
له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم
يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمان
والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها
الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال
توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي
اي اكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح
ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او
تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه ترجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل
صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه
حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا
شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده

قواعد

ايها

والنعمة عليه

في قصص ولا بحجة ليعتبر بها ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرا ابن كثير او ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرا عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حاله وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبإ وقرا ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة وقنبل بهمزة ساكنة بنبإ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فراى هدهدا واقعا فانحط عليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجايب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشيا اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت من كل شي يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من قبايح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرا الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للندا ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله

وقالت الا يا اسمع بعظك بخطة ۞ فقلت سميعا فانطقي واصيبي

وعلى هذا صح ان يكون استينافا من الله تعالى او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود

في

في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء الا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشا فانه اخراج ما في الشي بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ۞ ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها ۞ يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين مومنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذايل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضايل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعا للتقليد فان القا الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة الدالة قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري الفتيا واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا اي ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية

أفسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك وروي انها بعثت منذر ابن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق واخبر بما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف اليا فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه وقرا نافع وابو عمرو وحفص باسكان اليا وباسقاطها الباقون بالياء خير مما آتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة او يختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا

برضاها

برضاها قال عفريت من الجن خبيث مارد بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر عليه السلام او جبريل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شي فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما راه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسرا ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من اليا ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقا عليه الابواب موكلة عليه الحراس ام تكون من الذين لا يهتدون اليهما فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه وعطفوه

واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها

علي جوابها لما فيه من الدلالة علي ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذاك عرشها
تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا علي الا
نبيا اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه
لم نزل علي دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك
شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن
التقدم الي الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم
كافرين وقرئ بالفتح علي الابدال من فاعل صد علي الاول اي نشوها بين اظهر الكفار
او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض
واجري من تحته الما والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه
فلما ابصرته ظنته ما راكدا فكشفت عن ساقيها وقرا ابن كثير برواية قنبل سأقيها
بالهمزة حملا علي جمعه سؤق واسؤق قال انه اي ما تظنينه ما صرح ممرد مملس
من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان
فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما
امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا
الي ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون علي اتباعها
البا فاذا هم فريقان يختصمون ففاجوا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر
فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة
فتقولون ايتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتوخرونها الي نزول العقاب
فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله
لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشامنا بك وبمن معك
اذ تتابعت علينا الشدايد او وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم قال طايركم
سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السرا والضرا والاضراب من بيان طايرهم الذي
هو مبدا ما يحيق بهم الي ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط
تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعني والفرق بينه وبين النفر انه
من الثلاثة او السبعة الي العشرة والنفر من الثلاثة الي التسعة يفسدون في
الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي
قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد

لنبيتنه

تزوجها او ج

لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرا حمزة والكسائي بالتا علي خطاب
بعضهم لبعض وقرئ بالياء علي ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث
لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل
المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جا مصدرا
كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصا
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشي غير المباشر له عرفا او
لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رايت ثم رجلا بل رجلين
ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم
لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا
زعم انه يفرغ منا الي ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا
الي الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا
ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فكان ان جعلت ناقصة فخبرها
كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العايد وان
جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح علي انه
خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوي البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوي النجم اذا سقط وهي
حال عمل فيها معني الاشارة وقرئ بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا
بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا
صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل
علي الاول وظرف علي الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها
من بصر القلب واقتراف القبايح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض
لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش اينكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النسا بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة علي قبحه والتنبيه
علي ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النسا اللاتي
خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها
لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في
معني المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم

دقون

انهم اناس يتطهرون ويتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على
كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار
من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه
ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا
او لوطا بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش
والنجاة من الهلاك الله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم اذ
من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل
خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن خلق السموات والارض
التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل
من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن
الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية
المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار
اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق
وهي الاحاطة االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق
والتكوين وقرئ االها باضمار فعل مثل تدعون او تشركون وفي توسيط هذه بين
الجملتين واخراج الثانية بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها
من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها
اوساطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا
مر بيانه في الفرقان االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن
يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا الى الله من
الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم
منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوؤه ويجعلكم خلفاء
الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم االه مع الله الذي
حفكم بهذه النعم الخاصة والعامة قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا

قليلا

قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو
وروح بالياء وحمزة وحفص والكسائي بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات
البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى
البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلما وعميا الذي لا منار لها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري
في تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها الهوا فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق
الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب االه مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله
عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤا الخلق
ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن
يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية االه مع الله يفعل
ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في
اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه
ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها
من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والا
من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى
ينشرون مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة
بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو
مالهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم
من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك
منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال
بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما
يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لان تلك غايتها التي عندها المعدوم وقرا ابن عامر ونافع وحمزة والكسائي

اي في الارحام من نطفه

رض

وحصص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين
وادارك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبل ادّرك وام ادرك وام تدارك
وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم
وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار وقال الذين
كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما
دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة
من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث
او من حال الفنا الى حالة الحياة وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرا ابن
عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث
وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب
وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا
للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج
صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيّق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم
فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين
قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى
فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد
الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفاضلة
والفضل والافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون
حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك
فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة
والتاء فيهما للمبالغة كما في قوله الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية
الا في كتاب مبين بيّن او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الا

ستعار

ستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم يقضي بين بني اسرائيل بحكمه وهو العزيز
فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى
تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا
وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرا ابن
كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر
وقرا حمزة وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن
بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع
القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا
لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب
وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل
عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة
سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا بآياتنا خروجها او آخر الهافانها من آيات الله
وقيل القرآن وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى
قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل
امة فوجا يعني يوم القيامة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين
ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها
بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب لها وعدم القاء الاذهان لتحققها
اماذا كنتم تعملون ام اي شي كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا
غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول
عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب
ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب

بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه جمع حكمة صح

المعرفة التي تحقق لهم التوحيد وترشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب
النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من
قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد
الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معايشهم ومعادهم لا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه
فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور في الصور
او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع
من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا
من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهدا وقيل موسى لانه صعق مرة
ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون
الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين
وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت على سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها
صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي
اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الا
فعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت
له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية بواحدة وقيل خير منها اي خير
حاصل من جهتها وهو الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء
وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق
الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظايم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرا الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن
يعدى بالجار وبنفسه لقوله افأمنوا مكر الله وقرا الكوفيون ونافع يومئذ
بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم
في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي
في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح

لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم

احوال

احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيما
لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقا
دين الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي
حقايقه في تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى
باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عايدة اليه ومن ضل
بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا
البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به
سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الآخرة
فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما
تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية وقيل
الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو
عليك نقرؤه بقراءة جبريل عليه السلام ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى
وفرعون بعض نبئهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم
المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف لذلك البعض والارض ارض مصر
وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته
او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة
كيلا يتفقوا عليه يستضعف طايفة منهم وهم بنوا اسرايل والجملة حال من
فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل يذهب ملكك
على يديه وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب
فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترى على قتل خلق كثير من اولاد الانبيا
لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل
عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم مقارنة

سورة القصص مكية

٤١٤

دين

للبيان صح

سين

الاولى

الى الارض

الارادة للاستقبال مقارنة المراد بهم له لجواز ان يكون تعلق الارادة حينئذ
تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان
يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان
في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان
يجعل للشي مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما
بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه
ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه
وجاعلوه من المرسلين روي انه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى عليه السلام على الارض هالها نور بين
عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية ثلاثة
اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته
في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما
هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا حمزة والكسائي حزنا
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شي فليس ببدع منهم ان قتلوا
الوفا لاجله ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان
الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا
وقالت امرات فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك
هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة
برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه
فبريت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا
تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل
النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء
بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين
او القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على
ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا

في تفحصها صح

صفرا

صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله
وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتبوح به اي بامره وقصته من فرط الضجر
او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى
اجرا للضمة في جاره مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط له
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره
وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه
وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع
من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من
قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له
ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه
واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون
بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها
استانس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها
واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي
تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد
علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين
واستوى قده او عقله آتيناه حكما وعلما اي بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم
قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة
لانه استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي
المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصرا آتيا من قصر فرعون وقيل
منف او حابين او عين شمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت
لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين

لتظهره صح

سمعتها

المراجعة صح

العشا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرايل والاخر من مخالفيه وهم القبط
والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى
فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه موسى اي فضرب به صدره فقضى عليه
فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من
عمل الشيطان لانه لم يومر بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيهم فلم يكن
له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطا وانما عده من عمل
الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت
منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله
فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم
بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي
بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك
علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياك
فلن استعملها في مظاهرة اعدايك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد
الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من
الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل
وتقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي
لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعدا بني اسرايل قال يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله له الاسرائيلي انه
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن
ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملايه فهموا بقتله فخرج
مومن من ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من
المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان

لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه
او القبطي وكان توهم من قوله انه الذي
قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي صح

وليس

وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة
خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين
ابن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف
الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في
الاخريين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بير كانوا يسقون منها وجد عليه
وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد
من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الما كيلا
تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعا يصرف الرعا مواشيهم عن الما حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول
لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرا ابو عمرو
وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعا بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ
كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة
عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال
او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت
بيرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت
الي لاي شي انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج
سايل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت
فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر
على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى
منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفرا وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا جزا سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها
ليتبرك برويه الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه
طعاما فامتنع منه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشي لم يحرم
اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
يريد فرعون وقومه قالت احداهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره
للرعي ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل شايع يجري مجرى الدليل على انه

اشعر حقيق بالاستيجار كانه فيه جعل خبرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على
على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت
اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني
اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ان تاجر نفسك مني او تكون
لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث
باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه
من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعا العقد لا نفسه فلعله
جرى على اجرة معينة ومهر آخر وعدله ان يوفي الاخر ان تيسر له قبل
العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد
ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء
الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك
في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة
ولين الجانب والوفا بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني
فيه قايم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان
علي لا تعتدي علي بطلب الزيادة على الثمان فكما لا اطالب بالزيادة على العشر
لا اطالب بالزيادة على الثمان او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك
لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضا من ان يقال ان
قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما * علي من الغيث استهلت مواطره *

وايما الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت
عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد
حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين
ومكث بعد ذلك عندهم عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر
من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر
خبر الطريق او جذوة عود غليظ سوا كان في راسه نار او لم يكن قال كثير

* باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر *

وقال

* والقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها *

ولذلك بينه بقوله من النار وقرا عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم
تصطلون تستدفئون بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الواو

الايمن

الايمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل
من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى
اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في
المقصود وان الق عصاك فلما راها اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما راها
تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه
لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب
واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخايف الفزع بادخال
اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر
وهو ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز
ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من
حال الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب
اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بفتحهما وقرا
حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدد
ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة
للمراة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هارون هو افصح مني لسانا فـ
ارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرا نافع
ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف
ان يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق
القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب
وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال
سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة
اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا
متعلق بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون

بها او

اي مفتعون او تسحر جوابه لا يفلحون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون يعني انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبله مثله او سحر تعمله ثم تفتريه او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في اباينا الاولين كاينا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السما يمكن الترقي اليه واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا اترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير الاستحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ايمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية

مثله

يترصد

يا محمد

لقوله

كقوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعنا للاعنين يلعنهم الملايكة والمومنون ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصاير للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرايع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مكان موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي اليه ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمومنين به تتلو عليهم تقراه عليهم تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقريت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسماية وخمسون سنة او بينك وبين اسماعيل على ان دعوة موسى وعيسى مختصة ببني اسرايل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها المجاب بها والفا تشبيها لها بالامر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفا المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجيهم العقوبة والجزا

مقام

اوعلى الوحي اليه

كانت

٤١٨

والمعجز

محذوف لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا
ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك
اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فلما جاءهم يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد البيضا والعصا وغيرها اقترا
وتعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابنا جنسهم في الراي والمذهب
وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد باظهار تلك الخوارق او
بتوافق الكاذبين قالوا ساحران يعنون موسى وهارون او موسى ومحمد عليهما
السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكاذبين وقرا الكوفيون
سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة
على سبب الاعجاز وقرى اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكليهما
او بكل الانبيا قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى
واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد اتبعه ان كنتم
صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت
ولعل مجي حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه
الى الدعا وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعا غالبا كقوله
* وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو تبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى
النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالا
نهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال
ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح
بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب من قبله
هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وهم اربعون من اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران
كالمستكن في به واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله انه الحق من ربنا
استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف اخر للدلالة
على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره في

الكتب

الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران وتلاوته عليهم باعتقاد
صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم
بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين بالقران قبل النزول وبعده
او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعون
بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا لهم ودعا لهم بالسلامة
عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من
احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام
وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر
جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها
لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند
الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحرث
ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك
على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من
ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما
ذا امن بحرمة البيت الذي تتناحر حوله العرب وهم امنون فيه يجبى اليه
يحمل اليه ويجمع فيه وقرا نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شي من كل اوب رزقا من
لدنا فاذا كان حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا
الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على
المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس
وانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى
اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم
من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من
شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم
وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها

او على الايمان به

لتوكلك ويعطي معيشة او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى
كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا في
اصلها التي هي اعمالها لان اهلها تكون افطن وانبل يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة
وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في
الكفر وما اوتيتم من شي من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون
وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه
من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلوا
الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرا ابو عمرو باليا وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه
بالفا المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب
بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيامة
من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرا نافع في
رواية والكسائي ثم هو بسكون الها تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه
الاية كالنتيجة ولذلك رتب عليها بالفا ويوم يناديهم عطف على يوم القيامة
او منصوب باذكر فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمون
انهم شركاي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول
بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ربنا هولا الذين اغوينا اي هولا الذين اغويناهم فحذف الراجع
الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو
استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا
ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة
على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرانا اليك منهم ومما
اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف
وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواهم
وقيل ما مصدرية متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا
شركاكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة
ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون بوجه من الحيل يدفعون
به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسال اولا

وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود

للتي قبلها

وغيره من ايات الوعيد

عن

عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبيا فعميت عليهم الانبا يومئذ فصارت الانبا كالعمى
عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانبا لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما
يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره
والمراد بالانبا ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله فما ظنك بالضلال
من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفا فهم لا يتساءلون لا يسال
بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب
من الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين
عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح
وربك يخلق ما يشا ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير
كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق
فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها
وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف
ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار
الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه
احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه
به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون
كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا
هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المومنون
في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضا النافذ في
كل شي واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دايما
من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيامة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغاير من اله غير الله ياتيكم بضيا
كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره الهة وعن ابن كثير بضيا بهمزتين
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة باسكانها في وسط السما او تحريكها على مدار فوق الافق
من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال

جعل لكم

ولعله لم يصف الضيا بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا
كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون
وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا
من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله
في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شي اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول
لتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي
وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه
فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق
لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضايع ما كانوا
يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
ابن لاوي وكان ممن امن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره
او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرايل او حسدهم لما
روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وانا في غير شي الى متى اصبر واتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزاينه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة
خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن
ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال
اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا * ولذلك قال
الله تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى
فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتاك الله من
الغنى الدار الاخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة
اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها
اخرتك وتاخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم
عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد

في

ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على
منوي من جنس المعطوف والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي
كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدليل القراءة بالنون يمشون
في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد
ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق
الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله
فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن
والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته
وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم
وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا
ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سوالهم من حيث المعنى
باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا
بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف
وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم
احقاء بان ينتظر هلاكهم او لان الملايكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر
وعنه من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مكية وهي ثلاث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر
بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير
والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك
فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة
واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
فموح اليك ما تصلح به ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان

سورة الاحزاب

انا الوا وصيه الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير فكانه يكفيهم فيه فتهاعنك وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لادائه الى التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد والمراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرا ابو عمرو واللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظاهرون تتظاهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من التظهر ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن فيما تعمدت قلوبكم فيه الجناح

في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع

وتعديته

ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق اللسان

الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالات في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا عليه السلام تعظيما له وتكريما لشانه واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او موكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له ليسال الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياه تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة

من عند انفسهم

او صلة لأولى اي اولوا الارحام

والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا
لم تروها الملائكة لانه سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج
اليهم في ثلاثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر
لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم ريحا باردة
في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم
وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب
العسكر فقال طلحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء
اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاءوكم بدل من
اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق قريش ومن اسفل منكم واذ
زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب
الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس
الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا
الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء
دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنا
فقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد
اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو
وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر
المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع
وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا
قيل قاله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر
ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي
واتباعه يا اهل يثرب اهل مدينة يثرب وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة
في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم هاهنا وقرا حفص بالضم على انه مكان
او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على
دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا
ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة
غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا

اختلت

روي انه عليه السلام لما

من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش صح

اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي ما
يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او
بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين
عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم
سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرا الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا
يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله
مسؤلا عن الوفاء به مجازا عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او
القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء
وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة
فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضرر
عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم
الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او باسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
ومعناه لا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة
عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع
شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه
او كدوران عينيه مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات
الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد
او اللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع

وليس بتكرار لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله
اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هولاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا
وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية
يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون
بين الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم
ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد
او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها
هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم
الاخر اي ثواب الله او لقاءه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل
هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها والرجا يحتمل الامل والخوف
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان الضمير
المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجا كثرة الذكر المودية الى ملازمة
الطاعة فان المتوسي بالرسول من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع
او عشر وقرا حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر
صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار
الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله
ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال
لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه
نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب
النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر
الشهادة كعثمان وطلحة رضي الله عنهما وما بدلوا العهد ولا غيروه
تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم

(هامش: لما راهم صح)

(هامش: سيشتد الامر عليك باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام هو)

وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل
النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفا العاقبة الحسنى والتوبة
عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله
قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا
الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي
ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم
الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتاسرون فريقا وقرئ بضم السين
روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها
الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير
الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال تنزلون
على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي
ذراريهم فكبر النبي عليه السلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم
حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه السلام جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله
عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها
كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على
كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن
المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سالنه
ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعائشة رضي الله عنها فخيرها
فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك
فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لا
رادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد

(هامش: لهم صح)

والحسن ومالك واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة رضي الله
عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن
كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف
في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع
على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير
وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن
اي مثليه لان الذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن
التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ويدم على
الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها
مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه السلام بالقناعة وحسن
المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا على لفظ من ويؤتها على ان فيه
ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن بالقول
فلا تجئن بالقول خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه
مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع
عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة
وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت
اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن
في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في ايام
الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه
ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق

منهن اقبح فان زيادة قبحه يتبع زيادة فضل المذنب

تعرض

تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء رضي الله عنه
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة
وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم
من المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير
عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما
روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود
فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فادخلهما
فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب
ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما
شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا
على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما
يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح
ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم
الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين
لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في
مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم
مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية
وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير

ثم جاء علي فادخله

فنزلت وقيل لما نزلت فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين
على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤ
منات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله وذكر
الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة
من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث
انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصا
وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب
وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن
ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام فقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها
ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان
كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال
ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها
ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر
كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر
بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول
لسائر نساء النبي عليه السلام ان الله تعالى تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن

وقيل

ما صح لمؤمن

وقيل كان السبب في خطبتها ذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج
وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله
امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه
فروض العساكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل
من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح
لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا
الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي
ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا
مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله ولكن رسول
الله ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة
عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم
يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح
ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده
لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس
والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهو
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان
اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملا
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة
المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل
الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف
الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين

وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر
وكل رسول
كما قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
دين
ئكته

ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمومنين رحيما حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملايكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقايه عند الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة واختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة وتقتبس من نوره انوار البصاير وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على ساير الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة ومواخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المومنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفا به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا ان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي بضم التا والف بعد الميم فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتا او على انه من الاعتدا بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا للنطفة وفايدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق

بما

ريثما تمكن الاصابة كما يوثر في النسب يوثر في العدة فمتعوهن اي اذا لم يكن مفروضا فان الواجب للمفوض لها نصف المفروض دون المتعة وان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطايها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرايب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقا وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مومنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقايل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرى ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المومنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر موكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرايط العقد ووجوب القسم

الموت او

ويجوز ان يوول التمتع بما يعمها والامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة

علام

ح

انه
والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها كيف ينبغي
ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو
خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المومنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد
التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس
اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج
ترجي من تشا منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشا وتضم
اليك وتضاجعها او تطلق من تشا وتمسك من تشا وقرا حمزة والكسائي وحفص
وترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة
فلا جناح عليك في شي من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما
اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لانه حكم كلهن فيه سوا ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك
وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمين نفوسهن وقرئ تقر بضم التا
واعينهن بالنصب وتقر بالبنا للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب
تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النسا بالياء
لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتا من بعد التسع وهو في حقه
كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لا يحل له نكاح اخرى
ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير
وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله
ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراة
فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النسا من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت
يمينك استثنا من النسا لانه يتناول الازواج والاما وقيل منقطع وكان الله
على كل شي رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا
تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الا وقت ان يوذن لكم او الا ماذونا
لكم الى طعام متعلق بيوذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه
لا يحسن الدخول من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه
غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر

من تشاء

على الطعام

صفة

صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند
البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادركه
ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم
كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه
مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير
الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث بعضكم بعضا
او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا
او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يوذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى
اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق
يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج
وقرئ لا يستحي بحذف اليا الاولى والقا حركتها على الحا واذا سالتموهن
متاعا شيا ينتفع به فاسالوهن المتاع من ورا حجاب ستر روي ان عمر
رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المومنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض
اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة رضي الله عنها فكره النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
الموسوسة وما كان لكم وما صح لكم ان توذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم
يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله
عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير
نكير ان ذلكم يعني ايذاه ونكاح نسايه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه
تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد
عليه فقال ان تبدوا شيا او تخفوه لنكاحهن على السنتكم او تخفوه في
صدوركم فان الله كان بكل شي عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم
مع البرهان مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابايهن ولا
ابنايهن ولا اخوانهن ولا ابنا اخوانهن ولا ابنا اخواتهن استثنا لمن لا
يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الابا والابنا والا
قارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من ورا حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم
والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابايك ابراهيم

ج

النفسانية

لنكاحهن على السنتكم

المقصود مع البرهان

وأسماعيل وإسحاق والجد لأنه ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفا لأبنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء وقيل من الإماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما أمرتن به إن الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية إن الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا أنتم أيضا فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك أيها النبي وقيل وانقادوا لأوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لأنه في العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا إن الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز إطلاق اللفظ على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله أبعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الإيلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ظاهرا قيل إنها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في أهل الإفك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك أدنى أن يعرفن يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف إيمان وقلة ثبات أو فجور من تزلزلهم في الدين أو فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الإخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما

يصيبهم

يصيبهم فيها في المدينة إلا قليلا زمانا أو جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضا أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب من قوله أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد أي سن الله ذلك في الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لأنه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء أو تعنتا أو امتحانا قل إنما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا نارا شديدة الإيقاد خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال إلى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فأظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمها الله كما مر في القصص أو اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا

وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي صح

عليهم

أحله للمتعنتين

وتقلب صح

منه لا صح

الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير
للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى
انها لعظم شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك
لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة
قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث
لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار
الاغلب وقيل المراد بالطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها
الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والا
متناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته
فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير
وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة
وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله
وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد
بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
وباباهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته
واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على
القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من
حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد
اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا
رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب
القبر

سورة سبا مكية وقيل الا ويرى الذين اوتوا العلم الآية

خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته
وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا

من

سورة سبا مكية

امانة

من عطف المقيد على المطلق وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون
بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي احكم امور
الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع وينبع
في آخر والكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء
والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو
الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق
هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء
استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب
تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه
وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع
وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء
ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال ذرة و
المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه
اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت خارجا عنه لظهوره على
المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا
في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرا
ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز
من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا
العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب
الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدا
والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولي
العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم
اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط
العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا

فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية

في اللوح صح

عن الايمان صح

قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفي خلق جديد انكم تنشئون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق
بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعاملها محذوف
دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه
وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول
كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل
بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة
جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترا غير
معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون
عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافترا اخص من الكذب بل الذين لا
يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات
لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه
وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ
للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به
على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال
قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افترا وهذيانا وتهديدا
عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم
اشد خلقا ام هي وانا ان نشا نخسف بهم الارض لتكذيبهم بالايات بعد
ظهور البينات وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا
بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لدلالة لكل عبد
منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره ولقد اتينا داود
منا فضلا اي على سائر الانبيا وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج
فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي
معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته بها
او بحملها اياه على التسبيح اذا تامل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من اتينا
بتقدير قولنا او قلنا والطير عطف على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية
او على فضلا او مفعولا معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره

والمعنى صح

٧ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع صح

وكان

بلغ

وكان الاصل ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل
بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبريا سلطانه
حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها
والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشا من غير احما وطرق
بالاته او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات
دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد
وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا
فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده
قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير لداود واهله اني بما
تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح
بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر
جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا
له عين القطر النحاس المذاب اساله الله من معدنه فنبع منه نبوع الما
من الينبوع ولذلك تعطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من
باذن ربه مبتدا وخبر ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة
سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له ما
يشا من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها
وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبيا على ما اعتادوه من العبادات ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد
اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية وهي من
الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
لعظمها اعملوا ال داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا
له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على ادا الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر
اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى
نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي
على سليمان ما دلهم على موته الا دابة الارض اي الارضة
اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الرا وهو تاثر الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل

سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه صح

من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة صح

٤٣٧

الث القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا **تاكل منسأته** اي عصاه من نسأت البعير
اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير
قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاه ومن سأته
اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة **فلما خر تبينت**
الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم **ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في**
العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع
فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر
ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام
فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو
متكي عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت
موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث
عشرة سنة وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبا** لاولاد سبا
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وقلب همزته الفا ولعله اخرجه
بين بين فلم يوده الراوي كما وجب **في مساكنهم** في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها
مارب بينها وبين صنعا مسيرة ثلاث وقرا حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر
حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع **اية** علامة دالة على وجود الصانع المختار
وانه قادر على ما يشا من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسي معاضدة للبرهان السابق
كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام **جنتان** بدل من اية او خبر محذوف تقديره
الاية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال**
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمالها كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها
كانه جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من**
رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم
كانوا احقا بان يقال لهم ذلك **بلدة طيبة ورب غفور** استيناف للدلالة
على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة **فاعرضوا** عن الشكر

وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير

فار

فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب
عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ما الشجر وتركت فيه نقبا على
مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة وقيل اسم وادي جا السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما
السلام **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط** ثمر بشع فان الخمط كل نبت
اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان **واثل وشي من سدر**
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقرئ بالنصب
عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب
اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
وقرا ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل **ذلك**
جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث
اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص
وهل نجازي الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران
او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور
بالنصب **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** بالتوسعة على
اهلها وهي قرى الشام **قرى ظاهرة** متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة
متن الطريق ظاهرة لابنا السبيل **وقدرنا فيها السير** بحيث يقيل الغادي
في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام **سيروا فيها** على ارادة القول
بلسان الحال او المقال **ليالي واياما** متى شئتم من ليل او نهار **امنين** لا يختلف
الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا امنين وان طالت مدة سفركم فيها او
سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن **فقالوا ربنا باعد**
بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل
بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا على الفقرا بركوب الرواحل وتزود
الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
بعد ويعقوب باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا
في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بعد
او بعد على النداء واسناد الفعل الى بين **وظلموا انفسهم** حيث بطروا النعمة

ولم يعتبروا فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني ادم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او المؤمن من يقدر ايمانه ويشك من يقدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متاخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الصلة بالموصول والثاني لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان الهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن له ان يشفع له لعلو شانه ولم

يثبت

وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا

مثقال ذرة

يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي من الانبياء ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحد المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشرك به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان: اتهجوه ولست له بكفو ... فشركما لخيركما الفداء. وقيل انه على اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة رأسا والضمير له او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من

قوله لكم اي لزيد وعلى الثاني كاللام في قولك لكم

والحكمة وهولاء الملحقون متسمة بالذلة متابية عن قبول العلم والقدرة

الكاف والتا للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى
هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان
كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله والمومنين قل لكم ميعاد يوم وعد بيوم
او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويويده انه قرئ يوم على البدل وقرئ
يوما باضمار اعني لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم وهو
جواب تهديد جاء به مطابقا لما قصدوه بسوالهم من التعنت والانكار
وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه
من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول
صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول
يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للروسا لولا
انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مومنين باتباع الرسول قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين
صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار
على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دايبا ليلا ونهارا
حتى اغرتم علينا راينا اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف
يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل
بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من
الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على
الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه
من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجا بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب
اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزا على اعمالهم وتعدية
يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص

المتنعمين

حيث صح

المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك
في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب وانها
فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا نحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا
يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل رد لحسبانهم ان ربي
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في
الخصايص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن
بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد
للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولا
دكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم
والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشي
الذي يقربكم الا من امن وعمل صالحا استثنا من مفعول تقربكم اي الاموال والاو لاد
لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير
ويربيه على الصلاح او من اولادكم على حذف المضاف فاوليك لهم
جزا الضعف ان تجازوا الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة الضعف ونصب
الجزا على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات
امنون من المكاره وقرئ بفتح الرا وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيا
او ظانين انهم يفوتوننا اوليك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى
فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم
من شي فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط
في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين
والمستضعفين ثم يقول للملايكة اهولا اياكم كانوا يعبدون تقريعا
للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملا
يكة لانهم اشرف شركايهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك
واصله وقرا حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم لا موا
لاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا ونفوا
انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشيا
طين

المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف

انت الذي نواليه من دونهم

حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وتعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او القران والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت تهيئا للقول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هولاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هولاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هولاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لامر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اي شيء سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم

والمراد

لعدم يعني القران صح

ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيقة الحق صح

والمراد في السؤال انه جعل التنبؤ مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم بقوله ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على البناء للمفعول اي يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرا ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسايط بين الله وبين انبيايه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرويا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام راى جبريل ليلة المعراج وله ستماية جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته ومودى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشيا بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس من رحمة ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر

الملائكة صح

سورة الملائكة مكية

بالرحمة والثاني يطلق بتناولها والغضب في ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على من يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه
الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف
فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمت
الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون
لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن
التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق فانه وصف او بدل
فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب
على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون
اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك اي فتاس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب
عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى
الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد
الله حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة
والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ
بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عامة قديمة فاتخذوه
عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا
حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته
الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد
لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء الامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه
على عقله حتى انتكس رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق
حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه
ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم للدلالة على تضاعف اغتمامه

على

بالحشر والجزاء

عاداته

واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية على ان غير الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب دع الحسرات مع

٤٣٦

على احوالهم وكثرة مساويهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال
الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون
اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائي
وحفص بالتشديد فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او
بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما
من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اي
مثل احياء الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في
المقيس عليه وذلك لا مدخل لها فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت
العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة
جميعا اي فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد
والعمل الصالح وصعودهما مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما
والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب
العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من
الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله او المتكلم به او الملك وقيل
الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عليه السلام هو سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها
وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعني مكرات قريش للنبي عليه السلام في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى ثلث
حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر
اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه
بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم عليه السلام منه ثم من نطفة بخلق
ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا
ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من
عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه

نشور الاموات

او للعمل صح

او للعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه الا
بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت
في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل
المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما
وعن يعقوب ولا ينقص على البنا للفاعل الا في كتاب هو علم الله تعالى او اللوح
المحفوظ او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة و
النقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ضرب مثل للمومن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل
انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف
وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد
في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا
في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود
بالذات من الما فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى
المومن والكافر وان اتفقا احيانا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما
فيما هو الخاصية العظمى وبقا احدهما على الفطرة الاصلية دون
الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد
بالحلية اللالي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الما بجريها
ولتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق
بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار
ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة ذلكم الله ربكم
له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشيا وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت
الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدا في قران والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة
النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما
استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيامة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا
ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه وتعالى فانه الخبير
به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون

لهم

٤٣٧

لهم يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقرا للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم
وكثرة احتياجهم هم الفقرا وان افتقار سائر الخلائق الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق
عليه الحمد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم
اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة
اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شي من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس
اثقلتها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شي لم تجب بحمل شي منه نفي ان
يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها
فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان
التامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن
عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلاة فانهم المنتفعون
بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي فانما يتزكى
لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم
الصلاة لانها من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور الكافر والمومن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز
وجل ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستوا
وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل
السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحيا ولا الاموات
تمثيل اخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلما والجهلا
ان الله يسمع من يشا هدايته فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع
من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم
ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في
المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز
ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق
وان من امة اهل عصر الا خلا فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفا بذكره للعلم
بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو الاهم المقصود
من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابراهيم عليه السلام وبالكتاب المنير كالتوراة

ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق صح

والاجبل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها
ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد ذو
جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره جدد بالضم جمع
جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف
الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه
قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب سود عطف على بيض
او على متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغرابيب تاكيد للاسود ومن
حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك قول النابغة والمؤمن العائذات الطير
وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى
الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن
كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم له
ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر
الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عنه عصيانه ان الذين
يتلون كتاب الله يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا
والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد
اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف
اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك
بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وينفق
عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك
ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور
لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان
ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن
للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه

في

في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي
لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا
اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة
من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم
فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في غالب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد
الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته
مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة
بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا واما
الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته
وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم
بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك
هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء والسبق جنات عدن
يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد
بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو
عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون
من حليت المراة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع
وعاصم رحمهما الله عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته
او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا
تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم
لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان

وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل
كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى كل على بناء المفعول واسناده الى
كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر يمكن فيه
المكلف من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم
فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل
او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه
عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي
اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد
التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر
فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد
من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او
لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال
لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه
ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك
شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على
بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل

كانه قال اخبروني عن

بل

٤٣٩

بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه
بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف او الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء
عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من
بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء
انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا
لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا
رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى
وغيرهم او من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى
والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا عليه السلام ما زادهم الا نفورا تباعدا
عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر
السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم
اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء
الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي ولا يحيق
الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير
التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم بما يشا
هدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه
كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي
ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيامة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت
سورة يس مكية وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين

ما امسكهما

المدى من

اي النذير او مجيئه على التسبب

والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة وآياتها ثمانون وثلاث او اثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي وروح وابو بكر وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فتكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباءهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم الله انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلها بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون بمنزلة من احاط بهم سدان فغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرا حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها

ثم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له صح

بجهد

بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال المخزومي الآخر انا اقتله بهذا الحجر فاعماه الله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا ومثل لهم من قولهم هذه الاشيا على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا واصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واضافته الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرا ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل عليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرا فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت ما يقولانه فقال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشا ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر

اي القرآن

انك حبست رجلين فهل سمعت

آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ثم قال ان قدر الهكما على احيا ميت امنا به فدعوا بغلام له مات منذ سبعة ايام فدعوا الله فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهولاء الثلاثة شمعون وهذان فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن في جمع ومن لم يومن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا **قالوا ما انتم الا بشر مثلنا** لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا **وما انزل الرحمن من شيء** وحي ورسالة **ان انتم الا تكذبون** في دعوى الرسالة **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** استشهد وا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم **وما علينا الا البلاغ المبين** الظاهر البين بالايات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة **قالوا انا تطيرنا بكم** تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه **لئن لم تنتهوا** عن مقالتكم هذه **لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم** سبب شومكم معكم وهو سوء عقيدتكم او اعمالكم وقرئ طيركم **ائن ذكرتم** وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير الاستفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث ذكرتم وهو ابلغ **بل انتم قوم مسرفون** قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به **وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى** وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسول اتاهم واظهر دينه **قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا** على النصح وتبليغ الرسالة **وهم مهتدون** الى خير الدارين **وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه** على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال **واليه ترجعون** مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال **ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا** لا تنفعني شفاعتهم **ولا ينقذون** بالنصر والمظاهرة **اني اذا لفي ضلال مبين** فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر والاشراك به ضلال بين لا يخفى على

عاقل وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء **اني امنت بربكم** الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء **فاسمعون** فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه **قيل ادخل الجنة** قيل له ذلك لما قتلوه بشرى له بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول له فانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصرة دينه ولذلك **قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين** فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على داب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم **وما انزلنا على قومه من بعده** من بعد اهلاكه او رفعه **من جند من السماء** لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام **وما كنا منزلين** وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة **ان كانت** ما كانت الاخذة او العقوبة **الا صيحة واحدة** صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة **فاذا هم خامدون** ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوؤه ... يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها **ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** فان المستهزئين بالناصحين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل والمفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى

وجعلنا ذلك سببا ... م

الوقف ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن قوله كم أهلكنا قبلهم من القرون لأن كم لا
يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام أنهم إليهم لا يرجعون
بدل من كم على المعنى أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وقرئ
بالكسر على الاستئناف وإن كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وإن مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد
بمعنى إلا فتكون إن نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون وآية لهم
الأرض الميتة وقرأ نافع بالتشديد أحييناها خبر للأرض والجملة خبر آية أو صفة
لها إذ لم يرد بها معينة وهي الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أو استئناف لبيان
كونها آية وأخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب من أنواع
النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والأعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون عند الأخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو
الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه
وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه أو جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته
أيديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا
هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها أفلا يشكرون أمر بالشكر من حيث إنه إنكار
لتركه سبحان الذي خلق الأزواج كلها الأنواع والأصناف مما تنبت الأرض من
النبات والشجر ومن أنفسهم الذكر والأنثى ومما لا يعلمون وأزواجا لم يطلعهم
الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في إعرابه ما سبق فإذا هم
مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي إليه دورها
فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء
بحيث يظن أن لها هناك وقفة والشمس حيرى لها بالجو تدويم أو لاستقرار لها على نهج
مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة
ماية وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود
إليها إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أي لا

اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة صح

سيره

القابل صح

سكون

سكون فإنها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير
المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل
أي في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين البطين الثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة العواء السماك
الغفر الزبانان الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو
المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر
عنه فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج
فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها
يصح لها ويتسهل أن تدرك القمر في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون النبات
وتعيش الحيوان أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله أو سلطانه فتطمس
نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها
ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول وتبديل
الإدراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف
إليه والضمير للشموس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما في
الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون
فيه بانبساط وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجا
أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تقع عليهن لأنهن مزارعها
وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب في الفلك المشحون
المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها
آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان
وأدخل في التعجب مع الإيجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الإبل فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم
فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا إغاثة كقولهم أتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت به إلا رحمة منا ومتاعا إلا لرحمة ولتمتيع بالحياة إلى حين

الصرفة صح

راتهم

وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم صح

زمان قدر آجالهم **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم** الوقائع التي خلت
والعذاب المعد في الآخرة أو نوازل السماء ونوائب الأرض أو عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة أو عكسه أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر **لعلكم ترحمون** لتكونوا راجين
رحمة الله وجواب إذا محذوف دل عليه قوله **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
إلا كانوا عنها معرضين** كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لأنهم
اعتادوه وتمرنوا عليه **وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله** على محاويجكم **قال الذين
كفروا** بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة **للذين آمنوا** تهكما بهم من إقرارهم به
وتعليقهم الأمور بمشيئته **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** على زعمكم وقيل قاله
مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين صح إيهاما بأن الله لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك
وهذا من فرط جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء
وتوفيقهم له **إن أنتم إلا في ضلال مبين** حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز
أن يكون جوابا من الله لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم **ويقولون متى هذا الوعد إن
كنتم صادقين** يعنون وعد البعث **ما ينظرون إلا صيحة واحدة** هي النفخة
الأولى **تأخذهم وهم يخصمون** يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم
أمرها كقوله فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون وأصله يختصمون فسكنت
التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى أبو بكر بكسر الياء للإتباع
وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على إلقاء حركة التاء إليه وأبو عمرو به مع
الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والإسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين إذا كان
الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه إذا جادله **فلا يستطيعون توصية**
في شيء من أمورهم **ولا إلى أهلهم يرجعون** فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم
ونفخ في الصور أي مرة ثانية وقد سبق تفسيره في سورة المؤمنين **فإذا هم
من الأجداث** من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء **إلى ربهم ينسلون** يسرعون
وقرئ بالضم **قالوا يا ويلنا** وقرئ يا ويلتنا **من بعثنا من مرقدنا** وقرئ من أهبنا
من هب من نومه إذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيح ورمز وإشعار
بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من
الجارة والمصدر **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** مبتدأ وخبر وما مصدرية
أو موصولة محذوفة الراجع أو هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف
أو مبتدأ خبره محذوف وقيل ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب
للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم

عليه

عليه وتنبيها بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم
الرحمن الذي وعدكم البعث وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم وليس الأمر كما تظنونه
فإنه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وإنما هو البعث الأكبر
ذو الأهوال **إن كانت** ما كانت الفعلة **إلا صيحة واحدة** هي النفخة الأخيرة وقرئت
بالرفع على كان التامة **فإذا هم جميع لدينا محضرون** بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك
تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم
حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله **إن أصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون** متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وإبهامه
تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على أنه أعلى ما يحيط به الأفهام ويعرب
عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب
في رواية فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال
من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات **هم وأزواجهم
في ظلال** جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في
ظلل **على الأرائك** على السرر المزينة **متكئون** وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الأرائك
جملة مستأنفة أو خبر ثان أو متكئون والجاران صلتان له أو تأكيد للضمير في شغل
أو فاكهون وعلى الأرائك متكئون خبر آخر لأن وأزواجهم عطف على هم للمشاركة
في الأحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه **لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون** ما يدعون به لأنفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل
إذا شوى وجمل لنفسه أو ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه أو يتمنون
من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي أو ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة أو موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله
سلام بدل منها أو صفة أخرى ويجوز أن يكون خبرها أو خبر محذوف أو مبتدأ
محذوف الخبر أي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر أو الحال أي لهم مرادهم
خالصا **قولا من رب رحيم** أي يقول الله أو يقال لهم قولا كائنا من جهته بمعنى
أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم
ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** وانفردوا
عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير أو تفرقوا في النار فإن لكل كافر بيتا ينفرد به

للمبالغة وهما خبران لأن ويكون أن يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون صح

لا يرى ولا يرى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال
لهم تقريعا وإلزاما للحجة وعهده إليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لأنه الآمر
بها والمزين لها وقرئ إعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحّد على لغة بني
تميم إنه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وأن
اعبدوني عطف على أن لا تعبدوا هذا صراط مستقيم إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى
عبادته والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد أو للشيء الآخر والتنكير للمبالغة
والتعظيم أو للتبعيض فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد أضل
منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع
ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ
يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو
بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق
وجيلا واحد الأجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على أفواههم
نمنعها عن الكلام وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار
المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها أو بإنطاق الله إياها وفي الحديث أنهم
يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم ويتكلم أيديهم وأرجلهم ولو نشاء
لطمسنا على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا
إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق
معنى الابتدار أو جعل المسبوق إليه مسبوقا على الاتساع أو الظرف فأنى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وإبطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ أبو بكر مكاناتهم فما
استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا ولا يرجعون باتباع
الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى أنهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم
واقتضاء الحكمة إمهالهم ومن نعمره ننكسه في الخلق نقلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو
أمره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر أفلا يعقلون

لشقوته

الذي صح

أن من

أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم إن
محمدا شاعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فإنه غير مقفى ولا موزون وليس
معناه ما يتوخاه الشعراء ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا
من أربعين سنة وقوله * أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب *
وقوله * هل أنت إلا إصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت *
اتفاقي من غير قصد منه وتكلف منه إلى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف
المنثورات على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي أنه حرك
الباءين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أي وما
يصح للقرآن أن يكون شعرا إن هو إلا ذكر عظة وإرشاد من الله وقرآن مبين وكتاب
سماوي يتلى في المعابد ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز لينذر من
كان حيا القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء ويحق القول
يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا
إشعارا بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة أو لم يروا
أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا
وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالإحداث أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها
مالكون متملكون بتمليكنا إياهم أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا
إياها لهم قال * أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا *
وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي
بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها
ركوبهم ومنها يأكلون أي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والأصواف
والأوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر أفلا يشكرون
نعم الله في ذلك إذ لولا خلقه لها وتذليله إياها كيف أمكن التوصل إلى تحصيل
هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة أشركوها به في العبادة بعدما
رأوا منه تلك القدر الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المنفرد بها
لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروا وهم فيما حزبهم من الأمور والأمر بالعكس لأنه لا
يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب
عنهم أو محضرون أثرهم في النار فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من أحزن

برواية ابن ذكوان صح

من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر صح

تكلف صح

قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف
ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى
انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة
بينا ومنافاة الجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة
التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال ففتته بيده وقال اترى
الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار
فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق
قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة
على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه
خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم
ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك
لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر
فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل
خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص
المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها
الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث
مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على
العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح منه النار فاذا انتم منه توقدون
لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من
المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا
فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذي
خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم
في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو
المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي مشعر
بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره

انما

(هامش: اي يكون)

اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير
قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف
وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة
الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب مما قالوه فيه معللا بكونه مالك
الملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت
به فاذا انه لهذه الاية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من
قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك
يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس
وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة
من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو
ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة والصافات مكية
وهي احدى او اثنتان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين
في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر
الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصي
بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على
انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة والا
رواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل
والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين الزاجرين عن الكفر والفسوق
بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين
في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير
والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين والمقصرين
غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات

(هامش: ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه)

(هامش: في العبادات)

(هامش: سورة يس عليه السلام)

فيما يليها التقاربهما فانهما من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب
القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد القسم عليه على ما هو المالوف
في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على
وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر
ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه
والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهو ثلثمائة وستون
مشرقا كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع
ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما
يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى بزينة
الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة
ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب بابدالها منه او بزينة
هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر
الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده
قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته
فيها الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات
في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان
اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق
باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة
باعتبار المعنى كانه قال انا جعلنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا من كل
شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى
كلام مبتدا لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل
شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ
على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى
وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم
عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو
تطلب السماع والملا الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من
كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو

الطرد

الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع
عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا
ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب واصب
دائم او شديد وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو
يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بفتح الخاء
ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا
انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم ينافي
ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي
فهو مصباح لاهل الارض وزينة لاهل السماء من حيث انه يرى كانه على
سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين
يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه
السلام ان صح فلعل المراد كثرته او وقوعه او مصيره دحورا واختلف في
ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة
وقد لا يصيبه كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا
ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان
الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على
النار الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فا
ستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني ادم اهم اشد خلقا ام
من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه
ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرا امن عددنا وقوله انا خلقناهم من طين
لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود
ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم
والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما
لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من

الحيوانات منه بلا توسط موافقة فلزم ان يجوز واعادتهم كذلك واما العدم فقدرة
الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشيا قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن
ذلك بدوهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله تعالى وانكارهم
البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التا
اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلايقي الى تعجبت منها وهولاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت
من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء
وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا
وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم
وقلة فكرهم واذا راوا اية معجزة تدل على صدق القايل به يستسخرون يبالغون
في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا
يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف
وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي
هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة
نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او اباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها
او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم
وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون
صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق
المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول وقرا الكسائي وحده نعم بالكسر وهو
لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة
زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها
وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم
الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض
والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا وازواجهم امر
الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل
منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب

مع

مع عبدته لقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساؤهم اللاتي على دينهم او قرناؤهم
من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في
تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية
وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم
طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن عقايدهم
واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان موقفهم متعدد ما لكم لا تناصرون
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون
منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة
او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا
والاتباع او الكفرة والقرنا يتساءلون يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك
فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن
الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من
اليمين للانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا
وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم
كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤسا اولا بمنع اضلالهم بانهم
كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم
تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين
ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم
دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غواتهم
في الحقيقة ليس من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغوا غاو فمن اغواهم فانهم الاتباع
والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او عن من يدعوهم اليه ويقولون ائنا
لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق
المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب
على تقدير النون لقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام

وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناء
وهو عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الا
عتبار اولئك لهم رزق معلوم خصايصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك
فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد بها التلذذ دون التغذي والقوت
بالعكس واهل الجنة لما اعيد واعلى خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت
ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او
حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل
الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقا
بلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله
وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج
من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للا
شعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة
وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان للكاس ووصفها باللذة اما
للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

۞ ولذ كطعم الصرخدي تركته ۞ بارض العدا من خشية الحدثان ۞

لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها
ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده
بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي
بكسر الزاي وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه
واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها
وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع
عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في
الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب
قال ۞ وما بقيت من اللذات الا ۞ احاديث الكرام على المدام ۞
والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم
عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم

اني

اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون
فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من
حيث اداب المجالسة تمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع
المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع
عليهم فراه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالا
لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمايتين الا موتتنا الاولى التي
كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر
من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام
كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا
بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان
يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة
والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب
ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام
وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم حاصل شجرة ثمرها نزل اهل النار
وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما
يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار
وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة
انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما
سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق
حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار
من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤوس الشياطين في تناهي
القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين
حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها

وقيل القايل هو الله تعالى او بعض الملايكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل هو [illegible]

عوا وقرئ

هي

طين

من الشجرة او طلعها **فمالئون منها البطون** لغلبة الجوع او الجبر على اكلها **ثم ان لهم عليها**
اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في
شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة **لشوبا من حميم** لشرابا من غساق او صديد مشوبا
بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به
ثم ان مرجعهم مصيرهم **لالى الجحيم** الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم
نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن
يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم الى الجحيم
انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد
بتقليدهم اباهم في الضلال
كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير والاسراع الشديد
توقف على نظر وبحث **ولقد ضل قبلهم** قبل قومك **اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين** انبياء انذروهم من العواقب **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**
من الشدة والفظاعة **الا عباد الله المخلصين** الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول
والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم **ولقد نادانا
نوح** شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه
فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها
ما حذف لقيام ما يدل عليه **ونجيناه واهله من الكرب العظيم** من الغرق
او اذى قومه **وجعلنا ذريته هم الباقين** اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين
الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم
وتركنا عليه في الآخرين من الامم **سلام على نوح** هذا الكلام جيء به على الحكاية
والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف
مثل الثناء **في العالمين** متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في
الملائكة والثقلين جميعا **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لما فعل بنوح من التكرمة
بانه مجازاة له على احسانه **انه من عبادنا المؤمنين** تعليل لاحسانه بالايمان
اظهارا لجلالة قدره واصالة امره **ثم اغرقنا الآخرين** يعني كفار قومه **وان
من شيعته** ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة **لابراهيم** ولا يبعد اتفاق
شرعيهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما
نبيان هود وصالح **اذ جاء ربه** متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف
هو اذكر **بقلب سليم** من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له

وقيل

449

وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء
به متحفا اياه **اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون** بدل من الاول او ظرف لجاء او سليم
ائفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول
للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على
الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في نفسها
للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين **فما ظنكم
برب العالمين** بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته
او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع
يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام
وهو كالحجة على ما قبله **فنظر نظرة في النجوم** فراى مواقعها او اتصالاتها او في
علمها او في كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد
معهم **فقال اني سقيم** اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف
للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون
العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا
قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء **فتولوا عنه
مدبرين** هاربين مخافة العدوى **فراغ الى آلهتهم** فذهب اليها في خفية من روغة
الثعلب واصله الميل بحيلة **فقال** اي للاصنام استهزاء **الا تأكلون** يعني الطعام
الذي كان عندهم **ما لكم لا تنطقون** بجوابي **فراغ عليهم** فمال عليهم مستخفيا له
والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه **ضربا باليمين** مصدر لراغ عليهم
لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة
على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو
قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه** بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه
في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية **يزفون** يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة
على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون من وزف يزف
اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه
قال اتعبدون ما تنحتون من الاصنام **والله خلقكم وما تعملون** اي وما تعملونه
فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم

وقومه بم

فون

فاقبلوا اليه بعد ما رجعوا الى ابراهيم عليه السلام بعدما ... والاصنام ...

يزفون اي يزف بعضهم بعضا

ما تنحتون

ليطابق ما تعقلوه او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعوله لم
المتوقف على فعلهم اولى بذلك تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم
ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة
اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه
بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال
كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه
لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول
لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال
موسى عليه السلام اذ قال ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع
رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني
في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه لقوله فبشرناه بغلام حليم
بشرناه بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم
ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه الذبح وهو مراهق فقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده
غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ
معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف
دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم
يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب
اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه ولانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذ
بحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة
التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه
من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية
وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسماعيل عليه السلام لانه الذي وهب
له اثر الهجرة ولان البشارة باسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام
ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسماعيل والاخر ابوه عبد الله

فان

[هامش: وبهذا صح — او — حين قال عسى صح — لعل الرؤية]

فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه
عشرا فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت
الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين حتى احترقا معها
في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب
منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي
النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن ابراهيم
خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن ابراهيم والزوايد
من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح اليا فيهما فانظر ماذا ترى من الراي وانما شا
فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن
عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل
نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون
بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال
يا ابت وقرا ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على
الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله
فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبيا حق وان مثل
ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة
لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر
بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او
على قضاء الله وقرا نافع بفتح اليا فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح
نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه
سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا
يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده
او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه
مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع الله
البلا بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به

[هامش: اقرع صح — بالكعبة صح — اسحق ذبيح الله بن صح — اسحق بن صح — ورة]

علي العالمين مع احرازا الثواب العظيم الي غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ
قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله يا ابت افعل ما
تومر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه
المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه
بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه
يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من
الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتي اخذه فصارت سنة والفادي علي الحقيقة
ابراهيم عليه السلام وانما قال وفديناه لانه المعطي له فاطلق التجوز في الفداء او
الاسناد واستدل به الحنفية علي ان من نذر ذبح شاة وليس فيه ما يدل
عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام علي ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح عليه
السلام كذلك نجزي المحسنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه
القصة انه من عبادنا المومنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا
بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الي
وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط
مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعني بالحال فلا حاجة الي تقدير مضاف يجعل عاملا
فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها
لتضمنها معني الكمال والتكميل بالفعل علي الاطلاق وباركنا عليه علي ابراهيم
في اولاده وعلي اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب
وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما
محسن في عمله او علي نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه علي ان النسب لا اثر له في الهدي والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا علي موسي
وهارون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية
ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين علي فرعون وقومه واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم

[margin:] ولده لزمه ذبح صح

[margin:] اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير
نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق
لم يكن مقدرا نبوة نفسه حيث لا حاجة الي وجوده

الطريق

الطريق الموصل الي الحق والصواب وتركنا عليهما في الاخرين سلام علي موسي وهارون
انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين سبق مثله وان الياس
لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هارون اخي موسي بعث بعده وقيل
ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي رضي الله عنه وان ابليس
وقرا ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل
البعل الرب بلغة اليمن والمعني اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن
الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الي المقتضي للانكار المعني بالهمزة
ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب ابائكم الاولين وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص بالنصب علي البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في
العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص
بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثني من الواو لا من المحضرين لفساد
المعني وتركنا عليه في الاخرين سلام علي الياسين لغة في الياس كسينا وسينين
وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرا نافع وابن
عامر ويعقوب علي اضافة ال الي ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين
ابا الياس وقيل محمد عليه السلام او القران او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم
سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين اذ الظاهر
ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الاخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم علي
منازلهم في متاجركم الي الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه
صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس
لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه
بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الي الفلك المشحون فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت
فقالوا هاهنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت عليه فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء

[margin:] القرعة

وهي

فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السرا اخذ بيده عند الضرا فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعرا بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدبا غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد ما سبق من رسالة او ارسال ثان اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو او يزيدون فآمنوا فصدقوا او فجددوا الايمان بحضوره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرايع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفا بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا بالاستفتاء عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتايهم عن وجه القسمة حيث جعلوا الله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملايكة بنات الله وهولاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكاينة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملايكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطايفة

ميتا

او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم صح

بهما او لان فسادهما مما يدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملايكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملايكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفا اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السما بان الملايكة بناته فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملايكة وذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملايكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة ان الكفرة او الانس والجن ان فسرت بغير الملايكة انهم لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثنا من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغوا الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم والهتكم قرنا لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريقة الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقا الساكنين او تخفيف صايل على القلب كشاك في شايك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملايكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتها الى امر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملايكة ان المشركين

وهم صح

انهم صح

ما انتم صح

طريقة صح

معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم
منه ثم خاطبوا المشركين بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية
وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنز
هون لله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في
المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم الموا
ظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو كلام النبي عليه السلام
والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة
وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون
اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم
لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به
اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصر والغلبة
وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب
والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول
عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم
الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد الدلالة على ان ذلك كائن قريب
كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب
في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما
نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب
بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقيل نزل على
اسناده الى الجار والمجرور اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت
لوقت العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة (نزوله)
صباحا وان وقعت في وقت اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا
يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني
لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما يقوله المشركون فيه على ما حكي
في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه

وقد

وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام
على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض
عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد به
تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي كرم الله وجهه من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان
ربك الى اخر السورة وعن النبي صلى الله عليه من قرا سورة والصافات اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وايها ست او ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة
ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القران بعملك وبالفتح
لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره حرف والفتح
في موضع الجر فانها غير منصرفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب
والقران ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او للرمز
بكلام مثل صدق محمد عليه السلام او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر او للعطف
ان جعل مقسما به كقولك الله لافعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه ما في ص
من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان
محمدا لصادق وقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل
وجده فيه بل الذين كفروا به في عزة اي في استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله
ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث
اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة والشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في
الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة
على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا قبلهم من قرن
وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة وتوبة واستغفارا
ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها
تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف
احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل
والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم او مبتدا
محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر

كقوله * طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان لات حين بقاء * اما لان لات تجر الا
حيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله * لولاك في ذا العام لم احجج * او لان
اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص
تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالها
كالاسما والبصرية بالتا كالافعال وقيل ان التا مزيدة على حين لاتصالها به
في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه
والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف
والمطعمون زمان لا من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه
الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم
على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل
الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب
بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباونا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي
علمه وقدرته بالاشيا الكثيرة وقرى مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه
لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولا السفها وانا جيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هولا قومك يسالونك السوال
فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا تسالوني قالوا ارفضنا وارفض
ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا فقال قولوا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش
من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين
بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجالس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالا
نطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الما
شية اي اجتمعوا وقري بغير ان وقري يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان
هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من زيادة الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد

اوان

يغلب

او ان دينكم لشيء يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة
الاخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي اخر الملل فان
النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا
الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه اانزل
عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف
والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك
دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون
حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاوا ويصرفوها عمن شاوا فيتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده
لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشا لمن يشا
ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم
التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه
ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين
لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم
ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم والسبب
في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث
السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور
الربانية فلا تكترث لما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزو وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله *
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد *
ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان

بعضهم ببعض بعصا كالوتد ويشد البناء وقيل نصب اربع سوارى وكان يمد يدي المذنب
ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على
الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم
من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على
استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع
او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك
او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله تعالى
الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما
بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا
به او الجنة التي تعد للمومنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجايزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل
يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فانه مع علو شانه وتخصيصه بعظائم النعم
والكرامات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى
تفطن فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او
تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه
ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد واياد بمعنى انه اواب
رجاع الى مرضات الله وهو تعليل لذي الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين
فكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه
يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية
والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله عنها انه عليه السلام
صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلاة
الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة وقرئ والطير محشورة بالابتداء

اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة صح

والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح
والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة

عليها

عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة
وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز
عن البيان فاوحى الله اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة او كمال
العلم واتقان العمل وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل
او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعي فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سيق مقدمة له من الحمد
والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل
كما جاء في وصف كلام الرسول عليه السلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل
مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة
تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف
اي قصة نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتاك لان اتيانه الرسول
لم يكن حينئذ ولا بالثانية اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا
ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا
يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على
صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية
مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض
ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة
وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل
ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى
من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ
في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرا حفص
بفتح ياء لي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما
تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته

ايّاي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت
المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني
على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد
اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته
الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين
خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها
كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك
الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية
السجود ركوعا لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه
عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية
فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امراة فعشقها وسعى
حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله
عن زوجته وكان معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها
هزوا وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا
المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم
غرضهم واراد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له واستغفر ربه مما
وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن
قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى
ما تهوى النفوس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي
وتظليم الآخر قبل مسئلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على
الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق و

ومخالفة

ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة
فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو
مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا
الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة
والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل
على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين
المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون
تكريرا للاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية
تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها
عكس ما يقتضيه الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حالة اخرى يجازون
فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا
آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني
المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر
اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو
كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب
الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل
ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب
رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه على ظرف لاواب
او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن
من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل الذي لا تكاد تكون في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي
يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام
غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة
فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر
او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا الى الله فقال اني

احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذا حبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح اليا حتى توارت بالحجاب اي توارت الشمس شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جات بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطايه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقى دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدوا اليها وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في جميع الخلق الا في نسايه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطية تغافله

على اثر البوار الضمة ما قبلها كوفي وعن ابي عمرو بالسوق صح

كل شيء صح

عن

عن اهله لان اتخاذ التماثيل كان جايزا حينيذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعد لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطي احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعا بصدد الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح اليا انك انت الوهاب المعطي ما تشا لمن تشا فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبنا والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعله اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور صح والاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطا لانه يرتبط به المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاونا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاونا فامنن او امسك فاعط من شيت وامنع من شيت بغير حساب حال من المستكن في الامر غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطا او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطا جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاوهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص ابن اسحق بن وامراته ليا بنت يعقوب صلوات الله عليه اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني بان مسني وقرا حمزة باسكان اليا واسقاطها من الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه وانما اسنده الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسواله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظيم

الشروح

اص

النون صح

البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين
وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب
به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل اي ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك
وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا
له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا
له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى
لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق
بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش
ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم
ابن يوسف ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله
يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في
النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا
كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين
نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده
لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والا
بصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم
الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف
لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم
بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار
تذكرهم للآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون
ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار
بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضافه نافع وهشام الى ذكرى للبيان
او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر
او خير على تخفيفه كاموات جمع ميّت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن
اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد
ابن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع

وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة
نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل
يوم مائة صلاة وكل اي كلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر
شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال
وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من
الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها
مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا
مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من
المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال
من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان
التغذي للتحلل ولا تحلل ثم وعندهم قاصرات الطرف اتراب لدات لهم فان
التحاب بين الاقران اثبت او لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان
الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ
هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه كما سبق يصلونها حال من جهنم
فبئس المهاد المهاد او المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف
وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره حميم وغساق وهو
على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من
غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد
السين وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اي ومذوقات او انواع
عذاب آخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر
وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب
الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة

لا ينظرن الى غير ازواجهن صح
بعضهن كبعض صح

ع

غين

للنوح او حالا اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا لهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤسا بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة فبئس القرار بئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى لان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد القهار الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد للموحدين ووعيد للمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبا ادم نبا عظيم انتم عنه

معرضون

معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فكما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملايكة وما جرى بينهم على ما وردت به الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملا الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه بين ذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت عليها اذ مشتملة على تقاول الملايكة وابليس في خلق ادم واستحقاقه للخلافة له والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على ادم هذا ومن الجائز ان لا يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله والملايكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره عن امر الله واستنكافه عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق الفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابدا المانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او من السما او من صورة الملايكة فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك

منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله
على اختلاف القراتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول
اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتدا اي الحق يميني
او قسمي او الخبر اي انا الحق وقريا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله قد اصبحت ام الخيار
ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني وهو للتوكيد
وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما
ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين
وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم عليه من اجر اي على القران او
تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين من المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي
فانتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه
وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم
القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب صغير
او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله يا عبادي الآية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف
مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثاني
او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة
وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الريا والشرك وقرئ برفع الدين
على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من
اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه
فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة
فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا
من دونه اوليا يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملايكة وعيسى والاصنام
على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره
على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول ان الله يحكم بينهم

وهو

وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من
الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا
حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من
الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم
ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق الى الاهتدا
الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان
يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه
لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه
ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه
هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة
الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من
الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال
المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف
اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه
كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شي الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة
وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر
بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة
واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق
حوى من قصيراه ثم تشعب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف
هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها
زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة
دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حوى وانزل لكم
وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السما حيث كتب في اللوح المحفوظ
او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية
ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان
لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير

انه غلب او العقلا او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغة من بعد علقة
من بعد نطفة في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم
والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك
لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى
الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم
به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع
في رواية ابي عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة
بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه
عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا
ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم
اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله
نسي ما كان يدعو اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان
يتضرع اليه وما مثله في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل
لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال
والاضلال لما كان نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك
قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافر
من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف
للمبالغة امن هو قانت قائم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام
متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن
هو قانت كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع
على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه
في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد
فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون
والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال
هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم
بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات

في الدنيا

امن هو بتخفيفه وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى ام من هو قانت

مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا

في الدنيا التي هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن
تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى
الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير
حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة
لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء
بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان
اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين الاخلاص او لانه اول من
اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت
لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز ان تكون
اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدو في
نفسه والدعا اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص
والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله
اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد
الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من
العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من
دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا
انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل
الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا
لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الا
ستيناف والتصدير بالا وتوسط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين
لهم من فوقهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للآخرين ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
ذلك العذاب الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف
به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال

من النار شرح لحالهم ومن تحتهم ظلل

منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة
الرسل او الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على
مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول
السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل
الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة
شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك امرهم فمن
حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب
كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي
في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على
ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار
اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد
لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل
من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون ومجاري
كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على
المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير
وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرها ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه
حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا
ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل
الحياة الدنيا فلا تغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح
الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الا
ستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح
المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء
الى الحق وعنه عليه السلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب
للموت قبل نزوله وخبره محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم

من

من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء
اشد تأبيا عن قبوله من القاسي عنه لسبب اخر وللمبالغة في وصف اولئك
بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة
القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والاية
نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن وذلك
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت
وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل
واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه
تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع
العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله
كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل
تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائله تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف
والاقشعرار القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته
سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر
القلوب لتقدم الخشية ثم الرجاء ذلك اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشا
هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن
يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه
فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو امن منه فحذف
الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا
يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحياة الدنيا كا
لمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر
لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك
واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر
في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد
فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال

الجلد بقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر صح

التي هي من عوارضها صح

فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله
وقد اتاك يقين غير ذي عوج • من الاله وقول غير مكذوب • وهو
تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب
الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته
ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره
عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرا نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين
وكسرها مع سكون اللام وثلثها مصادر سلم نعت بها او حذف منها
ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع
هل يستويان مثلا صفة او حالا ونصبه على التمييز ولذلك وحد وقرئ
مثلين للاشعار باختلاف النوع ولان المراد هل يستويان في الوصفين على
ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه
فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم
لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون
فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما
سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغائب يوم القيامة عند ربكم
تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل
في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد
ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به
الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم
ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم
مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس
واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف
لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق
وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون
وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا

اللام

موسى

موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك
يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس
فاداه اليهم كما نزل من غير تحريف او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه
وصدق بالتشديد على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين
على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة لانه اذا كفر
كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم
مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون
بمعنى السيء كقوله الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسوأ جمع سوء
ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم
محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف
عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من
دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل
انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها ان لها لشدة فعمد اليها
خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الامر بما خوف
عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر
فما له من هاد يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله
كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي
ارايتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني
بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني
وقرا ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير
ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير
او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال
كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها
عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان
وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد

فان لها

الله

ممسكات رحمته بالتنوين ونصب ضره معا

والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة وللدلالة
توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه فان خزي اعدايه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم دايم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط
مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ
نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم
بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان
بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا واما باطنا وذلك عند
الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
ولا يردها الى البدن وقرا حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد
والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النايمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل
مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن
عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتمييز والروح التي بها صح
النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم
قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لايات على
كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالا
بدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنايها
وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها
حينا بعد حين الى توفي اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعا
تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون ايشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما يشاهد وهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله
الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وان الشفعا اشخاص مقربون هي
تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك
الملك لا يملك احد ان يتكلم في امره الا باذنه ورضاه ثم اليه ترجعون
يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون الهتهم
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين
من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله

ولقد

ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا
حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما وغيظا حتى ينقبض اديم وجهه والعامل
في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
التجئ الى الله بالدعا لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم
فانه القادر على الاشيا والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب
يوم القيامة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيات ما كسبوا سيات اعمالهم وكسبهم حين
تعرض صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاوه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا
ذكر الله وحده بالفا لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون
عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمازوا من
ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما
اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او اني ساعطاه لما لي من استحقاقه
او على علم من الله بي واستحقاقي والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شي منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث
الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله
انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من
قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا فاصابهم سيات ما كسبوا جزا سيات اعمالهم او جزا اعمالهم
وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك
والذين ظلموا بالعتو من هولاء من للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيات ما
المشركين صح
كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل
ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فايتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك

لآيات لقوم يؤمنون فان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمومنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب جميعا ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه • اتاني كريم ينفض الراس مغضبا •

يا حسرتى وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري

• اما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع •

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

• ان السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •

وقيل في ذات الله بمعنى الطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله

ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي
مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك
هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة
على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجازا عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة
في فلاح المومنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح
بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلايل
قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده
وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلايل والمواعيد
وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقب ذلك وقالوا استلم بعض
الهتنا ونومن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله
احضر الوغا ويويده قراة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النو
نين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام
على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم
الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان
للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح
وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب
على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص
لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره وما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث
جعلوا له شركا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة
الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة
على ان تخريب العالم اهون شي عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل

والقبضة

والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهو المقدار المقبوض بالكف
تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع
ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما
اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركا ونفخ في
الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خروا ميتا
او مغشيا عليه الا من شا الله قيل جبرايل وميكايل واسرافيل فانهم يموتون
بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد
بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى تحتمل
النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب
على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب
كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام
فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة
وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض
او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل
به الصحايف وجيء بالنبيين والشهدا الذين يشهدون للامم وعليهم من
الملايكة والمومنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم
لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت
كل نفس ما عملت جزاوه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شي من افعالهم فضلا
الموفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها في
اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
جمع زمرة واشتقاقها من الزمر اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة
زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاووها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون
عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخو

لكم

وهو الصوت

وهو الجمع القليل

النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة واذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها حذف جواب اذ الدلالة على تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود فيها والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين

الخلق

[هامش: سبق ذكره]

[هامش: لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين لهم]

الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم

[هامش: نها]

[هامش: عات]

[هامش: لهم]

في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون
عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد
وثمود وهمت كل امة من هولاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر
وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم
بالاهلاك جزاء لهمتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على
ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة
ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا بكفرهم انهم اصحاب
النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى
الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة
واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم
له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره
يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والا
كرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون
التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما
لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا
واشعارا بان حملة العرش وسكانه في معرفته سواء ردا على
المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب
المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح
والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤ
منون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت
كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق
في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها
المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم
عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم ليتم
سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم

وذريتهم

وذرياتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات
العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص بمن صلح مخصوص
لقوله والمعاصي في الدنيا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقها في الدنيا
فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك
هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون
يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم
يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف
ضيعت اللبن او تعليل الحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين
اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا
فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير
ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير
فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا
اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند
انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان
في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه
ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان
اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى
خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه
من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه
بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف
الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا
بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب
السرمد العلي الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك
وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم
آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم
وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر

عليكم بالعذاب السرمد وعلى من

بالآيات التي هي كالمذكورة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك
في التقليد والاتباع إلا من ينيب يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر
فيها فإن الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من
الشرك ولو كره الكافرون إخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات
ذو العرش خبران أخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول
والمحسوس الدال على تفرده بالألوهية فإن من ارتفعت درجاته كمالا
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني
في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات
أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السموات أو درجات الثواب وقرئ
رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من أمره خبر رابع للدلالة على أن
الروحانيات أيضا مسخرات لأمره بإظهار آثاره وهو الوحي وتمهيد للنبوة
بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن أمره بيان لأنه أمر بالخير أو
مبدؤه والأمر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة
وهو دليل على أنها عطائية لينذر غاية الإلقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح
واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيامة فإن فيه تتلاقى الأرواح
والأجساد وأهل السماء والأرض والمعبودون والعباد والأعمال والعمال يوم
هم بارزون خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء أو ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الأبدان أو أعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله بارزون وإزاحة
لنحو ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في
ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما يدل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع
الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
فإنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والأعمال هيئات
توجب لذاتها وآلامها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت
قيامتها زالت العوائق وأدركت لذاتها وآلامها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة
العقاب إن الله سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه
سريعا وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر فإنها ترتفع عن أماكنها
فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال
من أصحاب القلوب على المعنى لأنه على الإضافة أو منها أو من ضميرها في لدى وجمعه
كذلك لأن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو لأنه

[هامش: المصوبه]

[هامش: أي يختاره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية صح]

[هامش: لا يخفى على الله منهم شيء من أعمالهم وأعمالهم صح]

[هامش: أي يوم القيامة سميت بها لأزوفها أي قربها أو الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت صح]

مفعول

مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا
شفيع يطاع ولا شفيع يشفع والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر
كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه
لظلمهم يعلم خائنة الأعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم واستراق
النظر إليه أو خيانة الأعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس
للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لأنه المالك
الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه إنه يقضي أو لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء
على الالتفات أو إضمار قل إن الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الأعين
وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون
من دونه أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل
حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا
وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من المعرفة
في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد منكم ... كقوله متقلدا
سيفا ورمحا وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الأخذ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات أو الأحكام الواضحة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريده
غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف
لتغاير الوصفين أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه إلى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبله
بطشا وأقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كي يصدوا
عن مظاهرة موسى عليه السلام وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع ووضع
الظاهر فيه موضع المضمر لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون
ذروني أقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو
ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في أهون شيء دليل على أنه تيقن
أنه نبي فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له

[هامش: كانوا]

[هامش: بالكاف وآثارا في الأرض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل]

ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعايه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام كقوله ويذرك والهتك وان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح اليا والها ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب الموكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عدت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مومن من ال فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرايلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله

واهلكه

٤٧٠

واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله الى سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جانا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جانا لم يمنعه منه احد وانما ادرج نفسه في الضمير لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطيان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزا ما كانوا عليه دايبا من الكفر وايذا الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الابا الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته ونريا ان يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى

يعلمون

يحون

تكذيب رسوله من بعده او جزما بان لا يبعث من بعده رسول مع الشك في رسالته صح

اجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة كبر مقتا
عند الله وعند الذين امنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين
مبتدا وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير
سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم
وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رات عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشي اذا ظهر
لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها
تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطفا على ابلغ
وقرا حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع
عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث
الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول
موسى بان اخباره من اله السما يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك
لا يتاتى الا بالصعود الى السما وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله
بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك
التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على
الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرا
الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال
هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار
وقال الذي امن يعني مومن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعون
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض
بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع
تمتع يسير لسرعة زوالها وان الاخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة
فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه
ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزا اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل
الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط

في

في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار كرر نداهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة
في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو
بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل
فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعا
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به علم والمراد نفي المعلوم
والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة
وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة على التعذيب
والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق عدم دعوة الهتكم الى
عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة
او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب
ذلك الدعا اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو
التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت
ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد
وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك
الدما هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند
معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني
من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من
قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك وقيل بطلبة المومن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة
فوجدوه يصلي والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار
خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الال وقرئ
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان
عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك

الاول

بربوبيته ح

لارواحهم كما روي ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقا النفس
وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة
قيل لهم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا
فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع والكسائي وحمزة ويعقوب وحفص
ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفا للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الا
ضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا
مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا
وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا
من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم
اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل
ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بير جهنام بعيدة القعر ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان
يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات
الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجتري فيه اذ لم
يوذن في الدعا لامثالكم وفيه اقناط لكم عن الاجابة وما دعا الكافرين الا
في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والا
نتقام لهم من الكفرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين
ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدايهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب
وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم
يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبيا والمومنين يوم لا
ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة

او لانه

(margin: يا آل فرعون صح)

٤٧٧

اولانه لا يوذن لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين ونافع بالتا ولهم اللعنة
البعد من الرحمة ولهم سو الدار جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدي به
في الدين من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا
عليهم بعده من ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا
لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله
حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك
واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالا
ستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي
والابكار ودم على التسبيح لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب
بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في ايات الله بغير
سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر عام في كل مجادل مبطل وان نزلت
في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ
سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وان النبوة والملك لا يكونان الا
لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات والمراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه
انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الا
نسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه امر التوحيد ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم
اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر
فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي
مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول
بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير
للناس او الكفار وقرا الكوفيون بالتا على تغليب المخاطب او الالتفات او امر
الرسول بالمخاطبة ان الساعة لاتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة
على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يومنون
لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسونه وقال ربكم ادعوني استجب
لكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين

(margin: والتحميد)

(margin: ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة صح)

(margin: اعبدوني صح)

صاغرين وان فسر الدعا بالسوال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعا فانه من ابوابها وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم اليا وفتح الخا الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه بارد مظلما يودي الى ضعف الحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل والاشعار به لم يقل المفضل او المتفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرى خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يوفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا استدلال ثاني بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضا والتخطيطات متهيا لمزاولة الصنايع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذايذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والريا الحمد لله رب العالمين قايلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي من الحجج والايات او من الايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او اخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرى شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم

ماني

ماذلك من الحج والعبر هو الذي يحيي ويميت واذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفا الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتاكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او الوحي والشرايع فسوف يعلمون جزا تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون في الحميم والعايد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرى والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للبا ويدل عليه القراة به وعطف الفعلية على الاسمية ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيا بعبادتهم فانهم ليسوا شيا يعتد به كقولك حسبته شيا فلم يكن كذلك يضل الله الكافرين مثل هذا الضلال ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبيس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبيس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثوا عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق بهلاك الكفار كاين لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في

بالنصب وفتح اليا على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية

التنور اذا ملاه بالوقود ومنه كانه سجر بالحرارة

حتى لا يهتدوا الى شي ينفعهم في الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا

هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور
قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات
عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار
بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا
والاخرة قضي بالحق بانجا المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون
المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يوكل كالغنم ومنها
ما يوكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك
في البحر تحملون وانما قال على الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في
حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة
عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة
ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه
والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسما غير الصفات لابهامه افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة
واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم
في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم
واستحقروا علم الرسل والمراد عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة
كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة
قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبايع والتنجيم والصنائع
ونحو ذلك او علم الانبيا وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا
تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا
امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم

فاي ايات الله اي فاي الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته صح

بتتم

٤٧٤

يستقم والفا الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر
منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان
لان روية الباس مسببة عن مجي الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الروية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد
وهي من المصادر الموكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رويتهم الباس اسم
مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المومن لم يبق روح
نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة وآيها ثلاث واربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف
فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الا
ولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع
بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى
واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من
بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا
نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه
لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة
اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات
بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب
او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع
تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كنان مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب
يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم ومنه بحيث استو
عب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسل فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في
ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست
ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما
ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل

سورة فصلت

ويشوا عن النقل فاستقيموا اليه في افعالكم متوجهين اليه او فاستقيموا اليه
بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم
بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من
اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل لا يفعلون
ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم
للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم
من المن واصله الثقل او لا يقطع من منت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت
في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين
خلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة
السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته
وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين
رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي
استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها
مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها
معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات
والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه
ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم
فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة
الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل
في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة
سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب
بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء
للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الا
رض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء
قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي

على غير

الى غير والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض
بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان
امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها
وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير وابرزا ما اودعتكما من الا
وضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق
السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما
الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المواتاة
اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او
ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا
طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما
وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع كقوله كن
فيكون وما قيل انه تعالى كقوله ساجدين فقضاهن سبع سموات
فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع
سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات
يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها
وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوا
وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها
وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول
له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة ذلك
تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان
بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب
شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة
صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز
جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم
ومن خلفهم اتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة
الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير

والسائر

الطائع خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخر وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين

مره

وحفظا

بما امر لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم
خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين
ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال
الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ
انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق
فتعظموا فيها على اهلها من غير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة تكبرا
واغترارا بقوتهم وشوكتهم وقيل كان من قوتهم ان الرجل ينزع الصخرة من الجبل
فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه
قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه احد غيره وكانوا
باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد
الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كان
اخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء
لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو
الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده
ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة
على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها
الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء
الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرا نافع نحشر
بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على
اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤوها
اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم

سمعهم

سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر
عليها اثارا تدل على ما اقترفت بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي
انطق كل شيء ولو اريد الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات
الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود
وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضا[حة]
وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فيما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن
ينبغي له ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وهو عليه رقيب ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا
وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون
ظنكم [بدلا و] ارداكم خبر فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدا[رين]
سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان
يستعتبوا يسالوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين ان
يسالوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم
قرناء اخوانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو
القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما
بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره
وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن
الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت
من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل
لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها
لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى
ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم
اسوا الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى
الاسوا جزاء اعداء الله النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها

او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى الذي انطق كل حي صح

المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ... صح

في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني
بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون
الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا
ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شياطين النوعين الحاملين على الضلال
والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير
وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ وقرا الدوري باختلاس
كسرة الرا نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك
الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا
بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن
الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدا الاستقامة او لانها عسر قلما تبع
الاقرار وما روي من الخلفا الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على
الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت
او الخروج عن القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم
وان مصدرية او مخففة مقدرة بالبا او مفسرة وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا
نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي
الاخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم
فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
من الدعا بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال من ما
تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا خطر ببالهم
كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا
ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات
وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة في الجزا وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة
لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن
منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزايد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به
من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع

للمبالغة

للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي
الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالا حسان
الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من
الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو
اسوا وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا
للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل والنهار
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان ماموران
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود
تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم
اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا
لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة اخر الاية الاخرى لانه من تمام المعنى فان
استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل
والنهار اي دايما لقوله وهم لا يسامون اي لا يملون ومن اياته انك ترى
الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا
انزلنا عليها الما اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربات اي
زادت ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير
من الاحيا والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا
بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغا فيها لا يخفون علينا
فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيامة
قابل الالقا في النار بالاتيان امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا
ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر
ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القران وانه
لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الاتية تنزيل من حكيم اي حكيم حميد يحمده

كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل
ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيايه وذو عقاب اليم لاعدايهم وهو على الثاني
يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المومنين بالمغفرة
والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران
بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه
ااعجمي وعربي كلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمي
يقال للذي لا يفهم كلامه وللكلام المبهم وهذا قراة ابي بكر وحمزة والكسايي وقرا الباقون
العجمي وهو منسوب الى العجم وقرا هشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون
المراد هلا فصلت بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب
والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت
في الايات كيف جات قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفا من الشك
والشبه والذين لا يومنون مبتدا خبره في اذانهم وقر على تقدير هو في اذانهم وقر
لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات
ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين امنوا هدى اوليك ينادون
من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة
ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القران
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينيذ او تقدير
الاجال لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يومنون لفي
شك منه من التوراة او القران مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه
نفعه ومن اسا فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس لهم ان يفعل
اليه يرد علم الساعة اذا سيل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرات من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع
وقرى بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون
موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين
شركايي بزعمكم قالوا اذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة
اذ تبرانا عنهم لما عاينا الحال فيكون السوال عنهم للتوبيخ او من احد منا يشاهدهم
لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركا اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وضل

قال سيل السيد محمد في مجلس ... وما ربك بظلام
للعبيد فان نفي المبالغة في الظالم لا يقتضي نفي اصل الظلم
فاجاب على البديهة ... قال العلماء ...
وحاصله ان جميع صفات الله تعالى على غاية الكمال فلو كان
متصفا بالظلم لكان متصفا بكثرة الظلم فنفي اللازم
القاطع عن نفي اصل الظلم لانه لو اتصف به
لكان انما يتصف بكثرته

عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسام الانسان لا يمل من دعا الخير
وان مسه الشر الضيقة فيوس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر
لقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في ياسه من جهة
البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر الياس ولين اذقناه رحمة منا من
بعد ضرا مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل
والعمل او لي دايما لا يزول وما اظن الساعة قايمة تقوم ولين رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى اي ولين قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة
وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبين
الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان
اعرض عن الشكر ونا بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته
تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو
دعا عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ
من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
قل ارايتم اخبروني ان كان من عند الله اي القران ثم كفرتم به من غير نظر واتباع
دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع
الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا في الافاق يعني ما
اخبرهم النبي عليه السلام من الحوادث الاتية واثار النوازل الماضية وما يسر
الله له ولخلفايه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق
للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجايب
الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقران او الرسول
او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والبا مزيدة للتاكيد
كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شي
شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شي شهيد محقق له فيحقق
امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق ساير الاشيا الموعودة او مطلع فيعلم حالك
وحالهم او لم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع لا يخفى عليه خافية
الا انهم في مرية شك وقرى بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقا ربهم بالبعث
والجزا الا انه بكل شي محيط عالم بجمل الاشيا وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته

لا يمل من طلب السعة والنعمة وقرى من دعا بالخير

رق

سورة شوري

نبي بها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر
حسنات

سورة شوري مكية وهي ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا
ايتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك
يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من
المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرا ابن
كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى
مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان مقررتان
لعلو شان الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتدا كما في قراة نوحي بالنون
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما
في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله
وقيل من دعاء الولد وقرا البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع
فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتا لتاكيد التانيث وهو نادر
من فوقهن اي يبتدي الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لان اعظم الايات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على
الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وعلى الثاني قيل الضمير للارض فان المراد
بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما
يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك
في الجملة يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع
عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو
الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة
تقرير لعظمته وهي على الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم
بالعقاب على تلك الكلمة الشنعا باستغفار الملائكة وفرط غفرانه
ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركا وانداد الله حفيظ عليهم
رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم
او بموكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر
يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القران في مواضع جمة فتكون

الكاف

الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى ومن حولها من العرب وتنذر
يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلايق او الارواح والاشباح او العمال والاعمال
وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ
لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق
في السعير اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم
فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر
يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقا
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته
بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير
ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في
الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا ام اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو
الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق
وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم
اي انتم والكفار فيه من شي من امور الدنيا او الدين فحكمه الى الله مفوض
اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة ذلكم الله ربي عليه توكلت في
مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض
خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف
لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق
للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا
يذروكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو والضمير
على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلا فيه في هذا التدبير وهو
جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم التوالد فانه كالمنبع للبث والتكثير
ليس كمثله شي اي ليس مثله شي يزاوجه ويناسبه ويسد مسده كان نفيه
عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم
الطيب الطاهر لدانه ومن قال الكاف فيه زايدة لعله عنى انه يعطي
معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته
صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
خزاينها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته
انه بكل شي عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذ

ي

اهل ام القرى وهي مكة شرفها الله

والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله صح

والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذ نفي عمن يناسبه صح

اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل التوبة اليه وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسل او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة وطلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيامة او اخر المقدر لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيتم وعلى هذا يجوز ان تكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم على الدعوة كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى الخصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدا سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة

باية

الله له حوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او بعد ما استجاب له

باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن او وحي باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم اتخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدين به وصنوه من سن لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين

والمشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح على كلمة الفصل
اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في
الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين في القيامة
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم
اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم
عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه
ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد وذلك التبشير
الذي يبشره الله عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره
قل لا اسالكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا
الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم المودة وفي القربى حال منها اي
الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها
كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول
الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال علي وفاطمة وابناهما
وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه
بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن
يكتسب طاعة سيما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
ومودته فيهم نزد له فيها حسنا في الحسنة بمضاعفة الثواب وقرئ يزد له
اي يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب
والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى
محمد بدعوى النبوة او القران فان يشا الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن
مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا
بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة قال ان يشا الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه
بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه
عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه
اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه الذي لا

مرد له

آلهم

فلا وكانه

مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله
ويدع الانسان بالشر وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه
والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد
عرفت حقيقة التوبة وعن علي هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون
فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرا حمزة وحفص والكسائي ما تفعلون
بالتاء ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام
كما حذف في واذا كالوهم او وزنوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على
الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من
فضله على ما سالوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون
لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على
بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد
فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته
مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر
لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته
في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده
باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن اياته خلق السموات
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث
فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب
على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق
انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء اي في اي وقت يشاء قدير
متمكن منه واذا كما تدخل على المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة

رضي الله عنه

وكبيرها

المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرا نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد

الماضي تدخل على

معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصايب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء شعرا

وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم في راسه نار

ان يشا يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في الائه او لكل مومن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشيا الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجا قوم وتحذير اخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا فجاءت الفا في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وما بعده عطف على الذين امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبنا يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصا بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى بينهم لا ينفردون براي

اهلاك ع

حتى

حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بساير امهات الفضايل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجرا واغرا على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة سيئة مثلها وتسمية الثانية سيئة للازدواج او لانها تسو من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدونهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل هل الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اوليا ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة مرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم تشهد به عليكم السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا

مفتوح

رقيباً او محاسباً ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راساً ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفاً واحداً من ذكر او انثى او الصنفين جميعاً ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان سياق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب اباءهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحياً كلاماً خفياً يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبياً فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسل ووحياً بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحياً وان يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفاً وقعت احوالاً وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة

بغير

(حاشية: بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزا مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية)

(حاشية: الله)

(حاشية: القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسم المشتركين)

بغير وسط اما عياناً واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحاً لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبداً قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق له الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدي اي يهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقاً وملكاً الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسال من ارسلنا وهي تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قراناً عربياً وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشيا استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين العرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب لدينا محفوظاً عندنا عن التغيير لعلي حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحاً افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض قال طرفة شعراً

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحاً مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوماً مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي بالكسر على ان الجملة الشرطية مخرجة للمحقق مخرج لل

(حاشية: سورة الزخرف مكية)

(حاشية: في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية [illegible] رفيع الشان في الكتب لكونه معجزاً من بينها [illegible])

(حاشية: [illegible] خلافهم)

المتكوّن استحيا الامم وما قبلها دليل الجزا وكم ارسلنا من نبي في الاولين
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون تسلية لرسول الله عن استهزا قومه
فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى
الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف في القران قصتهم العجيبة وفيه
وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم
او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله
كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان
يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهادا فتستقرون
فيها وقرا غير الكوفيين مهدا بغير الف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها
لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك
والذي نزل من السما ماء بقدر بقدر ما ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا
مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار
تخرجون تنشرون من قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التا
وضم الرا والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره
اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع
له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون
وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم
معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون
قرينة الضعيف وقري بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان
اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على ظهر الدابة قال
الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون
اي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو
الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد
للقا الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد
جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات
الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته

على الواحد الحق في ذاته وقري جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر
الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشانه
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام للانكار
والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من خلقه
جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشيا اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا
اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود
في الغاية لما يعتريه من الكابة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك
دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقري مسود
جملة وقعت خبرا او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين اي او
جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام غير مبين اي
يكون مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق
بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص
ينشا اي يربى وقري ينشا ويناشى بمعناه ونظيره ذلك اعلاه وعلاه
وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر اخر
تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رايا واخسهم صنفا وقري عبيد وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند
على تمثيل زلفاهم وهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم
بهم وعن نافع اشهدوا خلقهم بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين
واو شهدوا وابدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة
ويسالون اي عنها يوم القيامة وهو وعيد وقري سيكتب وستكتب
بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وانه بنات وهي الملائكة ويسالون
من المسالة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة
الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع
النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات
على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون
الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة
نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم

سند من جهة العقل فقال ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او ادعائه
ينطق بصحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اي لا
حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد ابائهم
الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر
وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ار
سلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة على ان التقليد
في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه
وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر
الى التقليد قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم
ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير او خطاب
لرسول الله ويؤيد الاول انه قرا ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه
فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث
بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرا عن التقليد
فانه اشرف ابائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او
معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع
او متصل على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني
وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد باقية في عقبه
في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة
وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك
منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من
قريش واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات
وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة
باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القران
ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج

وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد

والآيات

والآيات ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة
فضموا معاندة الحق والاستخفاق به فسموا القران سحرا وكفروا به واحتقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم من احدى
القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة
ابن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا
انها رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمت ربك
انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم
في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب
الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق
وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل
بينهم تالف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا
لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف
يكون فيما هو اعلى منه ورحمت ربك يعني هذه النبوة وما يتبعها خير
مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزقها لا منه ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون
يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم لمن بدل الاشتمال او علة
كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا
اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو
لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا
من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من
فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى
الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعا
وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما
لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه

والاستخفاف

الى شركهم

ون

بدل من

صي

ثم قليل بالاضافة الي ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات قل
من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعامى ويعرض
عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح
اي يعم يقال عشي اذا كانت في بصره افة وعشا اذا تعشى بلا افة كعرج وعرج
وقرئ يعشوا على ان من موصولة نقيض
له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دايما وقرا يعقوب بالياء
على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم
عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى
اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضماير الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي
وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي
العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من
المغرب وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم
اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل
من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب
كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبايه وتقسيمهم لمكابدة
عنايه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول
افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعا قومه وهم لا
يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير
الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن
بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة موكدة بمنزلة لام
القسم في استجلاب النون الموكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والاخرة
او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرا
يعقوب برواية رويس او نرينك باسكان النون وكذا نذهبن فانا عليهم
مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرايع
وقرئ اوحي على البنا للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج

(هامش: فغلب المشرق صح)
(هامش: عمى صح)

له

تة

له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسالون اي عنه يوم القيامة
وعن قيامكم بحقه واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسال اممهم
وعلما دينهم اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الا ونان
وهل جات في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبيا على التوحيد
والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما
حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه
فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومناقضة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قولهم صح
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجوا وقت ضحكهم منها اي استهزوا بها اول ما راو ها
ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى
درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات
والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض كقوله
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يسري بها الساري •
او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار
واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه
يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة
شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا وقرا ابن عامر
بضم الها ادع لنا ربك اي تدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون ون
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجوا نكث عهدهم بالاهتدا
ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف
العذاب عنهم مخافة ان يومن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه
الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة انهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر صح
ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو
اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدا
والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه
المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين الكلام لما به

(هامش: ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة صح)

لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير
اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب
والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه
اساورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب
واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد
قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور
جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى
او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من
قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه
فطلب منهم الخفة في مطاوعته او استخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم
كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا
بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار
يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم
وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف
كصابر وصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على
انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما
ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون
انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش
منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما
به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن
الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا آلهتنا
خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او
آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت

آلهتنا

آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرا الكوفيون ءآلهتنا
بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ويعقوب برواية روح ما
ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة
لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص
على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني
اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك
الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير
اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض
والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك
وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز
خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله
سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط
الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه
وقرئ لعلم اي لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده
حربة يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح
فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه
السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس
ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام
بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعوا هداي (واتبعون صح)
او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم امر ان
يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان (الذي ادعوكم صح)
عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم
للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او
بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا
ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه
السلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغكم عنه
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد

التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامر
وهو تتمة كلام عيسى او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة
في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او
اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من
المتحزبين من عذاب يوم اليم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير
لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون
الا اتيان الساعة بغتة فجاة وهم لا يشعرون غافلون عنها لا
شتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم
لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق وظهور ما كانوا
يتخالون سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى
نافعة ابد الابدين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين امنوا (وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء صح)
باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين امنوا
مخلصين غير ان هذه العبارة اكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوههم او
تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة
المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب
الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه
على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد
من الزوائد في التنعيم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل
موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني
الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها او صفة الجنة
والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبر صح)
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام
نوعها ولعل تفصيل التنعيم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران وهو
حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة

ان

ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين
بالايات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر ان
او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من
فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في
العذاب مبلسون ايسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال
على الترخيم مكسورة ومضمومة ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون
تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك
والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي
ابلاسهم فانه جوار وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا
خلاص لكم بموت ولا بغيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال
وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه فكانه مع
تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في
اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب
الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول (ـه)
عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام
يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم
بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم
بالله وبما يصح له واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد (وما لا يصح صح)
تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ
المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان
هاهنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء
معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد (لانتفائه صح)
ليس لعناد ومراء بل لو كان (لكان) اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه
ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الانفين
منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما

كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا
ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرات عما يتصف
به ساير الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اي القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى
وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى
المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا
الله والراجع مبتدا المحذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف
عليه ولا يجوز جعله خبرا لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة له
وقدر لانه مبتدا المحذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة
على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي
الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية
وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة
التي تقوم القيامة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرا نافع وابن عامر
وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله
الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح
فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العا
بدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره
فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول
الرسول ونصبه على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله
اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرى بالرفع
على انه مبتدا اخبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف
على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف
الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير مضاف وقيله يا رب

للعطف

قسمي

سورة الدخان

آيسا

قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم موايسا عن ايمانهم وقل
سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد
لهم وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا
عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون سورة الدخان مكية
الا قوله انا كاشفوا العذاب وهي سبع او تسع وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القران والواو للعطف
ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة
في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا
من اللوح المحفوظ ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها
لذلك فان نزول القران سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها
من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها
يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة
ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر
لانه صفتها كتنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرى
يفرق بالتشديد ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا
اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وفيه مزيد
تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا او ضميره المستكن في حكيم
لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله
مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى
امرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد
لاجل الرحمة وقرى رحمة اي تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع
اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها
لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر
اخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم
اذا سيلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين

يكون

عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة

اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشا
هدون ربكم ورب ابائكم الاولين قرئ بالجر بدلا من ربك بل هم
في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي
السما بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين
السما كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهوا يظلم عام القحط لقلة
الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا
حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السما لان ذلك
يكفه الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة
لما روي انه عليه السلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة
الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره
او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون مقدر بقول وقع حالا
وانا مومنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى
من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين
بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الايات والمعجزات ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اي قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض
ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعا النبي
عليه السلام فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا
وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر
الدخان بما هو من اشراط القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة
الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون
لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش اي
نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو
التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال
موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم
وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم
على الله او على المومنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان

ادوا

يغشاهم صفة للدخان وقوله

ادوا الي عباد الله اي بني اسرائيل اي ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا
الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان
مخففة ومفسرة لان مجي الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول
امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على وحيه
وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة
بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها اني اتيكم بسلطان مبين علة للنهي
وذكر الامين مع الادا والسلطان مع العلا شان لا يخفى واني عذت
بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا
او شتما او تقتلون وقرئ عدت بالادغام فيه وان لم تومنوا لي
فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الى بسوء فانه
ليس جزا من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلا
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعا عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك
سماه دعا وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال
اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا ابن كثير ونافع بوصل الهمزة من
سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك
البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جا
وزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيا ليدخله القبط انهم
جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة
تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك
الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل
المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم في شي وهم بنوا اسرايل
وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السما والارض
مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم
السما والارض وكسفت لمهلكه الشمس في نقيضه ومنه ما روي في الاخبار ان
المومن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل
تقديره فما بكت عليهم اهل السما والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت
اخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناهم
من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب

مبين

ابو عمرو وحمزة والكسائي

بان هؤلاء

على الاستفهام

او حالا من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ مَن فرعون تنكيرا له لنكر ما كان عليه
من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان
كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد
اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم
يزيغون في بعض الاحوال على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين
لكثرة الانبياء فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عما حل بهم ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا
الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية
ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات الموتة التي
من شأنها كذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار
بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن
التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد
وثمود اهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم كفار قريش او حال
باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع
المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين
وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها
ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضى الدليل من الايمان والطاعة
او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل
الحق من الباطل والمحق من المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه
ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي
ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة
لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى عن مولى من قرابة او غيرها
شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول
باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه
من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى

الزقوم

كثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم

عن قتل

مات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي

بصدد

الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله
وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في
البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل
اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غلي الحميم خذوه على ارادة
القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء
وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي
وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي بالفتح
اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم
امين يأمن صاحبه من الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام
جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير او استئناف
والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة
متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم
مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء
البيضاء العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون
فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا
يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين بل يحيون فيها دائما والاستثناء
منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن
يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها والاستثناء للمبالغة
في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا
امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا
منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن
المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك

الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم

ان هذا العذاب

في الجار والمجرور

قة

والعيناء

من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى

وموعظة لهذه السورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما
لم يتذكروا به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل
بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا
له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب
احتجت الي اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل
مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته
وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمومنين وهو يحتمل ان
يكون علي ظاهره وبكون المعني ان في خلق السموات لقوله وما يبث من
دابة ولا يحسن عطف ما علي الضمير المجرور بل عطفه علي المضاف اليه باحد
الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الي غير ذلك
دلايل علي وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون محمول علي محل ان
واسمها وقرا حمزة والكساي ويعقوب بالنصب حملا علي الاسم واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السما من رزق من مطر وسماه رزقا
لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف
جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكساي وتصريف الريح ايات لقوم
يعقلون فيه القراتان ويلزمهما العطف علي عاملين
الا ان يضمر في او ينصب ايات علي الاختصاص تلك ايات الله اي تلك الايات
دلايله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون اي بعد
ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد
وكرمه او بعد حديث الله وهو القران لقوله الله نزل احسن الحديث
كتابا واياته دلايله المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين وقرا
الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يومنون بالياء ليوافق ما قبله
ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم يسمع ايات الله تتلي عليه
ثم يصر يقيم علي كفره مستكبرا عن الايمان بالايات عن الايمان بالايات
وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله يري غمرات الموت ثم
يزورها كان لم يسمعها كانه مخفف حذف ضمير الشان والجملة في
موضع الحال اي يصير مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم علي اصراره
والبشارة علي الاصل او التهكم واذا علم من اياتنا شيا واذا بلغه شي

من اياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يري فيها ما ينافي
الهوي والضمير لايات وفايدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه
من الايات بادر الي الاستهزا بالايات كلها ولم يقتصر علي ما سمعه او
لشي لانه بمعني الاية اوليك لهم عذاب مهين من ورايهم جهنم من
قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغني عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيا من عذاب الله ولا ما
اتخذوا من دون الله اوليا اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه
هذا هدي الاشارة الي القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم
والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح
يطفوا عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك
فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه بان خلقها نافعة لكم حال من ما اي سخر هذه
الاشيا كاينة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات
وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة علي المفعول له ومنه
علي انه فاعل سخر علي الاسناد المجازي ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
في صنايعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب
عليه والمعني قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقايعه باعدايه من قولهم ايام العرب لوقايعهم
او يتاملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المومنين وثوابهم ووعدهم بها
والاية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة
باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة
للامر والقوم هم المومنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او
التحقير او الشيوع والكسب المغفرة والاساة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة
والكساي لنجزي بالنون وقري ليجزي قوم وليجزي قوما اي ليجزي الخير والشر
او الجزا يعني ما يجزي به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول
ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها
عقابه ثم الي ربكم ترجعون فيجازيكم علي اعمالكم ولقد اتينا بني اسرايل
الكتاب التوراة والحكم الحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات

وفي خلقكم

او رفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الايات الثلاث في الدقة والظهور

منه

او خبر لمحذوف

والنبوة اذ كثر فيهم الانبيا ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما
احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم يوت غيرهم
واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل
ايات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمواخذة
والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر من امر الدين فاتبعها
فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون اراء الجهال
التابعة للشهوات وهم روسا قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم
لن يغنوا عنك من الله شيا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اوليا بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين
فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع الشريعة بصائر للناس
بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة من الله
لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نساويهم وهو ثاني مفعولي نجعل
وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان
المماثلة فيه ان المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة
كما هو للمومنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب
على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان
الثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل
او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة
وترك المواخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة او استيناف مقرر
لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرى مماتهم بالنصب
على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا
او بيس شيا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه
دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل
يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا
لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت على ما لحق لانه

اي نصيرهم

عطف

في معنى

في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله
الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من
اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده
وقرى الهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه
رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه
وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على
بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة
فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرى تتذكرون
وقالوا ما هي ما الحياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى
اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقا
اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس
وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقا العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث
الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او
كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بنا على التقليد
والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة
على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث
يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين وانما
سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشي حالا امتناعه مطلقا قل الله
يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب
فيه فان من قدر على الابدا قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء
على ما مر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها واذا كان
كذلك امكن الاتيان بابائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما
يحسونه ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويوم بدل منه وترى كل امة جاثية

لوجه

تعميم للقدرة بعد تخصيصها

مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أي جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم كل أمة تدعى إلى كتابها صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على أنه بدل الأول وتدعى صفة أو مفعول ثاني اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان إنا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون أعمالكم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم أي فيقال لهم ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الإيمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الإجرام وإذا قيل إن وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو أو متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها إفراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم إن قلتم ما ندري ما الساعة أي شيء الساعة استغرابا لها إن نظن إلا ظنا أصله نظن ظنا فأدخل حرف النفي والاستثناء لإثبات الظن ونفي ما عداه كأنه قال وما نحن إلا نظن ظنا أو لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم أكده بقوله وما نحن بمستيقنين أي لإمكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وبين ما تليت عليهم من الآيات في أمر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم أن لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه لفوات أوانه فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين إذ الكل نعمة منه

الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السماوات والأرض إذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا وأجل مسمى وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما أنذروا من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل تعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسماوات احترازا عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق بالتوحيد أو أثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الأمر به إن كنتم صادقين في دعواكم وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ إثارة بالكسر أي مناظرة فإن المناظرة تثير المعاني وأثرة أي شيء أوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه والمكسورة بمعنى الأثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم إلى يوم القيامة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لأنهم إما جمادات وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابد

وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه
موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتامل
هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا
الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون
لي من الله شيئا ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف
اجترئ عليه واتعرض لعقابه من غير توقع ولا دفع ضرر من قبلكم هو اعلم
بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا
بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو
وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب
وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بدعا
منهم ادعوكم الى ما لا تدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو
الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم
او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل
اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة
منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا
ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من
الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة
قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان
تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني
اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو
عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من نعت
الرسول عليه السلام على مثله مثل القران وهو ما في التوراة من المعاني
المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله
فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله
لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن
ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا

للذين

للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام ما سبقونا اليه
وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر
وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين
اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير
الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب
لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما
بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه
لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة
على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف
من الله سبحانه وتعالى وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي
باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله
او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب
بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة
في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف
اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية و
العملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل
عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون
احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام
بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر
وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه
قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك
عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حي مستكمل مدة العمر • ومود اذا انتهى امده •

ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة

في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه
للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه
قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط
حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته
وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين قال رب
اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي
انها نزلت في ابي بكر لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار
سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب
رضا الله عز وجل واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك
واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم
او مثابين معدودين منهم وعد الصدق مصدر موكد لنفسه فان يتقبل
ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال
لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها
في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص
وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام
اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد
منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسئلانه ان يغيثه
بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما
يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين
اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو
يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب
عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من
الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف
ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب

وليو

وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان
بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين
كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة
كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير قراه بهمزة
ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في
حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم
تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل و
الفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني
هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيه انحناء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من احقوقف الشيء
من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود
ومن بعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن
آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من
الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم
ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته
المقدر له وابلغكم ما ارسلت به اليكم وما على الرسول الا البلاغ
ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل
اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا
هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما
استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون
بدلا من ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم
واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد في نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوايد سبق
ذكرها مرارا وقرئ تدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العايد

وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك ... فيكون العايد محذوفا ... ان يكون استئنافا

محذوف او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل
ممكن فنا مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر ويكون الهاء لكل شي فانه بمعنى
الاشيا فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اي فجاتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا
بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي
لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين
روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمومنين في الحظيرة وجات الريح فا
مالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت
عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان
نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها
هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي
او في شي ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون ادناه الخطوب

والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة
واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا
بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شي من الاغنا وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة
لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك
حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم
يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات بتكريرها
لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة فهلا منعتهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث
قالوا هولاء شفعاونا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف
وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة وقربانا حال او مفعول
له على انه بمعنى التقرب وقري قربانا بضم الرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم
وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك
الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقري افكهم ... بالتشديد
للمبالغة وافكهم اي جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك
وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر
دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القران حال محمولة على المعنى فلما حضروه

اي

اي القران او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه
فلما قضي اتم وفرغ من قراته وقري على بنا الفاعل وهو ضمير الرسول عم
ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا
رسول الله بوادي النخلة عند منصرفه من الطايف يقرا في تهجده قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم
كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه
يهدي الى الحق من العقايد والى طريق مستقيم من الشرايع يا قومنا اجيبوا
داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون
في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم
هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والاجارة
على انه لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني ادم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب من هذا شانه او
لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنتقص ولا تنقطع بالايجاد بقادر
على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراة يعقوب يقدر والبا مزيدة
لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في خبرها ولذلك اجاب عنه بقوله
بلى انه على كل شي قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على
المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد
ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس
هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ
لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم
فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع
اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة
الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون
على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرا
هيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمد
ركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى

لم يصنع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم اي لكفار قريش بالعذاب فانه نازل
بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ
هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ او كفاية او تبليغ من الرسول
ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم
وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون ما
الخارجون عن الاتعاظ والطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك
وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال

سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي سبع او ثمان وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين
يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر
وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ
الجوار ضالة اي محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن
او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد
لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله
والذين امنوا وعملوا الصالحات هم المهاجرون والانصار والذين امنوا
من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب
الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه
ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيقته بكونه
ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل با
لتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم
حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال
والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع
هؤلاء الحق وهذا التصريح بالاشرية ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال

الناس

مثلا

الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال
مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا
لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا
الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول
ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعارا بانه ينبغي ان
يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم
اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم
واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء
فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق
وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير
الامام بين القتل والمن والفدا والاسترقاق منسوخ عند الحنفية
او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او والاسترقاق
وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التي لا
تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او
مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو
غاية للضرب او الشد او للمن والفدا او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول
عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن
امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع
بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرا البصريان و
حفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل
من ضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها
فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه
كانه ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها
لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان
تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق
الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا

بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين صح

ويضل

ونقيضه لعا كما قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب
اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف
عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي القرآن لما فيه التوحيد والتكاليف المخالفة
لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس
والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر
موضع الضمير امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير
يدل عليها او للسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين
آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو
لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين
عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجرا احكامه على المضاف اليه والا
خراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع
عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن
او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي
واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن الحجة مثل الجنة التي
وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن
هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل
الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف
استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع
للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره
افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين له وما
بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة
فيها انهار من ماء غير آسن استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف
او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث
وقرا ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار

من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار
تانيث لذ او مصدر نعت به او يجوز وقريت بالرفع على صفة الانهار والنصب
على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها
وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في
الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها
ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط
الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا
يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم
لعلماء الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء
واستعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء
لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وايتنف وهو ظرف
بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرا ابن كثير انفا اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا بها وتهاونوا
بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام
او قول الرسول عليه السلام وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم
على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون
غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها
كالعلة له وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم والمعنى ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي
عليه السلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم
الساعة بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت
عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها
وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم
بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف
اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم بالدعاء فانها جنس آخر فان الذنب
ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد

باضمار ذات

ظهر صح

لم تقطعها منواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا
لمعادكم ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر
الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال
اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل
لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعا عليهم بان
يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف
اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة
ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده
اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا
من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم
عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية
وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة
الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقا بان
يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على
لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان
توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد
وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطيع
اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون
سبيله افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل
اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها
مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال
مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي ما كانوا عليه

سن

من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلايل الواضحة والمعجزات
الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكباير من السول
وهو الاسترخا وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه
ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن
رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان
سول لهم واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني او امهلهم الله ولم
يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم اي وانا املي لهم فتكون الواو
للحال او الاستيناف وقرا ابو عمرو واملي على البنا للمفعول وهو ضمير
الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال
اليهود للذين كفروا بالنبي عليه السلام بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او
المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض
اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في
الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها
قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم
على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون
حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي
الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول
وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد
وغيرهما من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في
قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين
اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلايل تعرفهم
باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام
الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف
ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم
فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر
بالجهاد وساير التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصا

٥٠١

على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم
عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا ابن كثير الافعال الثلاثة بالياء
ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى
هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم
او لن يضروا رسول الله بمشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم
الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى
ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره
وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر
ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا
وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرا ابو بكر
وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم
اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او
حميم فافردته عنه بالوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحياة
الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب
اعمالكم وتقواكم ولا يسالكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع
العشر وعشره ان يسالكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا
ويخرج اضغانكم على رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون
او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم
هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله
استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم
نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على
الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل
عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه
امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم فان

فان

وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته

فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل
قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد
في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال
هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القتال محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح
مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وهي تسع وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير
عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح
الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب
لفتح مكة وفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الا
سلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهو انه نزح ماؤها بالكلية
فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم
غلبوا على فارس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام في سورة
الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك
الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك
واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة من ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح
ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك
صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا
نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل
السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق
النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات
والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر علة لما
بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر
ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة
ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر ليزدادوا

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك
اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او
دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل له
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم
دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن
كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف
اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما مصدر في الاصل وغضب
الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوها في الاخرة على ما استوجبوه
في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد و(الغضب)
سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما انا ارسلناك شاهدا
على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية
دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه
بسكون العين وتعزروه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر
نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله (وفى بعهده) في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما
هو الجنة وقرئ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب
هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف
العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ
لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله
على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار
والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان

اراد

[هامش: عزيزا حكيما — بضم الزاي وكسرها — عاهد وقرئ]

اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا
حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله
بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستاصلونهم جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد
التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم
قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم
يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره
كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا
رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض
ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي على غضبي سيقول المخلفون يعني
المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام
رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل
المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر
انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي
كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل
تهيئتهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا اي نشارككم في الغنائم
وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان
لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم
بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في
الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد يعني
بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركين فانه قال تقاتلونهم
او يسلمون يكون احدى الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه

[هامش: واهلون — ورسوله — تقاتلونهم]

قراة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة
ابي بكر اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف او هوازن فان
ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول
تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة
في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما
لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من
الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل
الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير
على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا
انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما
نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه
الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا
رسول الله اصحابه وكانوا الفا وثلاثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة
فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس
بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها يعني خيبر
وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم
خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان
او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في
حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على
محذوف هو علة للكف او لعجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف
مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه
على الله واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره
قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها
باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى

فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر

فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا
لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم
سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى
من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف
ايديهم عنكم اي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند
فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح
واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله
وكان الله بما تعملون بصيرا من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا
لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام
الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول
ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه
الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث
احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم
لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال
وطئتنا وطئا على حنق ✽ وطء المقيد ثابت الهرم ✽
وقال عليه السلام ان اخر وطاة وطاها الله بوج وهو واد بالطائف
كان اخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس وهو
بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا
عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا
محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين
بين ظهراني الكفار جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم
ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا

صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته او في توفيقه لزيادة
الخير او للاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل
والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم
في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الثبات والوقار وذلك
ما روي انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع في عامه على ان تخلي له قريش
مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي
رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك
اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا
نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما
يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله
السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة
او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفا
بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا
احق بها من غيرهم واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم
اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى عليه
السلام انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر قال بعضهم
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر وهو العام القابل
ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق
وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل عنه وان
يكون قسما اما باسم الله او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام
جوابه على الاول جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل البيت او غيبة او حكاية لما
قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه امنين حال

من

من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم
ومقصرا اخرون لا تخافون فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك
فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح
خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه
على جنس الدين بنسخ ما كان حقا واظهار ما كان باطلا او بتسليط المؤمنين
على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده
من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات
محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة
ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء
على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم
يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر او
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم
من اثر السجود يريد بها السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى
من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن
في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها
كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها ومثلهم في
الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين كزرع تمثيل مستانف
او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اشطا الزرع
اذا فرخ وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطاه بفتحات وهو
لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل
حركة الهمزة وشطوه بقلبها واوا فازره فقواه من الموازرة وهي المعاونة
او من الايزار وهي الاعانة وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان فا
كاجر في اجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع
بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة
قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب
الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه

ملتبسا به او بسببه او لاجله
فسادهم
قاتهم
وحذفها
زره

او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة
شرفها الله تعالى وعظمها سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك
لان المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدم
منهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم
بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين لليدين الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد
بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب
اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم
بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذا
كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من
صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه
باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير
الندا لزيادة الاستدعا للاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على
استقلال المنادي له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة
ان تحبط فتكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار
التادية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك
اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن
قيس كان في اذنيه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت
هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك
من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون
اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة النهي
قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كان يسرانه حتى يستفهما اولئك الذين

امتحن

امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار
الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها
لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وساير طاعاتهم
والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين
احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن
لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال
مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر
وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشات
من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد
وان يختلف المبدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع
حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة
وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه
السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة
حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل
الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا
على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج
الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن
كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت
بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر
ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك
تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي
اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام
او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال
لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني

الصبر فاطلق النصف وقادي النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهولاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه السلام يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه
السلام بعث به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد
ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير
الفاسق والنبا للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز
قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شي بكلمة ان عدم عند عدمه وان
خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب
يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا
اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة
جاهلين حالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما
متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر على الدوام واعلموا
ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار
ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال
من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فايدة والمعنى ان
فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم
في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والعنت وفيه اشعار
بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان
وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك
منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويويده قوله اولئك هم
الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي
وكره متعدي بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما
تضمن معنى التبغيض نزل كريه منزلة بغض والكفر تغطية نعم الله بالجحود
والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فان
الفضل فعل الله والرشد من فضل الله وانعامه والله عليم باحوال المومنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان

وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به

فعدي الى اخر بالى

وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد

من

من المومنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعا الى حكم الله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى
تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به
وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما
على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل هاهنا لانه مظنة الحيف من حيث
انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين
يحمد فعلهم بحسن الجزا والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده
عليه السلام بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مومن وانه اذا قبض
عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المومنون اخوة
من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية
وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفا
فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى الما
مورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل
من يقع بينهما الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ اخوتكم
واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا
من نسا عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض
اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال
لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقايم كزاير وزور والقيام
بالامور وظيفة الرجال كما قال الله الرجال قوامون على النسا وحيث فسر
بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفا بذكر الرجال
عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى
باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغنا الاسم عنه
وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا
انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المومنين كنفس واحدة او لا تفعلوا
ما تلمزون به فانه من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرا يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب

ونة

كم

ن

وان كان النبز يختص بلقب السوء عرفا

السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين
ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما
تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت
في صفية بنت حيي اتت رسول الله فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت
يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام
او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب
عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه
من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من
العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث
يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية
ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق
العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا
تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما
فيه الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء
في غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه
فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم
اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في
غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا
وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى
ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فلا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا
على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم
لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ
في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم
او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله
يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما

سلمان

من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس

٥٠٧

سلمان بذلك فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من ادم وحوى او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء
في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة
المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس
فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف
بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام
ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى
بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال
عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس
انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم
بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا
المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون
الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة
قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول عليه الصلاة والسلام
بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة
يشعر به وكان نظم الكلام ان يقولوا لا تقولوا امنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا
من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره
شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقوله فانه حال من ضمير
اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من
اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لاته ليتا اذا نقصه وقرأ البصريان

لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم
بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه
اشارة الى ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب
في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهو كما في قوله
ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجا
هد بالاموال والانفس يصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها
اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون
الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات وما في
الارض والله بكل شي عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ
روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاوا وحلفوا انهم مومنون
معتقدون فنزلت هذه الاية يمنون عليك ان اسلموا يعدون
اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها
اليه من المن وهو القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة
الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع
الخافض او تضمين معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ
هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل
عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو
انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه
اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير
ان يمن عليك بل لو صح ادعاوهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله
بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في
ضمايركم وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع
الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد الكلام
فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على

سائر

سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
احد من جنسهم او من ابنائهم فقال الكافرون هذا شي عجيب حكاية لتعجبهم وهذا
اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعاره
بتعيينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من
البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع المضمر
وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان
كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه
ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد ان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار
لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا
اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد
اي بعيد عن الوهم او العادة او الانكار وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد
علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعاد
بازاحة ما هو الاصل وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول
الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ
عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء كلها بعلم من عنده
كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم
وقرئ لِما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا اخرج
وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا
حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله في خلق العالم كيف
بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق
بان خلقها ملسا متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع
صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا على الفعل
الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا
وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير
والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من

فعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ
باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض
والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا
او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة
لا نبات فيها كذلك الخروج كما احييت هذه البلدة يكون خروجكم احيا
بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون
اراد اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم
كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل
اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد
فوجب وحل عليهم وعيدي وهو تسلية للرسول وتهديد لهم افعيينا
بالخلق الاول افعجزنا عن الابدا حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم
يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد
اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق بل هم في خلط او شبهة في خلق مستانف
لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار
بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والبا مثلها
في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والبا للتعدية ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب
قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريد
عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من
الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر
متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما
يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما
ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء
والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن
اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني

عليه

٥٠٩

عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه
رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي
الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها ملك
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث
للجزا وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقون ذلك عن
قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي
وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والبا للتعدية كما في قولك جا زيد بعمرو
والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي
ينبغي ان يكون من الموت او الجزا فان الانسان خلق له او مثل البا في تنبت
بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او
لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان البا بمعنى مع وقيل سكرة الحق
سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه
والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان
احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق
كاتب السيات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه
والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضا
فته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول
والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر
فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد
نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمعنى
كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم
القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويويد
الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال
الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر

ملك يرقب عمله

بالعقل

يوق

نهماك

لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته
لجهنم لها باغوائي له واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها
وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا
في جهنم كل كفار خطاب من الله للسايق والشهيد او للملكين من خزنة
النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره
كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد
ابن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعدي مريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه
في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد
التاكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه ربنا ما اطغيته
اي الشيطان المقيض له وانما استونفت كما تستانف الجمل الواقعة
في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته
كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى
فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول
اعني مجي كل نفس مع الملكين وقوله قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته
عليه فان اغوا الشيطان انما يوثر فيمن كان مختل الراي مايلا الى الفجور
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي
الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فايدة فيه وهو
استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي
وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا
عالمين باني اوعدتكم والبا مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز
ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي
اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين
لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلايل العفو تدل على تخصيص
الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سوال وجواب جي بهما للتخييل

والتصوير

والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي لقوله
لاملان جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها
من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم او الطالب لزيادتهم
وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع
ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى
تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد
ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيا غير بعيد او
على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول
والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب حفيظ
رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي
الرحمن بالغيب وجا بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف
اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره
ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال
من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غايب او العقاب بعد غيب او هو غايب عن
الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب
وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملايكته ذلك يوم الخلود كقوله
ادخلوها خالدين لهم ما يشاون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم
مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في
البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفا على الاول
للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشي
والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل
مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا
مثله لانفسهم ويويده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب
خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما
ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر
في حقايقه او القى السمع او اصغى باستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم

معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب
وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب من تعب
واعيا وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون
ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعيا
قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح
بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له
على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه
بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلاة جمع دبر وقرا الحجازيان وخلف
وحمزة بكسر الهمزة من ادبرت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة
قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما يخبر
به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المناد اسرافيل
او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل
نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب
بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة
الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من
القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا
والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق بادغام التاء في الشين وقرا الكوفيون
وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا
يسير هين وتقديم الظرف على الاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد
لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقهرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد
وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة

الذاريات

والذاريات مكية وهي ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات
ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد
او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام
التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة
للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر
فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر [سهلا او الرياح الجارية في] مهابها او الكواكب التي تجري في
منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة
التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب
القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف الرياح فان حملت على ذوات مختلفة
فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال
القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى
ينعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء
العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات
الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها
تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال
ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك
كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو
قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيامة
او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها
وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك
عنه من افك يصرف عنه الرسول او القران او الايمان اذ لا صرف اشد منه
فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان
يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف
وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما
وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس
عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله

الدعا بالقتل اجري مجري اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون متي يوم الجزا اي وقوعه وقري ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسوال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقي بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طايفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرايم وفي بنا الفعل على الضمير اشعار بانهم احقا بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسايل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين اي فيها دلايل من انواع المعادن والحيوانات او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الما واختلاف اجزايها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم ايات اذ ما في العالم شي الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السما رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسما السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السما السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة

في

[margin:] او بيوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قري بالرفع

[margin:] النوم

في السما وقيل انه مستانف خبره فورب السما والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل لما ذكر من امر الايات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعني شي وان بما في حيزها ان جعلت زايدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويويده قراة حمزة والكسايي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والجمع والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكاييل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقريا مرفوعين وقرا حمزة والكسايي قال سلم وقري منصوبا والمعني واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون انما انكرهم لانه ظن انهم بنوا ادم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادره بالقري حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجا بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما راي اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راي اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاوا لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملايكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليه السلام عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها من الحيا وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا

[margin:] ان يكون له ولد

[margin:] ابراهيم اذ

[margin:] فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها

كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه
هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل
فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة
وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان
فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين
ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من
المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك
لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما
لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها اية علامة
للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر
منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا
فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كالعصا واليد البيضاء فتولى بركنه
فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر او مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن
وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم اتى بما يلام عليه
من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم
تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت
عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي
ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة
اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق
وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام
كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا

عجز

اي هو ساحر

مرت

عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم
نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز عطفا على محل في عاد ويؤيده
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فا
سقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد
بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر
على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها
مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس
خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات
وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان
والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك او
عصى نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى
او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي
كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه
جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم
الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول
عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار
والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ
وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه
او من امن فانها تزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
لما خلقتهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها
مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة
او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي
ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والما
مورين به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع
عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان

ان يكون و

ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين ... افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه ... مبين صح

ان يقد ريتقل فيكون بعني قوله له قل لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق
الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايما باستغنايه عنه وقرئ اني انا الرزاق
ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا
ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب
اصحابهم مثل نصيب نظرايهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة
السقاة الما بالدلا فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو فلا يستعجلون
جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون يوم القيامة او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت
في الدنيا سورة والطور مكية وهي تسع او ثمان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل
بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله والطور الجبل بالسريانية
او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم
الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح او الواح موسى او في قلوب اوليا[يه]
من المعارف والحكم او ما يكتبه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما
للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السما
الرابعة وعمرانه بكثرة غاشيته من الملايكة او قلب المومن وعمارته
بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السما والبحر المسجور اي
المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى
يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو
الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه
دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على قدرة
الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور
السما مورا تضطرب والمور تردد في المجي والذهاب وقيل تحرك
في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض
فتصير هبا فويل يوميذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين
هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار

جهنم

الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه

جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم
الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعا فيكون دعا حالا بمعنى مدعو
ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق
ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون كما
كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت
في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اي ادخلوها على اي وجه شيتم من الصبر وعدمه سوا عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون تعليل للاستوا فانه لما كان الجزا واجب الوقوع كان الصبر
وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي
نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم
وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم
عطف على اتاهم او جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن
في الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيا
اي اكلا وشربا هنيا او طعاما وشرابا هنيا وهو الذي وهو الذي لا
تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زايدة وما فا[عل]
والمعنى هنا كم ما كنتم تعملون اي جزاوه متكيين على سرر مصفوفة مصطفة
وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية
اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقا
مومنين وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان
اعتراض للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التا للمبالغة
في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرا ابو عمرو واتبعنا
ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير
او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة
في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه
عليه السلام قال مرفوعا ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرا نافع وابن عامر والبصريان
ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شي بهذا الالحاق فانه

بحيث لا يكون تنقص مرتبة الاباء او باعطاء الابناء بعض مثوبات الاباء ثم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرا ابن عامر وابن كثير الته بكسر اللام من الت الت وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت وولتناهم من ولت يولت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكه والا اهلكه وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما ياثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراها ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيانه معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نساله الوقاية انه هو البر المحسن وقرا نافع والكسائي انه بالفتح الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله

مثل

مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عد فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا وقرا قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسالهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب

ولاهم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم
والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او
المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقايك في عنايهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث
نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ
وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلاة ومن
الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك
افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم
من اخر الليل وقري بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والطور كان حقا على الله ان يومنه
من عذابه وان ينعمه في جنته من احسانه سورة النجم مكية وهي
ثنتان وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى
اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه اذا اطلق انصرف اليه او النجوم اذا غربت او انتثرت يوم القيمة او انقضت او طلع
فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا اذا علا وصعد
او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما
وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق
المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون
اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو
ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله
اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد
كان اجتهاده او ما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون
بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه
الواسطة في ابدا الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى
السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله
ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها
وقيل ما راه احد من الانبيا في صورته غير محمد عليه السلام مرتين مرة في
السما ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق
الاعلى في افق السما والضمير لجبريل ثم دنى من النبي عليه السلام فتدلى
فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول فيكون اشعارا بانه عرج به

غير

غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق
كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمار
المعلقة فكان جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الازار او المسافة
بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى
الى عبده جبريل عليه السلام ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للوحي به او
الله اليه وقيل الضماير كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في
قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه
جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفواد ما راى ما راى ببصره
من صورة جبريل او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فواده لما راه لم
اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقيل ما
راه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره ويدل
عليه انه عليه السلام سيل هل رايت ربك فقال رايته بفوادي وقرا
هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه
عليه من المراء ما بينه قرينه او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى
لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصد ان بفعلهما غلبة
الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نحلة من النزول
اقيمت مقام المرة ونصبها نصبها اشعارا بان الروية في هذه المرة
كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المري والدنو ما سبق وقيل تقديره
ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن
المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها اعمال الخلايق وعلمهم
او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي
شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السما السابعة
عندها جنة الماوى الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهدا اذ يغشى
السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها الجم الغفير من الملايكة
يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عما راه وما
طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن روية
العجايب التي امر بروييتها وما جاوزها لقد راى والله لقد راى من ايات

[Margin notes:]
غلب فيه

ويا يؤتو

ثم قلبها

نة

الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها

ولونه
وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء

يرى

بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها

ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من اياته وعجايبه الملكية والملكوتية
ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان تكون الكبرى صفة
للايات على ان المفعول محذوف اي شيا من ايات ربه او من مزيدة افرايتم
اللات والعزي ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات
كانت لثقيف بالطايف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوي لانهم كانوا
يلوون عليها اي يطوفون وقرا هبة الله عن رويس عن يعقوب اللات
بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن
ويطعم الحاج والعزي سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناة اذا قطعه
فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرا ابن كثير مناءة وهي
مفعلة من النوء كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة
الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في
الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جايرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم اليا كما فعل
في بيض فان فعلى بالكسر لم تات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضازه اذا
ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسما الضمير للاصنام اي ما هي
باعتبار الالوهية الا اسما تطلقونها عليها لانكم تقولون انها
الهة وليس فيها شي من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من
كونها الهة وبنات وشفعا او للاسما المذكورة فانهم كانوا يطلقون
اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها
ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها
سميتم بها انتم واباوكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان
يتعلقون به ان يتبعون وقرى بالتا الا الظن الا توهم ان ما هم
عليه حق تقليدا او توهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه
انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان
ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم لين رجعت الى ربي ان لي

بنات الله وهذه الاصنام استوطنتها جنيات من بناته او هياكل الملائكة صح

عنده

عنده للحسنى وقوله لولا نزل القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها
فلله الاخرة والاولى يعطي منهما لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي
منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا وكثير من الملا
لا تغني شفاعتهم شيا ولا تنفع الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشا من الملايكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه
اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يومنون
بالاخرة ليسمون الملايكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم
بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرى بها اي بالملايكة او التسمية
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا فان الحق الذي هو
حقيقة الشي لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية
وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كا
منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على البا
ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه
علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعرا
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم
اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين
يجتنبون كباير الاثم والفواحش ما يكبر عقابه من الذنوب وهو
ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكساي
وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش الا اللمم الا
ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكباير والاستثنا منقطع ومحل
الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك
واسع المغفرة حيث يغفر الصغاير باجتناب الكباير وله ان يغفر
ما شا من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيين
ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب

ما يشا — يكة — نت — طل — ض

خلقا وملكا صح

بعقاب ما عملوا من السو ونحوه او بسبب ما عملوا من السو وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم كذلك صح

ما فحش من الكباير خصوصا صح

العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب
بخلق ادم وحيث ما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكا العمل
وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذايل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره
منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم عليه السلام افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات
عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطا من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي
الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين فقال انك تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى عذاب الله تعالى فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب
فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفا بما عاهد الله وتخصيصه بذلك
لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين القي في النار
فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه
وهي التوراة كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان
هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على
هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ
احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرايل انه من
قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه
السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك
للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي
كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جا في الاخبار من ان الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنايب عنه وان سعيه سوف يرى
ثم يجزاه الجزا الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزا الاوفر فنصبه بنزع
الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الها للجزا المدلول عليه بيجزى
والجزا بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلايق ورجوعهم وقرى بالكسر
على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى
وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره فان القاتل

ينقض

ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة وانه
خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر
منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وفا
بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأه
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها
لانها اشرف الاموال وارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب
الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد
اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك
كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار
بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح
وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرى عادا لولى
بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد الاولى بادغام التنوين
في اللام وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه فما ابقى الفريقين
وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم
واطغى من الفريقين لانهم كانوا يوذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون
به حراك والموتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى
قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل
وتعميم لما اصابهم فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول
او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها الاء من قبل
ما في نقمة من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمومنين هذا
نذير من النذر الاولى اي هذا القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة
او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة
ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او
الان تأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه
سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم
وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع

الاحياء

شعار

وقرا نافع وابو عمرو عادا لولى بضم اللام محركة الهمزة

من قبل

وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف

عة

راسه او مغنون تشغلون الناس عن استماعه من السمود وهو الغنا فاسجدوا
لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة
القمر مكية وهي خمس وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله اية فانشق
القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد
انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق القمر
وقوله وان يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر
مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله ايات اخر مترادفة ومعجزات
متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته
او مستبشع من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا
يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره
وذكرها بلفظ المضي للاشعار بانها من عاداتهم القديمة وكل امر مستقر
منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة
فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو استقر
بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة
ولقد جاءهم في القران من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الاخرة
ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب
دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا
وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز
نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني
النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار
فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداعي اسرافيل
ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء
بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء
نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ
ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من
الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول

وافراده

وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على
الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا
يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر
في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي
اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب
كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا وهو تفصيل بعد اجمال
وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه
قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قولهم اي هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة
القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم فقد روي ان الواحد
منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول رب اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة
لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها
كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء
ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب
الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت
او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج
او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات
الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهو صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث
انها شرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا
جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة
من الله تعالى ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل
الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة
اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على
الاصل ومذكر بقلب التاء دالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام

رد ذلك بعد باسمهم صح

لقومه

تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القران للذكر
سهلناه او هيناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والا
تعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ
فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم بالعذاب
قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او
شديد الصوت في يوم نحس شوم مستمر استمر شومه او استمر عليهم حتى اهلكهم او
جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته وكان يوم الا
ربعا اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك
بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر
اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان
الريح طيرت روسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ
والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره
للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة
قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر
بالانذارات او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا
لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على
الابتدا والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من
احادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر كانهم عكسوا
عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر
الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع
علينا بادعايه اياه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم
القيمة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق
وطلب الباطل اصالح عليه ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس
ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم
حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير
انا مرسلو الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما
يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها

يوم

يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلا كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترا على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي
تناول الشي بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة
واحدة صيحة جبريل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس
المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس يجمعه
صاحب الحظيرة لماشيته في الشتا وقرئ بفتح الظا اي كهشيم الحظيرة
او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل نعمة من عندنا
انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة
ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا
بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا
اعينهم فمسحناها وسويناها كساير الوجه روي انهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي
ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملايكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم
بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب
مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة مستدع للادكار
والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ كيلا يغلبهم السهو والغفلة
وهكذا تكرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما
ولقد جاء ال فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك
كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر
لا يعجزه شي اكفاركم يا معشر العرب خير من اوليكم الكفار المعدودين
قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام انزل لكم في
الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن
جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار
والافراد لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم
بدر وهو من دلايل النبوة وعن عمر رضي الله عنه لما نزلت قال لم اعلم

صاحبه
الذي
او مسحرين
اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة صح
لا يغالب صح
منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعدا لا يغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع صح

ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول
سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق
بهم في الدنيا فمن طلايعه والساعة ادهى وامر اشد والداهية امر فظيع
لا يهتدى لدوايه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق
في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون
عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب
للتالم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته
اذا لوحته انا كل شي خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شي مقدرا مرتبا على
مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل وقوعه وكل شي منصوب
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتدا وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه
خبرا لا نعتا ليطابق المشهور في الدلالة على ان كل شي مخلوق بقدر ولعل اختيار
النصب هاهنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا
واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة
وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من
مدكر متعظ وكل شي فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير
مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس
او سعة او ضيا من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من
تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وهي ست او سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران لما كانت السورة
مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما
هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه فانه اساس
الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على
خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان
ايما بان خلق البشر وما يميز به عن ساير الحيوان من البيان وهو التعبير عما في
الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلا

الجمل

الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيها على نهج التعداد
الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
وتتسق بذلك امور الكاينات السفلية وتختلف الفصول والاوقات
وتعلم السنون والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض
ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان لله فيما يريد بهما
طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى
الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر
يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا
عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال
العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات
احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسما رفعها
خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل
ملايكته وقرئ بالرفع على الابتدا ووضع الميزان العدل بان وفر على
كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام
كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به
مقادير الاشيا من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السما بالرفعة
التي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما
فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب
الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود
من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا
تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في
الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه
به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من
ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر
والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وساير ما يتغذى به والعصف
ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم

خرجت اطلب من ريحان الله وقرا ابن عامر والحب ذو العصف والريحان اي
وخلق الحب اواخص ويجوز ان يراد ذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان
من الروح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء
للتخفيف فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله
للانام وقوله ايه الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الطين
اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله ادم من تراب ونحوه
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف الدخان من نار بيان لمارج فانه
في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما
في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين
ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث كل ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت
الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران
ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان
لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما
باغراق ما بينهما فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى
الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا
صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرا نافع وابو عمرو
ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي الاء
ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع
او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو
الجبل الطويل فباي الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد
الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها
وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب
او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات

وتفحصت

[هامش: والريحان ع]

[هامش: جعله طينا ثم حماً مسنونا ثم صلصالا فلا ينافي ذلك قوله خلقه من تراب ونحو]

[هامش: يخرج ع]

وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه
التي تلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام
فباي الاء ربكما تكذبان اي بما ذكرنا قبيل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على
صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة
الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه
في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل
على الحاجة الى تحصيل الشيء اليه في ذواتهم وصفاتهم نطقا كان وغيره كل
يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به
قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع
اخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فباي الاء ربكما
تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا
فحينا سنفرغ لكم ايه الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن
تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي
بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك
لثقلهما على الارض او لرزانة رايهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف
فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين الى الله فارين من قضائه
فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ولا تعقلون الا ببينة نصبها
الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي الاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير
والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية
والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلا يرسل عليكما
شواظ لهب من نار ونحاس دخان قال تضيء كضوء السليط لم يجعل
الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرا ابن كثير شواظ
بكسر الشين وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب
في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي
الاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي
بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت السماء فكانت
وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد

[هامش: من نفاد الارض]

[هامش: اخرجوا]

[هامش: لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون]

كقوله ❊ فلئن بقيت لارحلن بغزوة ❊ تحوي الغنائم او يموت كريم ❊
كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل
هو الاديم الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ
اي فيوم تنشق السماء لا يسال عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف
مراتبهم واما قوله فوربك لنسالنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء
للانس باعتبار اللفظ فانه وان تاخر لفظا تقدم رتبة فباي الاء ربكما
تكذبان اي مما انعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون
بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام
مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي الاء
ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم
او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي الاء ربكما
تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب
باحد المعنيين واضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة
كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف
الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين
منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او
روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة
التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر
وتمد الظل فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاءوا
في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي
الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج
ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين
او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب
يتناوله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي
الاء ربكما تكذبان فيهن في الجنات فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين

فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي الاء ربكما تكذبان

اوفيهما

اوفيهما من الاماكن والقصور او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على ان
الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباي الاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وهو الجنة فباي الاء
ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تلك الجنتين الموعودتين
للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان
خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على
هذين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان
نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباي الاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات حسان اي خيرات فخفف لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ
على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات
في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي
مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباي
الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل
الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض وعبقري
حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه
كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباي الاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته
وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي
الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه

سورة الواقعة مكية

وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة

او احدثت الشآمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر
او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله
او تكذب في نفيها كما تكذب الان واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل
وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلان نفسه في الخطب
العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما
وترفع اخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ
من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مجارها بنثر الكواكب
وتسيير الجبال في الجو وقرئ بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا
حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق
بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت
كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس
الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا
ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فاصحاب الميمنة ما
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب المنزلة السنية
واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها
بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما
باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون
السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير
تلعثم وتوان او سبقوا الى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدمو
اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم كقول ابي النجم وشعري شعري او
الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم
ثلة من الاولين وقليل من الاخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم من لدن ادم الى
محمد عليهما السلام الذي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم
اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في
اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي
اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل

وعرفت مالهم

وهو

وهو القطع على سرر موضونة خبر اخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون
مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره
والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم له والابريق ما له ذلك وكاس من معين
من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا تنزف عقولهم او لا ينفد
شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون
اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون
يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها
او ولهم حور وقرأ الكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي
هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال
اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه في الصفا والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما
ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما
بدل من قيلا لقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى
الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم
وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر
مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة
حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان
وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من
اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء
مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل
كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن
شبه به حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا
بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع
في وقت ولا ممنوعة ولا تمتنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن

قبضن

تبتدأ انشاء جديدا من غير ولادة ابدا واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا
عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب
وسكن الراء حمزة وابو بكر وروي نافع عن عاصم مثله اترابا فان كلهن بنات
ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا
او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من
الآخرين وهي على الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود
يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل
من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم
ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم
وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون كرر الهمزة
للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة
في قوله أوآباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم
زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن
عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله
ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة وامثالهم
لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها
البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث
الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير
للزقوم فانه يفسرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء
يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة شعر

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل الرمال التي لا تتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع
البيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر بوجه فلا اتحاد وقرأ نافع
وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فاذا كان ما ذكر

على انه هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك صح

لهم

لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل
ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون
بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من
قدر على الابداء قدر على الاعادة أفرأيتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه
بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم او اقتنا موت كل بوقت
معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب
من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه
على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن
بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق
بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم في ما لا تعلمون
من خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان
من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد
وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم
ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون
المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون
على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه
التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك
رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون
حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب
الصالح للشرب أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل
المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية
ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا
ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب
ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها
او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا
تشكرون امثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم النار التي تورون تقدحون
أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها

جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او
تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القوي
وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقويت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح
بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب
وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى
عما يقوله الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط
نعمته او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج
الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلا نا اقسم فحذف
المبتدا واشبع فتحة لام الابتدا ويدل عليه قراءة فلا قسم او فلا رد لكلام
يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها
من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها
وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقرا حمزة والكسائي
بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم
القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك
عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون
اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على
اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه
في كتاب مكنون مصون وهو اللوح المحفوظ لا يمسه الا المطهرون لا يطلع
على اللوح المحفوظ الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة
او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر
وقرئ المتطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي
انفسهم وغيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة
ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل
تنزيلا افبهذا الحديث يعني القران انتم مدهنون متهاونون به
كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى
الانواء وقرئ شكركم اي وتجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون
به وتكذبون اي بقولكم في القران انه سحر وشعر او في المطر انه من
الانواء

الانوا

الانواء فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم
والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم الى
المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن
لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين
يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل
التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل
الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهو بما
في حيزه دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه
جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون
الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اي ان
كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم
وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك
يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما
وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من
حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا
اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وقيل مدنية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي
وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه
ان يسبحه في جميع اوقاته لان دلالته جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء
المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه
مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا
لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات
والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استيناف او خبر لمحذوف او حال
من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة

سورة الحديد مكية

بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقويت الدار اذا خلت صح

لا يمسه

بالادغام والمطهرون صح

فله استراحة وقرئ

نك

ن

حال

هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها او محدثها والآخر
الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول
الذي تبتدأ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول او الاول
خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله
والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء
والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة
للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالا
مطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته
عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على
العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره
مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف
فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن كان قبلكم في تملكها والتصرف
فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة
ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه
بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقوله
ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون
والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات
وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب
الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو
على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم
حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية
وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة

اليه

اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال
واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان
اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم في السبق وقوة اليقين وتحري
الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال
للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه
والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والا
نفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد
الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما
تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في
ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق وخاصم الكفار حتى ضرب
ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي من
ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن
الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه
له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف
وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الا
ستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ
ابن كثير فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله
وله او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم
الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من
هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور
والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل
من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق
الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم
فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم

في سبيل الله

مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعفه صح

انها لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها
او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر
فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة
فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه
المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة
وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن
معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم
بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين
وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت الاجل
وغركم بالله الغرور الشيطان والدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا
مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد
فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقته اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك مئنة الكرم
اي مكان قول القائل انه الكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب
او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم
كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأن الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا وانا
اذا جاء اناه وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأني وروي ان
المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا
عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر
عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع
وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي
عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان لطول اعمارهم وآمالهم
او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم

المعارف صح

مكانكم صح

وسكون النون صح

ن

من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا
عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان
المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بها
وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا
الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق
المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف
ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند
ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون
في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون
بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ
وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او
الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر
والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر
بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر
حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان
بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه
انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم
عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة
وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها
وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث
او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى
معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره
عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر

عف

يقين

٣

والعدد

بوصا وحطاما ثم عظم امور الآخرة الابدية بقوله وفي الآخرة عذاب شديد
تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم بقوله ومغفرة
من الله ورضوان اي لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة
من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعر
واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسط كقوله
فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان
الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله
ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما
اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة
الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبرأها
نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان ذلك ان اثباته في كتاب
على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها
فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل
ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها
وبقاؤها فلابد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع
عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ
خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه
ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق
لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة
الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل
كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل
الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما

قال

قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال
الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال
يتضمن تعليلا واللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم بالغيب حال من المستكن في ينصره
ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب
وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم من الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليه
ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول
عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا
على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما
من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ
بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اي ابتدعوا رهبانية
ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب
كالخشيان من خشي وقرئ بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب
وركبان عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم
بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود
منه مجرد تحصيل مرضات الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها
ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من
تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول
بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوهما اليها فآتينا الذين آمنوا منهم من المتسمين
باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا
بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عليه السلام
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا
على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين

ما كتبناها

اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عليه السلام صح

كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم بين ايديهم
او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم
بادغام النون في الياء الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى
انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله
وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا عن ان يتصرفوا في اعظمه
وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب
ان لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان
الفضل عطفا على الا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت
النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة
الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله
ورسله اجمعين

سورة المجادلة مدنية

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي
مدني وآيها اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قد
سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه
فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله فنزلت هذه الآيات الاربع
وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها
ويفرج عنها كربها وادغم حمزة الدال في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما
الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال
الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الزوج لامرأته انت
علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم
تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج
الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا
على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره

وزورا

وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور
لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث
على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها اذ التشبيه يتناول الحرمة
لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة
باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند
الحسن بالجماع او بالظهار وكانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري
او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية ومعنى بان يحلف على ما قال
وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها
او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وال
مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا
ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه
او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم
بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة
للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية
فمن لم يجد فيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع
التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فمن لم
يستطع اي الصوم لهرم او مرض او شبق مفرط فانه عليه السلام
رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين
مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث رطل لانه اقل
ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان لم يذكر
التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام
كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام
ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض
ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين

اي الرقبة والذي غاب ماله واخذ ... فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستئناف ...

لا يتصلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين
في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما
كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من
قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل
على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب بعزهم
وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم
لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اي على رؤس
الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به
عددا لم يغب منه شي الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في
الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة اي ما يقع من تناجي
ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة
صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر
مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا
الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثنا
من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين
او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور
لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ
ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى
بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا
الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على
محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا
فان علمه بالاشيا ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شي عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى
الكل على السوا الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما
نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين فنهاهم رسول الله

ثم

٥٣٦

ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول وقرا حمزة ويتنجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من
النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام
عليك فيقولون السلام عليك او انعم صباحا والله تعالى يقول وسلام
على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا
الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم
عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى
بما يتضمن خير المومنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله
الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما
النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها
والحامل عليها ليحزن الشيطان والمتناجي الذين امنوا بتوهمهم انها
في نكبة اصابتهم وليس الشيطان والتناجي بضارهم شيئا والمو
شيا الا باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المومنون ولا
يبالوا بنجواهم يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا
فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا
والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول
الله فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم
به كصلاة او جهاد او ارتفعوا في المجالس فانشزوا وقرا نافع وابن
عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر
وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الاخرة والذين
اوتوا العلم درجات ويرفع العلما منهم خاصة درجات بما جمعوا
من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به
مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر

اي بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص بمعصية الرسول

مبين

واستكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقرا والنهي عن الافراط في السوال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله اأشفقتم ان تقدموا وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي كرم الله وجهه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته وكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنيا مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا او ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب اأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منكم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن

سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم منكم ويحسبون انهم على شيء في حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج على الله كما تروج عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح اليا ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعدا الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة [illegible] وكرمه

سورة الحشر مدنية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التوراة

سورة الحشر مدنية

بالنضرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الي مكة فحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم
حتى صالحوا على الجلا فجلا اكثرهم الي الشام ولحقت طايفة بخيبر والحيرة فانزل
الله سبح لله الي قوله والله على كل شي قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من
اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب
اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلا الي الشام واخر
حشرهم اجلا عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الي الشام او في اول حشر الناس الي
الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك
او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الي المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الي اخر
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى
ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه
وهو الرعب والاضطرار الي الجلا وقيل الضمير للمومنين اي فاتاهم نصر الله
وقري فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف
في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون بيوتهم بايديهم
ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الاتها وايدي المومنين فانهم
ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على
ايديهم من حيث ان تخريب المومنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه
والجملة حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ
لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشي خرابا والتخريب
الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا
على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من
حال الي حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على
ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلا الخروج من
اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسبي والقتل كما فعل ببني قريظة ولهم في
الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله
شديد العقاب الاشارة الي ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده

وما

وما هو معد لهم او الي الاخير ما قطعتم من لينة اي شي قطعتم من نخلة فعلة من
اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها
ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على
اصولها وقري اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن
فبامر الله وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم
في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه السلام لما امر بقطع
نخيلهم قالوا قد كنت يا محمد تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فنزلت وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه
فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق
لهم ليتوسلوا به الي طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير
او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة
السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب
على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من
المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد
قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيا الا ثلاثة كانت بهم حاجة
ولكن الله يسلط رسله على من يشا بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شي
قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسايط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى بيان للاول لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفي
فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وساير
المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول عليه
السلام الي الامام على قول والي العساكر والثغور على قول والي مصالح المسلمين
على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك
ويصرف الاخماس الاربعة كما يشا والان على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفي
الذي حقه ان يكون للفقرا وقرا هشام في رواية بالتا دولة بين الاغنيا
منكم الدولة ما يتداوله الاغنيا ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقري
دولة بمعنى كيلا يكون الفي ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم
وقرا هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كي لا يقع دولة جاهلية
وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفي او من الامر فخذوه لانه حلال لـ

ابا سفيان فامر رسول الله اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة صح

واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم صح

قوله الا ثلاثة الخ وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث ابن الصمة اشهر

ولذلك صح

قوله

لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن
اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب
لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنيا ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او
الفي ببني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة
اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة
لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم
اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار
والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة
والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف
المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا
الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى
المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين
وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من
هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة
ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما
اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على
حتى ان كان من عنده امراتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم
خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها
فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاءوا من بعدهم الذين
الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المومنين
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا
في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك
رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعانا الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة
او الموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم
او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم
لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال

هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام والتابعون باحسان وهم المومنون بعدهم صح

لئن

لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن
ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل
على صحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين
نفيا ونفاقهم او ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين
لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في
صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المومنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استشعار رهبتهم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق
بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال باسهم بينهم شديد اي وليس ذلك
لضعفهم وجبنهم لانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل يقذف الله
الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله
تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم
واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان
تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل
اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم
الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال اذ قال للانسان
اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر المامور فلما كفر قال اني بريء منك تبراه
منه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله
رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور
والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على ان انهما الخبر وفي النار لغو
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم
القيامة سماه به لدنوه او لان الدنيا كاليوم والاخرة كغده وتنكيره
للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن

خرج

لبئس

ن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد
او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكا
ملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا
نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج
به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون
بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه
بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة
اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران
لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الا
دغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس
من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم
الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والمو
جود او السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم هو
الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب
نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص
وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن
به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته
هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه
المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون
اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته
البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء فعليه بكتابي المسمى بمنتهى
المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات
والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها
فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر سورة الممتحنة
مدنية وهي ثلث عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين

امنوا

امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل
مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت
فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول
الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ليس لي فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تقصدون
اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب
المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاوليا جرت على غير من
هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون
الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه
ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات
من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب
الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون
او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة
وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل
سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم
القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل
والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي
للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم
لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم

يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وهو بينكم وقرا عاصم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بري كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تتاسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قول المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الاخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين العادلين روي

ان

وفتح الفاء وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم مح

في موالاتهم من قبل وما بقي في قلوبهم من ميل الرحم مح

ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة والاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت واعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسالوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم اي وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك

منكم

مطابقة

مسلمة مح

لغة

تارة واداء اولئك مهور نساء اولئك هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وروي انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر ايسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات شفعاء له يوم القيامة

سورة الصف اربع عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه مع حرف الجر كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا

تفعلون

تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او وكان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال الجاري لانه لغو اذ هو صلة الرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا عليه السلام والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت للاضافة تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ

لیطفئوا

قد

غايته بنشر شرايعه واعلامه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى
بالقران او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد
وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف
مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم
والمراد به الامر وانما جي بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك
ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم
من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب
للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام
تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وبعد
جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
اشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه
النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون
العاجل على الاجل وقيل الاخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون
او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب
خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص
او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل
يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال
امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم
عليهما اجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرا الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال
عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى
نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله فالاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل

لهم

لهم كما قال عيسى ابن مريم او كونوا انصارا كما قال الحواريون من الحور وهو
البياض حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم
اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت
طايفة اي بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب
وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام
في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة مدنية

سورة الجمعة مدنية وهي احدى
عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما
في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على
المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون
رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد
منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبايث العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القران والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة
لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان
لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من
معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب
في يعلمهم وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم
الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا
الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل
الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا والله ذو الفضل
العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين حملوا التوراة
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا كمثل الحمار
يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه
معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف
والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه
فتمنوا الموت من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم
صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من

وعطية صح

بما فيها صح

الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم باعمالهم قل ان الموت الذي تفرون
منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لاحقكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقهم
وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين
آمنوا اذا نودي للصلاة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي
جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل
سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا فاقام بها الى الجمعة
ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر
الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة
وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا
المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون الخير
والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اديت
وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم
واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من
فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة
اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره
بالصلاة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عليه
عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة
برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون
به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة
على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة
انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر
قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد
بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا
الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يات بها في امصار المسلمين

ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة

سورة

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار
عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذب
في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب
او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التاكيد وقرئ ايمانهم جنة
وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم
ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام
المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكور
من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم
آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا راوا آية ثم كفروا حينما سمعوا
من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم
وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي لكلامهم كانهم خشب
مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين
باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم
والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا
بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير بسكون
الشين على التخفيف او على انه كبدن جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم
اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز
ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه
بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعا عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين
ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك وقرا نافع بتخفيف الواو ورايتهم يصدون
يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم

في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح
لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن
السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون
ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي
راسه بخشبة فشكا الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله
حتى ينفضوا واذا رجعنا فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح اليا وليخرجن على بنا المفعول
وليخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراات مصدر
او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام
بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكورة للمعبود
والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك
قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها والشغل فاولئك هم الخاسرون
لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض
اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله
فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد
فاصدق واكن من الصالحين بالتدارك واكن بالعطف على موضع
الفا وما بعده وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ
بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن
يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه
وقرا ابو بكر باليا ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المنافقين بري من النفاق

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

مختلف فيها وهي ثمان عشرة اية
يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك
وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو
على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سوا ثم شرع فيما

ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه الى ما يحمله عليه ومنكم
مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعو اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم
بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم
فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم
بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم
انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ
بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم
كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة
على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها
من الاتقان والاختصاص ببعض الانحا الم ياتكم ايها الكفار نبا الذين
كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام فذاقوا وبال
امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل
على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة
ذلك المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب انه الشان كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول
بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات
واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها
حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء
العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه قل بلى
اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم
بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة
التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام والنور الذي انزلنا
يعني القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه
والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر
وقرا يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة
والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل
الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه
للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة لعظمها ودوامها

٥٤١

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك
الفوز العظيم الاشارة الي مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع
لكل صالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن
وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ
يهد بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه
ويهدا بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين فان
توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى
الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر
الدين والدنيا فاحذروهم ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك
المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم
انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله
وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم
اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره
وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها
وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
سبق تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه
لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الي سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم
لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم
تام القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه
موت الفجاة والله اعلم

سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء

٢٥

وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم
يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع
فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما
يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالاطهار ان طلاق المعتدة بالاقراء
ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء
يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم
الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امراته حائضا
امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها
واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا
يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة
مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول
والمعنى الا ان تبذوا على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني
فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على
ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري
اي النفس ايها او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن
اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن
عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء
الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي
عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع
وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في
الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا
لوجهه ذلكم المنتفع به والمقصود تذكيره
يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية

حقها

يوعظ به

مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن وجهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة لا تحيض بعد ذلك واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هاهنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة

الى

جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا من شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه ح

واللائي لم يحضن نزلت واللائي لم يحضن اي واللائي ح

ع

الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في كتب الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن وتبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان

في قوله

او اريد به القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكر او الرسول
مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم ايات الله مبينات
حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان والعمل
الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يومن من الظلمات الى النور من
الضلالة الى الهدى ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون
قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي
وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاوه بينهن وينفذ حكمه
فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على
كمال قدرته وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم
الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه
السلام خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها او حفصة فاطلعت
على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت فقيل له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعي اليه والله
غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله رحيم رحمك
حيث لم يواخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة
او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا
استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا
وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا
مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم
متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه

وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطات عائشة سودة وصفية

واذ

واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او
العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبات به اي
اخبرت حفصة عائشة رضي الله عنها واظهره الله عليه واطلع النبي
عليه السلام على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة
بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما او جازاها على
بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويويده قراءة الكسائي
بالتخفيف فانه لا يحتمل ها هنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم
المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويويده الاول فلما نباها به
قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة
في المعاتبة فقد صغت قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله
حب ما يحب وكراهة ما يكره وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا
عليه بما يسووه وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه
وجبريل وصالح المومنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة
وصلحاء المومنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه
ومن صلح من المومنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم
بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من
جملة من ينصره الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم
يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي
تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابن عامر
يبدله مسلمات مومنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب
عابدات متعبدات بالتهجد والاذكار او متذللات لامر الرسول
عليه السلام سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح
بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات
على الثيبات والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي

متظاهرون

قانتات

وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا
على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين
نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب
عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال
شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال
الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون
ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون
ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار
لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة
وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بالضم وهو
مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت
تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم
وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على
الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها
في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك
واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون
بين خوف ورجا يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا
معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل
طفي نور المنافقين
شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه
تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق
مداه وماواهم جهنم وبئس المصير جهنم او ماواهم ضرب الله مثلا

للذين

كفروا

امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله تعالى حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم
ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة
بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما بالنفاق فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما
وقيل اي لهما عند موتهما ادخلا النار مع الداخلين مع سائر الداخلين
الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا عليهم السلام
وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكا
لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدا
اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من
نفسه الخبيثة وعمله الشنيع ونجني من القوم الظالمين من القبط التا
له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل
التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم
او الحملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت
بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في
اللوح المحفوظ او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين
وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام والانجيل
وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين
حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية
بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النسا
كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرا سورة
التحريم آتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية وتسمى الواقية
والمنجية لانها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر واياتها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك
بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير
على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما او اوجد

أحياء أو أزالها عنها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه
أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون
أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن عقلا وأورع عن
محارم الله وأسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى
المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة
خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين
وهو العزيز الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق
سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت
النعل إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات
طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ
حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الا
ختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض
ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا
وأن في إبداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب
وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب أي قد
نظرت إليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقا
متها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه
ثم ارجع البصر كرتين أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية
التكرير كما في لبيك وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله ينقلب إليك
البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا
أقرب السموات إلى الأرض بمصابيح بالكواكب المضيئة بالليل إضاءة السرج
فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات
فوقها إذ التزيين بإظهارها فيها وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا
لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل
معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون والرجوم
جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم عذاب السعير
في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم

الغالب

من تفوت

مرارا فانظر إليها

والتكثير

به بانقضاض الشهب المسبب عنها

من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على أن
للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير إذا ألقوا فيها سمعوا لها
شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليا بالغدر بما فيه تكاد تميز
من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن
يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها ألم
يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير فكذبنا الرسل
وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسا وبالغنا في نسبتهم
إلى الضلال فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف
أي أهل إنذار أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولأمثاله
على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على المعنى
قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم
ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون
الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا
نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث ولا تفتيش اعتمادا على ما لاح
من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين
ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين
لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر
أو المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم
من رحمته والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل
إن الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه
بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم
مغفرة لذنوبهم وأجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا وأسروا قولكم
أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرا
أو جهرا ألا يعلم من خلق لا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما
قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه
وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال
يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد روي أن المشركين كانوا يتكلمون
فيما بينهم بأشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع

المرجل

الرسل

له

ن

ح

كون

لا كأنه باسبابها الله فنبه الله على جهلهم بقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
لينة ليسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل
لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطاه الراكب ولا يتذلل له
فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شي لم يتذلل
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسالكم عن
شكر ما انعم عليكم اامنتم من في السما يعني الملايكة الموكلين على تدبير
هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السما امره او قضاوه او على
زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السما وعن ابن كثير وامنتم بقلب
الهمزة الاولى واوا والثانية الفا وهو قراة نافع وابي عمرو ورويس ان
يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الا
شتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجي والذهاب ام امنتم
من في السما ان يرسل عليكم حاصبا اي تمطر عليكم حصبا فستعلمون
كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم
حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال
العذاب وهو تسلية للرسول عليه السلام وتهديد لقومه اولم
يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة
الفعل للتفرقة بين الاصيل في الطيران والطاري عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شي بان خلقهن
على اشكال وخصايص هياتهن للجري في الهوي انه بكل شي بصير يعلم
كيف يخلق الغرايب ويدبر العجايب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال
هذه الصنايع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال
حاصب او لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو
كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام
عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على
لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي

[Margin: لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب]
[Margin: قوادمهن]

ام

يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر
وساير الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد
ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرايب كقشع الله السحاب فاقشع وليسا
مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر
كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزايه ولذلك
قابله بقوله امن يمشي سويا قايما سالما من العثار على صراط مستقيم
مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدين
ولعل الاكتفا بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما
عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير
مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير
وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
صنايعه والافيدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها
فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب
ان كنتم صادقين يعنون النبي عليه السلام والمومنين قل انما العلم اي
علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار
يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكابة
وساءتها روية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون به تطلبون
وتستعجلون تفتعلون من الدعا او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل
ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المومنين او رحمنا بتاخير اجالنا
فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا
او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي
ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم
بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار
به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكساي بالياء
قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا غايرا في الارض بحيث لا تناله الدلا

[Margin: والتحقيق انهما من باب انفعل ومعناه صار ذا كب وذا قشع]
[Margin: بين بالمسلكين]
[Margin: لتسمعوا المواعظ]
[Margin: لتنظروا]
[Margin: للجزا اي الحشر]

وصف به لمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به للتعظيم فوائده واخفى ابن عامر والكسائي النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف

فيدهنوا

ويعقوب

اي ودوا

٥٤٧

زنيم

فيدهنوا على جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع من يعني لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي ألأن كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الاطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة انا بلوناهم بلونا اهل مكة شرفها الله بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بها البستان الذي كان دون صنعاء لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالا

ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق

عينه
سننخنا اولان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او
ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة
طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم
كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كا
الليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا
بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين
ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا اليه غدوة وتعديته
الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو
العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين
له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت
وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفافيش ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى
انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا
على النكد او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على
الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم
بعضا كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة قال
اقبل سيل جاء من امر الله ❊ يحرد حرد الجنة المغلة ❊ اي غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما
راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل
نحن اي بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم راياً او سناً الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه
وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على
هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لا تستثنون فسمي الاستثناء
تسبيحاً لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا
يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من
اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره

قالوا

قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا
منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون
الخير والى لانتهاء الغاية الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب
مثل ذلك الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا
ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى
العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين
انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم
كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر
من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب فيه تدرسون تقرؤون
ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم
بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية
للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على
الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم
اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدته حتى نحكمكم
في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك
زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا
القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل
من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما
يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد
او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند
له وقيل المعنى ام لهم شركاء يعني الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الا
خرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشاركون الله
به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق
مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب

قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار
من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ
بالتاء على بناء الفاعل او المفعول والفعل للساعة او الحال
ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم
القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كانت وقت النزع
فلا يستطيعون لذهاب وقته او لزوال القدرة عليه خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل
فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة
الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو
الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المومنين واملي لهم
وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع شي وانما سمي انعامه استدراجا
بالكيد لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم
من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب
اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن
علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا
تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت
وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلي ببلائه لولا ان تداركه
نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل
للفصل وقرئ تداركته وتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى
لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن
الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو
حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه
ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل
الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه
من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية
نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف

وقيل

وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى
انهم لشدة عداوتهم ينظرون شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك
او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع
لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد
عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله فنزلت وفي الحديث
ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص
بعض النفوس وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ
ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث
عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره
وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران بين
انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم
رايا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب
الذين حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي
يحق وقوعها او التي يحق فيها الامور اي يعرف حقيقتها او يقع
فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي مبتدا
خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شي هي على التعظيم لشانها والتهويل
لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة
واي شي اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية
احد وما مبتدا وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة
التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما
وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي
الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر
عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم

بقدرته وهو استدنا فا وصفة جي به لنفي ما يتوهم من انها كانت
من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سخرها عليهم سبع
ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة
اذا تابعت بين كيها حسوما او نحسات حسمت كل خير واستاصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة
بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده
القراة بالفتح وهي كانت العجوز من صبيحة اربعا الى غروب الاربعا
الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتا المعتدا ولان عجوزا في عاد تو
ارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم
فيها صرعى في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم
اعجاز نخل اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية
من بقية او نفس باقية او بقا وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه
وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل
عليه انه قرئ ومن معه والموتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها
بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا فعصوا
رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية
زايدة في الشدة لزيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الما جاوز
حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يويد من
قبله حملناكم اي اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة
نوح لنجعلها لنجعل الفعلة وهي انجا المومنين واغراق
الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال
قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين
تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشي في نفسك والايعا ان تحفظه
في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب
حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير
للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجا الجم
الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مال المكذبين بها تفخيما
لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد

الفعل

(margin) ان كنت حاضرهم

الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب
العالم وحملت الارض والجبال رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة
الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة
فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او
فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان
الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكا للتي لا سنام لها وارض دكا
للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت
السما لنزول الملايكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك
والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر
ولعله تمثيل لخراب السما بخراب البنيان وانضوا اهلها الى اطرافها
وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملايكة اثر ذلك ويحمل
عرش ربك فوقهم فوق الملايكة الذين هم على الارجا او فوق الثمانية لانها
في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم
اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى
وقيل ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا
تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس
للقضا العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض
السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية
لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح
جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله حتى يكون العرض
للاطلاع عليها وانما المراد افشا الحال والمبالغة في العدل او على
الناس كما قال تبلى السراير وقرا حمزة والكسائي يخفى بالياء للفصل فاما من اوتي
كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها
اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما
يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله
محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان
مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والها
فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط

تثبت

في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل
اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه
لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم
النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة
او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة
بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الا
بنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح
المصدر دانية يتناولها القائم والقاعد كلوا واشربوا باضمار القول
وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بما
قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا
واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا
ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليت الموتة التي متها
هذه كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه
الحالة كانت الموتة التي قضت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه
عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق فيها حيا ما اغنى
عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام
انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس
او حجتي التي احتج بها في الدنيا خذوه يقول الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم
صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعاظم على الناس
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه
فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهقا لا يقدر على الحركة ثم
وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر
ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين
ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز
ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك
الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين
بالذكر لانه اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة

القلب

بالصيغة

القلب فليس له اليوم هاهنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لوضوح الامر واستغنائه عن
التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم
مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك
يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه انه القرآن لقول رسول كريم يبلغه
عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما
السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون
اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر
الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة
القرآن للشعر امر بين لا ينكرها الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها
تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة
ومعاني اقوالهم وقرا يعقوب وابن كثير بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها
كانها جمع افعولة من الاقوال كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع
ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه
بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن
القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس
وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين
به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح
الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا
يسيرا سورة المعارج مكية وايها اربع واربعون بسم
الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع دعا داع به بمعنى استدعاه

ان كان هذا هو الحق من عندك
او ابو جهل فانه قال هو

وهذا لك عدي الفعل بالبا والسايل نضر بن الحارث فانه قال فاسقط علينا
كسفا من السما ساله استهزا او الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرا
نافع وابن عامر سال وهو اما من السوال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان
ويويده انه قري سيل سايل على ان السيل مصدر بمعنى السايل كالغور والمعنى
سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل
بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع
وان صح ان السوال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والبا على هذا
لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته
به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب
والعمل الصالح او يترقى فيها المومنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة
او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك
المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها لو قدر قطعها
في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل
معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين
الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطع الانسان فيها لو فرض لان
ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
لان ما بين مركز الارض ومقعر السما الدنيا على ما قيل مسيرة خمسماية عام
وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال
في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب
السما الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان
والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة
ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح
جبريل افرده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا
يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السوال كان
عن استهزا او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطا للنصر او بسايل
لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم
يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونراه

منه

منه او من الوقوع يوم تكون السما كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او
لمضمر دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في
مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في
الجو اشبهت العهن المنفوش اذا اطيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا
يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بنا المفعول اي لا يطلب
من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استيناف او حال تدل على
ان المانع من هذا السوال هو التشاغل دون الخفا او ما يغني عنه من مشاهدة
الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين يود المجرم لو يفتدي من عذاب — لعموم الحميم
يوميذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف
يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس
واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقري بتنوين عذاب
ونصب يوميذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم
التي تويه تضمه في النسب او عند الشدايد ومن في الارض جميعا من
الثقلين والخلايق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتدا
وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتدا لا
ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة
ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو الخالص وقيل علم للنار منقول — اللهب
عن اللظى بمعنى اللهب وقري نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي
جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب
مجازا عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو
تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان
خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا
يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاو — صاف
الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها
واذا الاول ظرف جزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثنا للموصوفين
بالصفات المذكورة بعده من المطبوعين على الاحوال المذكورة ان الايمان بالجزا والخو — ف

المذكورة قبل للمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق
في طاعة الحق والاشفاق على الخلق

من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وذلك ناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصور النظر الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المومنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرا ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفون ولا ينكرون اي لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد والذين هم بشهاداتهم قائمون وقرا يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ان نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم

[margin: الاخروية ولذلك ذكر الدين]
[margin: الاولى على امكان النشأة]

من

من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب يوفضون ... تخفيف النصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يغشاهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سأل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام وآيها تسع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذ به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا من الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع دعوتي واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او التراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا

[margin: منصوب للعبادة او علم يوقفون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالنصب بضم ...]
[margin: سورة نوح عليه السلام]
[margin: كراهة دعوتي]
[margin: الاسرار والجمع بينهما اغلظ من ...]

بالتوبة عن الكفر
ربكم انه كان غفارا للتايبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق
فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم
بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعد لهم عليه ما هو اوقع
في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادي اصرارهم حبس الله عنهم المطر
اربعين سنة واعقم ارحام نسايهم فوعدهم بذلك على الاستغفار
عما كانوا عليه بقوله يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقا
والسما تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي
في هذا البنا المذكر والمونث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون
لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على
حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة
للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد
بالرجا التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للا
نكار من حيث انها موجبة للرجا فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم
اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا
ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم
تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة
ثم اتبع ذلك ما يويده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السما الدنيا وانما
نسبه اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها
تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله
انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشا لانه ادل
على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فاختصر اكتفا
بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد الاول دلالة على ان الاعادة محققة
كالابدا وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا
تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن
الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا روساهم

البطرين

البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة
خسارهم في الاخرة وفيه انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال
والاولاد وادت بهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكساي والبصريان
وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا
عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية
فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش
الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن الهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تذرن هولا خصوصا
قيل هي اسما رجال صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروهم
تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود
لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع
ودا بالضم وقري يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية
والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للروسا او للاصنام لقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك
لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطاياهم اغرقوا من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم
اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب
الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع
وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من
دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الالهة من دون الله لا تقدر على نصرهم
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو
مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك
لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم
وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لملك بن متوشلخ وشمخا بنت
انوش وكانا مومنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي

مومنا وللمومنين والمومنات الي يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا
تبارا هلاكا عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من
المومنين الذين تدركهم دعوة نوح سورة الجن مكية وهي ثمان
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقري وحي
من وحي اليه تقلب الواو همزة لضمتها ووحي علي الاصل وفاعله
انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة الي العشرة والجن اجسام
عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الا
رواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دليل
علي انه عليه السلام ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم
في اوقات قراته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا
قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الي الرشد الي
الحق والصواب فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا علي ما
نطق به الدلايل القاطعة علي التوحيد وانه تعالي جد ربنا قراه
ابن كثير والبصريان بالكسر علي انه من جملة المحكي بعد القول وكذا
ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام
فانها من جملة الموحي به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه
لما قام علي انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر
بالفا علي انه من كلامهم فمعطوف علي محل الجار والمجرور في
به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالي جد ربنا اي عظمته
من جد فلان في عيني اي عظم او سلطانه او غناه مستعار من
الجد الذي هو البخت والمعني وصفه بالاستغنا عن الصاحبة
والولد لعظمته او سلطانه او لغنايه وقوله ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا بيان لذلك وقري جدا ربنا علي التمييز وجد ربنا بالكسر
اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم علي خطا
ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان
يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن علي الله شططا قولا
ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما
اشتط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الي الله وانا ظننا

ان

ان لن تقول الانس والجن علي الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه
في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب علي الله وكذبا نصب علي المصدر
لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه
ومن قرا ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا
يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فان الرجل اذا امسي بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من
شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا
كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتي استعاذوا
بهم والرهق في الاصل غشيان الشي وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها
الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام
من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحي به ان لن يبعث الله احدا
ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السما طلبنا بلوغ السما او
خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه
وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا
حراسا اسم جمع كالخدام شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم
عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضي المتولد من النار وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة
للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه
عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين علي انه اسم جمع للرا
صد
وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في
الارض بحراسة السما ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصا
لحون المومنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون كنا طرايق قددا ذوي طرايق اي مذاهب
او مثل طرايق في اختلاف الاحوال او كانت طرايقنا طرايق قددا متفر
قة
مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله
في الارض كاينين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها
الي السما او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدي اي القران امنا به فمن يومن بربه

فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المومنين واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزا ولا ان يرهقه ذلة او جزا بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المومن بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا على اي ان الشان لو استقام الانس او الجن او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فايدة الفا وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي عليه السلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله واراد به السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي عليه السلام وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه على نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قرائته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا

وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة نعم

ولا

ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثنا من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا من الله ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاوه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بغير وسط وكرامات الاوليا على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبيا فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبيا بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شي عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل

ض

يكونون عليه

الغيب هو

بما يكون هو

ن

خشيا به او ان لفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عليه السلام تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعشا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزلت او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة **قم الليل** اي قم الى الصلاة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف **الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه** الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او النصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه **ورتل القرآن ترتيلا** اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول فانه كان عليه السلام يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل عليه انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته عليه السلام ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله **ان ناشئة الليل** ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نشأنا الى خوص بري نيها السرى • وألصق منها مشرفات القماحد •

او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول

من

من نشأت اذا ابتدأت **هي اشد وطأ** اي وطأة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص **واقوم قيلا** واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات **ان لك في النهار سبحا طويلا** تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه **واذكر اسم ربك** ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم **وتبتل اليه تبتيلا** وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الرمز ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا **رب المشرق والمغرب** خبر محذوف او مبتدأ خبره **لا اله الا هو** وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو **فاتخذه وكيلا** مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور **واصبر على ما يقولون** من الخرافات **واهجرهم هجرا جميلا** بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال **وذرني والمكذبين** دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم **اولي النعمة** ارباب التنعم يريد صناديد قريش **ومهلهم قليلا** زمانا او امهالا **ان لدينا انكالا** تعليل للامر والنكل القيد الثقيل **وجحيما وطعاما ذا غصة** طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم **وعذابا اليما** ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى **يوم ترجف الارض والجبال** تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل **وكانت الجبال كثيبا** رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته **مهيلا** منثورا من هيل هيلا اذا نثر **انا ارسلنا اليكم رسولا** يا اهل مكة **شاهدا عليكم** يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع **كما ارسلنا الى فرعون رسولا** يعني موسى ولم يعينه لان المقصود

لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرف لسبق ذكره فأخذناه أخذا
وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر
العظيم فكيف تتقون أنفسكم إن كفرتم بقيتم على الكفر يوما يجعل
الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل أو لأن الهموم
يضعف القوى ويسرع بالشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول
السماء منفطر به منشق والتذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء وبه
بشدة ذلك اليوم على عظمها وإحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة
كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل أو لليوم على إضافة المصدر
إلى المفعول إن هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ
إلى ربه سبيلا أي يتقرب إليه بسلوك التقوى إن ربك يعلم
أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الأدنى
للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون
ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى وطائفة من الذين معك
ويقوم ذلك جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم
مقادير ساعاتهما إلا الله تعالى فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه
يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم أن لن تحصوه أي
لن تحصوا تقدير الأوقات فتاب عليكم في ترك القيام المقدر ورفع
التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة
الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد
واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذا ثم نسخ هذا بالصلوات
الخمس أو فاقرءوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم أن سيكون
منكم مرضى استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف
ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه فقال وآخرون يضربون في الأرض
يبتغون من فضل الله والضرب في الأرض ابتغاء الفضل بالمسافرة
للتجارة وتحصيل العلم الله تعالى وآخرون يقاتلون في سبيل
الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة
الواجبة وأقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الأمر بسائر الإ
نفاقات في سبيل الخير أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب
فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لأنفسكم من خير

كما هي

ولن تستطيعوا ضبط الساعات صح

من

من أجر تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا من الذي تدخرونه
إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي
تجدوه وهو تأكيد أو فصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع
من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر
واستغفروا الله في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تفريط
إن الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل
دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة سورة المدثر مكية
وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر
أي المتدثر وهو لابس الدثار روي أنه عليه السلام قال كنت بحراء فنو
ديت
فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هو على عرش
بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة
فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هي أول
سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أو كان نائما
متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمتدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسا
نية
أو المختفي فإنه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر
أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به قم من مضجعك أو قم قيام عزم وجد
فأنذر مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك
الأقربين أو وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر
وخصص ربك بالتكبير ووصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي أنه
لما نزلت كبر رسول الله وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا
يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط وكأنه قال
وما يكن من شيء فكبر ربك أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر
بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فإن أول ما يجب معرفة
الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا
يقرون به وثيابك فطهر من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلاة
محبوب في غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها
فإنه جر الذيول فيها وهو أول ما أمر به من رفض العادات
المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة
فيكون أمرا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة

النظرية والدعا اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر
وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يودي اليه
من الشرك وغيره من القبائح وقرا يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو
لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر اي لا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به
لقوله صلى الله عليه وسلم والمستغزر يثاب من هبته والموجب له ما
فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا
اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا
اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه
من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان
وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها
كما روي واحضر الوغى بالرفع ولربك لوجهه او امره فاصبر فاستعمل
الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر
في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفا للسببية كانه قال اصبر على اذى
صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف
لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان
لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير
فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا
عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من
اليا اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التا اي ومن خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته
فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما
او اراده انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه فانه كان زنيما
وجعلت له مالا ممدودا كثيرا او ممدودا بالنما مبسوطا
وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة
يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغنا بنعمته

و

ولا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والا
نديه لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشر بنين او اكثر كلهم رجال
فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت
له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد
لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه
من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان لاياتنا
عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف
بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة من الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه
الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم
يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد
والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل
كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن
ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا
يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عليه الصلاة
والسلام وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد انفا
كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا
الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه
بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه
يتعاطى شعرا قط فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم
للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعده على اصلها ثم نظر اي في امر
القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما
يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر
اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول صلى الله عليه وسلم واستكبر

وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب صح

المانعة صح

عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفا للدلالة
على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا
الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سا
صليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها
وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى
التعظيم والمعنى لا تبقي على شي يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر اي مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئ بالنصب على
الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها
والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل
بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان لجهنم سبع در
كات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والقول
والعمل انواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه
ويتولاه ملك او صنف يتولاه او ان الساعات اربع وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة
توالي حركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن
اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها
تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر فعبر عن الاثر بالمؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم
به واستقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل
تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا
بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما
يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او

نفاق

القوى

قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر

او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون
الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شي اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل كذلك الا
من الضلال والهدى يضل الكافر ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك
جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والا
طلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم
وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا
ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها
والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة وحفص
اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر اي لاحدى البلا
يا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا
لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التا كما الحقت قاصعا بقاصعة فجمعت
على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتا
كيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا وحالا وما دلت عليه الجملة
اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم
ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى
الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله
مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل الملائكة او الا
طفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله
يتساءلون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم
كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى
بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الو
اجبة ولم نك نطعم المسكين اي ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخا
طبون بالفروع وكنا نخوض نشرع في الباطل مع الخائضين مع الشارعين
فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بالقيامة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل

التذكير يعني القران او ما يعمه معرضين حال كانهم حمر مستنفرة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السما فيها من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله تعالى وقرا نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر لعباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلام وعدد من كذب به بمكة شرفها الله تعالى سورة القيامة مكية واياها تسع وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري ٭ لا يدعي القوم اني افر ٭ وقد مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالمتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس المطمئنة اللايمة للنفس الامارة او الجنس لما روي انه عليه السلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البنا للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته كما كانت مع صغرها

(في الهامش: ونضم بعضها الى بعض)

مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب ويجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال ايان يوم القيامة متى يكون يوم القيامة استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق وهو لغة فيه او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على البنا للمفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار من المحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحساسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الايس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشا الجنة ومن يشا النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمل به وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانبا ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك به يا محمد بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قراناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه

(في الهامش: وقرئ بلق اذا انفتح — سنة حسنة او سيئة)

بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الانسان هو المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار او بالتامل ثم ان علينا بيانه امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسر ابلغ من الباسل لكنه في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحركهما او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد

خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرار انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي عليه السلام انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرا سورة القيامة شهدت له انا وجبريل انه كان مؤمنا بها

سورة الانسان مكية

وايها احدى وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل وقد قرئ بها حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا طائفة محدودة من الزمان الممتد كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او صفة لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او ادم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وأكياس وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه

بالشكر والكفر مجاز وفيه اما بالفتح حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا
ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران
غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل
واغلالا بها يقيدون وسعيرا اي نارا يحرقون وتقديم وعيدهم وقد
تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر
المومنين احسن وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان
الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي
في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده و
عذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته
وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به
عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كاس على تقدير مضاف
اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها
يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا وقيل الباء زائدة او بمعنى
من لان الشرب مبتدا منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا
اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله
كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على ادا
الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله اوفى بما اوجبه الله
عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر ويطعمون الطعام على
حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا
يعني اسارى الكفار فانه عليه السلام كان يوتى بالاسير فيدفعه
الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المومن ويدخل فيه المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم
لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم
المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها
انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا
فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك
نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا يعبس

فيه

بها يقادون ح

وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي صح

فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس
كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت
قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم
بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار
وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات
وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن
عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي
الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم
شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة
صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف
عليهم مسكين فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما
امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فاثروه ثم وقف عليهم في
الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه
السورة وقال خذها يا رسول الله هناك الله في اهل بيتك متكئين
فيها على الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين
والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد موذي وقيل الز
القمر في لغة طي وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى الشمس والقمر ودانية عليهم
ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او حال من دانية و
ذللت قطوفها تذليلا وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول
لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب
واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا
من نون سلاسلا وابن كثير الاول لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة
على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقادير
واشكالا كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر
الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم

زمهرير

او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة صح

وقرئ قُدِّروها اي جعلوا لها قادرين لها كما شاوا من قدر منقولا من قدرت
الشي ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في
الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة البا والمراد به ان ينفي عنها
لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به
كتابط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح
ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا من صفا الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع الى
بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه
ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث
ادنى منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا
وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا
الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه
على الحال من هم في عاليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي
واهل ملك كبير عاليهم وقرا نافع وحمزة بالرفع عطفا على ثياب وقرا
ابن كثير خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق
بالرفع عطفا على ثياب وقرا ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرئ واستبرق بوصل
الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من
الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه
قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي
اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزا
لما عملوه يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا
طهورا يريد به نوعا اخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك
اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه
عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة
جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين
ولذلك ختم بها ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول

~~على انه خبر ثياب وحمزة والكسائي وابو بكر وحفص بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع~~

بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان صح

وكا

والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير
مضيع انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته
وتكرير الضمير مع ان لمزيد الاختصاص بالتنزيل به فاصبر لحكم ربك
بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم اثما او كفورا
اي كل واحد من مرتكبي الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر
الداعي لك اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي
على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان تكون المطاوعة
في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظورة
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلاة
الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل
فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشا
وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلا من الليل ان هولاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم
يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل
لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط
مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا
شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشاة
الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا
لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة
او الايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة
وما تشاءون الا ان يشاء الله وما تشاءون ذلك الا وقت ان يشاء
الله مشيئته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاءون بالياء
ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه
حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة
والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره
اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع
على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزا

وم

٥٦٤

سوره المرسلات

على الله جنة وحريرا سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا

والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوايف من الملائكة

ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في الامتثال ونشرن

الشرايع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن

بين الحق والباطل فالقين الى الانبيا ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين

او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد عليه السلام فعصفن ساير الكتب

والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين

الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة

المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك

في جميع الاعضا ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل

شي هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة

الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن

السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا التسبب له فان العاقل اذا شاهد

هبوبها واثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض

النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى

المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران

لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة

ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاول

بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على

ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى

الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف

انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجي

القيامة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها

واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف

بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة

على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت

تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال

لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هول

له